

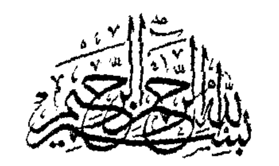


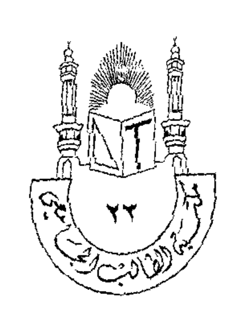
ماجدة فيصل زكريا

عمر بن عبد العزيز

وسياسته في رد المظالم

مكتبة الطالب الجامعي
مكة المكرمة - العزيزية


بسم الله الرحمن الرحيم



عمر بن عبد العزيز
وسياسته في رد المظالم

تأليف
ماجدة فيصل زكريا

مكتبة الطالب الجامعي
مكة المكرمة - العزيزية

الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م

مكتبة الطالب الجامعي

مكة المكرمة - العزيزية - مدخل جامعة أم القرى

هاتف : ٥٥٦٦١٧٠ - ٥٥٧٣٢١٠ ص.ب ٦٧٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

بقلم الأستاذ
الدكتور ـ حسام الدين السامرائي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خيرته في خلقه وخاتم أنبيائه المبعوث بالحق بشير ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعـــد:

فكلما ذكرت عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد العادل تذكرت قول الإمام الممتحن أحمد بن حنبل فيه.. «إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبدالعزيز ويذكر محاسنه وينشرها، فاعلم أن من وراء ذلك خيراً إن شاء الله...».

والحق فإن عصر هذا الخليفة الورع الزاهد، على قصره، يمثل فترة عظيمة الأهمية في مجال دراسة تاريخ صدر الإسلام، ذلك أنه يتيح للباحث المسلم فرصة تقييم الفترة المحصورة بين نهاية عصر الراشدين وبينه من خلال ترابطه الوثيق بالتطبيقات الشرعية. فلقد كان رأيه أن تحقيق العدالة الإسلامية منوط بالحكام يبدأون بتطبيقها وتتبعهم الرعية، وان في ذلك حصانة للناس جميعاً، وانه لا طاعة لمخلوق من معصية الله تعالى.

لقد حوت مصادر التاريخ الإسلامي العامة الكثير من المعلومات عن أوضاع الخلافة الأموية في عصر عمر بن عبدالعزيز حتى لتكاد تتحدث عنه بإسهاب وتفصيل يفوق كثيراً أسلافه من البيت المرواني والسفياني. ولعل من المناسب أن

نشير في هذه العجالة إلى مصدرين متخصصين من بين جريدة المصادر الواسعة، أفردا لجمع أخبار عمر بن عبدالعزيز وعرضها بشكل مرتب على أساس الزمان أولهما سيرة عمر بن عبدالعزيز برواية الإمام مالك بن أنس والتي حفظها عبدالله بن عبدالحكم من أعين بن ليث المصري، أبو محمد (عاش من ١٥٥/٢١٤هـ / ٧٧٢ ـ ٨٢٩م) وهو مؤرخ فقيه ثقة، لعل كتابه هذا هو أقدم ما حفظ لنا من كتب التراث الإسلامي في إطار تاريخ الأفراد، من عصر صدر الإسلام. أما الثاني فهو سيرة عمر بن عبدالعزيز لعبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي التميمي البكري البغدادي الحنبلي المعروف بأبي الفرج ابن الجوزي المحدث الحافظ المفسر الفقيه الواعظ الأديب المؤرخ العالم (عاش من ٥١٠ ـ ٥٩٧هـ / ١١٦ ـ ١٢٠١م) الذي جمع أخبار عمر بن عبدالعزيز ورتبها أبواباً حسب المواضيع.

وفي العصر الحديث ظهر من بين الباحثين من أولى الموضوع رعايته في الكتابة العامة التي وإن كانت تعتمد على النصوص فإنها لم تهتم بجانب محدد من جوانب عصر هذا الخليفة الزاهد وتتعمق فيه فتفصل وتسبر غور الأحداث فتقدم دراسة عميقة متخصصة، إنما حاول أصحابها أن يقدموا دراسة شاملة، لذلك جاءت دراساتهم عامة ومتعجلة في أغلبها، مع أن البعض قد حالفه التوفيق فقدم من خلالها عروضاً أدبية تاريخية شيقة.

والبحث الذي أقدمه للقارىء الكريم في هذا الكتاب، هو دراسة علمية جادة عن «عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم» تقدمت به باحثة جادة من بين طالبات الدراسات العليا للتاريخ الإسلامي في جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

والبحث في مجمله يتألف من ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتخلص بعدها إلى خاتمة بنتائج البحث. وقد حاولت الباحثة أن تقدم في الفصل الأول صورة متوازنة من خلال ترجمتها لعمر بن عبدالعزيز في مرحلة ما قبل وصوله إلى الخلافة فاستعرضت نسبه ونشأته وتحصيله العلمي وحياته الخاصة والمناصب التي يشغلها مركزةً على ولايته على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والتي اتسعت

فيما بعد لتشمل مكة المكرمة والطائف والتي انعكست من خلالها مدى حرصه على العدالة وتطبيق أحكام الشريعة السمحاء ومدى مقته للعدوان والظلم.

ولعل الفصل الثاني يمثل الجانب الثاني من الترجمة الشخصية لعمر بن عبدالعزيز، فقد اختص بحث «عمر الخليفة» حيث ركزت الباحثة على دراسة الظروف التي لابست استخلافه، وفصلت في منهجه في إدارة الدولة الإسلامية، وأبرزت دوره في إصلاح الأوضاع العامة وفي نشر الدعوة الإسلامية السمحاء، وفي اعتقادي فإن هذا الفصل يمثل محور البحث الرئيس الذي دارت عليه جوانب البحث الأخرى ذلك أن «سياسة عمر بن عبدالعزيز في رد المظالم» إنما هي جزء من منهجه في إدارة الدولة كما انها إحدى خطوات الإصلاح المهمة كما انها كانت عنصراً فاعلاً في استئناف نشر الإسلام.

ولقد توسعت الباحثة في تعقب واستقصاء البحث في المظالم إذ أنها قدمت عرضاً ولأصولها في اللغة والمصطلح وتابعت تاريخ نشأتها مع استعراض مفصل عن المظالم في العصر الأموي وأنواعها قبل أن تركز على سياسة عمر بن عبدالعزيز في رد المظالم حيث بدا بنفسه قبل أن يبادر إلى رد مظالم بني أمية ــ وقد أسهبت في ذلك حيث استعرضت أسلوبه في التعامل مع امراء البيت الأموي واثر ذلك عليهم وعلى الأمة.

أما خاتمة البحث فقد لخصت فيها الباحثة الفاضلة أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة الجادة. ولقد بذلت الباحثة في الواقع جهداً كبيراً في استقصاء جمع مادتها من مظانها الأساسية وحللت النصوص وناقشت الآراء المختلفة وكانت في الأعم الأغلب تقف موقفاً متميزاً لعلهُ انعكاسٌ لمواقف علماء السلف في رأيهم في أن عمر بن عبدالعزيز قد «أحيا السنّة وأمات البدعة ونشر العدل وقمع الظلمة من أهل بيته وغيرهم، ورد المظالم التي كان الحجاج بن يوسف وغيره ظلموها للمسلمين، وقمع أهل البدع كالذين كانوا يسبون علياً، وكالخوارج الذين كانوا يكفرون علياً وعثمان ومن والاهما، وكالقدرية مثل غيلان القدري وغيره وكالشيعة الذين كانوا يثيرون الفتن، بعلمه ودينه وعدله».

وإنه لجهد مشكور يستحق كل رعاية وعناية وتقدير، أسألهُ تعالى أن يجعل العمل خالصاً لوجهه وأن يثيبها عليه من فضله وإحسانه، وإني إذ أعلم أن الباحثة الكريمة قد سارت قدماً في تعميق دراستها في حقل دراسة التاريخ السياسي الإسلامي مع التركيز على جانب العلاقات الدولية وفي إطار دراسة بلاد الشام، فإني لأدعو الله لها بالتوفيق والسداد وأسأله لها العون والفلاح وأن ينفع بهذه الجهود القيمة الإسلام والمسلمين.

«فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض».

وهو الهادي إلى سواء السبيل وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ؟ .

حسام الدين السامرائي

مكة المكرمة

غرة ربيع الثاني ١٤٠٦هـ

المقـــدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

حمداً لك يا رب أن وفقتني في بحثي هذا عن الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبدالعزيز فحصلت به على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي من جامعة أم القرى.

وبالرغم من أن شخصية الخليفة عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ وعهده المبارك كانا ولا يزالان ـ قديماً وحديثاً ـ ميداناً مرغوباً لدى الباحثين في علوم الشريعة والإدارة والسياسة والتاريخ، وبالرغم من استقصاء الكثيرين من الكتاب والمؤرخين لحياة هذا الخليفة الزاهد، اتجهت إلى الله سبحانه وتعالى ضارعة أن يمنحني التوفيق والسداد فيما قصدت إليه من البحث حول شخصية هذا العلم الفذ من أعلام الإسلام، وخلافته القصيرة زمناً، والطويلة العميقة أثراً في المجتمع الإسلامي.

ولا أخفي سراً أن نفسي امتلأت رهبة في بداية الأمر من اختيار هذا الموضوع لعدة عوامل، **لعل أولها** ـ وهو ما أشرت إليه سابقاً ـ كثرة ما كتب فيه، وكثرة من تناولوه بالبحث من زواياه المختلفة، غير أن ثمة خاطر دفعني وأقنعني ببحث هذا الموضوع، ذلك أن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يذكر «أن

الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»[1] كان يلح علي باعتبارنا على رأس المائة الرابعة عشرة من تاريخ المسلمين، وعمر بن عبدالعزيز واحد ممن جددوا دين الأمة على رأس المائة الثانية، فكانت فرصة لدراسة واحد من هذه الأمثلة التي تتطلع إليها الأمة الإسلامية في تاريخها المعاصر.

والعامل الثاني: أن عمر بن عبدالعزيز في أكثر ما قرأت عنه صور من زاوية واحدة، وهي زهده على حساب سيرته كخليفة مرموق ارتفع إلى مستوى الخلفاء الراشدين في رأي الغالبية العظمى ممن كتبوا عنه، فكانت هذه فرصة لدراسة تاريخه كحاكم وخليفة.

والعامل الثالث: أنه قد استهواني دراية بالعنوان الذي هو دراسة المظالم، وموقف عمر بن عبدالعزيز لشدة حاجة المسلمين في الوقت الحاضر إلى من يرد لهم مظالمهم، ويحيي ما أميت من سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، ويميت ما انتشر في الأمة الإسلامية المعاصرة من البدع.

ورابع الأسباب: أن عمر واحد من السلف الصالح، وما أحوجنا إلى أن نعود بحياتنا إلى ما كانت عليه على عهد السلف حتى يستقيم أمر الأمة الإسلامية، ويصفوا لها زمانها، وتستعيد أمجادها.

وفي هذا التقديم لا بد من الإشارة إلى بعض الجهود العلمية السابقة التي تناول فيها أصحابها شخصية عمر بن عبدالعزيز وخلافته بالبحث والدراسة، مبتدأة بمن تناولوا سيرته بشكل مستقل، ثم بعد ذلك من تناولوه ضمن دراسات أخرى، ومن أقدم الدراسات التي تناولت سيرته بشكل مستقل كتاب «سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه» وهو لأبي محمد عبدالله بن عبدالحكم المصري المالكي (ت ٢١٤هـ)[2].

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ): **البداية والنهاية** (ط. بيروت) ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م، ٩/ ٢٠٧.

(٢) عبدالله بن عبدالحكم (ت ٢١٤هـ): **سيرة عمر بن عبدالعزيز، على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه** (ط. دمشق) ١٣٧٣هـ ــ ١٩٥٤م.

ولا شك أني أفدت من هذا الكتاب فائدة جليلة في بحثي من أوله إلى نهايته، وكثيراً جداً من النصوص التي تضمنها البحث نقلتها منه، فهو الراوي الثقة المأمون على ما نقله من شيخه وأستاذه مالك بن أنس[1]، وهي نصوص تدور حول حياة عمر منذ البداية وحتى اليوم الأخير من حياته المباركة السخية، شاملة أكثر ما يتصل بعهده وسياسته في إدارة الدولة الإسلامية المترامية الأطراف.

أما الكتاب الثاني فهو: «أخبار أبي حفص عمر بن عبدالعزيز رحمه الله وسيرته» لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري (ت ٣٦٠هـ)[2].

ولا شك أيضاً أني أفدت منه في بعض جوانب هذا البحث، فهو الراوي الثقة المأمون[3] على ما أخبر به من سيرة عمر بن عبدالعزيز. التي تناولها بإيجاز مورداً أهم أخباره التي مكنتني خلالها من الوقوف على جوانب حياة عمر بن عبدالعزيز بشكل واضح.

أما الكتاب الثالث فهو: «سيرة عمر بن عبدالعزيز» لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)[4] وقد بين ابن الجوزي في مقدمة كتابه هذا سبب تأليفه لهذا المؤلف، فقال: «أفردت لكل شخص من أعلام كل زمن وأخياره كتاباً للإعلام بأخباره. ورأيت أخبار عمر بن عبدالعزيز أحق بالذكر

---

(١) انظر عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) **الجرح والتعديل**، (ط. حيدر آباد)، طبع بين عامي ١٣٧١هـ ـ ١٣٧٣هـ، ٢/٢/١٠٦، وأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ)، **تهذيب التهذيب**، (ط. حيدر آباد)، طبع بين عامي ١٣٢٥هـ ـ ١٣٢٧هـ، ٥/٣٨٩ ـ ٣٩٠.

(٢) محمد بن الحسين بن عبيدالله الآجري، (ت ٣٦٠هـ): **أخبار أبي حفص عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وسيرته**، تحقيق عبدالله عبدالرحيم عسيلان، (ط. بيروت) ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

(٣) انظر عبدالرحمن بن الجوزي، (ت ٥٩٧هـ): **صفة الصفوة**، تحقيق محمود فاخوري، (ط. بيروت) ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ٢/٢٦٥.

(٤) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، تحقيق محب‌الدين الخطيب، مكتبة المنار، مطبعة المؤيد بمصر ١٣٣١هـ.

لأنها تنبه أولي الأمر على أولي الأمر، وتعين الزاهد في الدنيا على حمل أعباء الصبر، فلذلك آثرت جمع آثاره واخترت ضم أخباره، ولعلها تجمع لقارئها شمل دينه، ويقوي تكرارها على فكره أزر يقينه. فإن هذا الرجل قدوة لأرباب الولايات والولايات»[1]، فجاء كتابه هذا نظراً لتقصيه أخبار الخليفة عمر أوسع وأشمل كتاب جمع أخباره، وقد أفدت من هذا الكتاب فائدة كبيرة في كتابة بحثي من أوله إلى آخره، وجانباً كبيراً من النصوص التي تضمنها بحثي نقلتها منه.

أما المجموعة الثانية من الكتب التي رجعت إليها في هذا البحث: فهي المراجع الحديثة التي تناولت بالبحث والدراسة حياة عمر بن عبدالعزيز، وهي كثيرة إلا أنني اقتصرت فيها على تتبع مناهج مؤلفيها في البحث، لأن المصادر الأصلية أغنتني في المادة العلمية، وعلى رأس هذه المراجع كتاب «عمر بن عبدالعزيز» لأحمد زكي صفوت[2]. فهذا الكتاب من المراجع الهامة في حياة عمر بن عبدالعزيز ولا غنى للباحث من الاطلاع عليه، فقد تحدث مؤلفه فيه عن حياة عمر منذ ولادته إلى يوم وفاته.

أما الكتاب الثاني فهو: «الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز» لعبدالعزيز سيد الأهل[3] وهذا الكتاب من المراجع التي حاولت أن تغطي جوانب حياة عمر بن عبدالعزيز كلها.

والكتاب الثالث الحديث الذي وقع تحت يدي هو: «ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبدالعزيز» لعمادالدين خليل[4]، وقد نحا فيه مؤلفه

---

(١) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢.

(٢) أحمد زكي صفوت: **عمر بن عبدالعزيز**، الطبعة الثالثة، (ط. القاهرة) ١٩٦٦م.

(٣) عبدالعزيز سيد الأهل: **الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز**، (ط. بيروت) ١٩٧١م.

(٤) عمادالدين خليل: **ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبدالعزيز**، الطبعة الخامسة، (ط. بيروت) ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

إلى منهج التحليل، وذكر هو عن نفسه في مقدمة كتابه أنه جمع بين المؤرخ والفنان، لأن المؤرخ الفنان في نظره «يسعى للبحث في أعماله عن كل الارتباطات الظاهرة والخفية بين سائر ما يعرضه علينا التاريخ من أحداث ووقائع ومعطيات...»[1].

وإلى جانب تلك الدراسات التي تناولت سيرة عمر بن عبدالعزيز بشكل مستقل، فإن ثمة مصادر أخرى تناولت حياة عمر بن عبدالعزيز بالبحث والتقصي لأخباره ضمن ما تناولته من موضوعات أخرى، واعتمدت عليها في كتابة هذا البحث، وجعلتها أساساً لجميع جوانبه، وذلك لقرب عهدها به، ولا أكون مبالغة إذا قلت أن أكثر المصنفات التاريخية والتراجم قد جمعت أخباره وتوسعت فيها، فأوضحت أكثر جوانب حياته وأعماله، ويأتي على رأسها جميعاً كتاب «الطبقات الكبرى» لمحمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)[2] والذي يمثل دراسة شاملة لسير وتراجم رواة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب مراكز تواجدهم من صحابة وتابعين وخلفاء في القرن الأول والثاني وبداية القرن الثالث الهجري إضافة إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد أفدت من القدر الكبير الذي ذكره عن عمر بن عبدالعزيز في كتابه حيث أفرد له ثمانياً وسبعين صفحة إفادة كبيرة في بحثي كله، إذ جعلته أساساً في كتابتي عنه وذلك كما أشرت سابقاً لقرب عهده بعهد عمر، ولأنه راوية ثقة في كل الأخبار التي رواها[3].

---

(١) خليل: **ملامح الانقلاب الإسلامي**، ص ١٠.

(٢) محمد بن سعد «كاتب الواقدي»، (ت ٢٣٠هـ): **الطبقات الكبرى**، (ط. بيروت ١٣٧٧هـ، ١٩٥٧م، ٥/ ٣٣٠.

(٣) انظر ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ٣/ ٢/ ٢٦٢؛ وابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٩/ ١٨٢ ـ ١٨٣؛ وشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت ٧٤٨هـ): **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، بتحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، (ط. بيروت)، بيروت ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م، ٣/ ٥٦٠.

أما الكتاب الثاني فهو: «تاريخ خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ)[١] فهو يعتبر أقدم تاريخ حولي إسلامي وصل إلينا، فقد اهتم خليفة في مصنفه هذا اهتماماً بالغاً بوضع جداول بأسماء الولاة والموظفين وغيرهم من عمال الدولة في فترة خلافة كل خليفة، كما اهتم بذكر أسماء الشهداء في الغزوات والفتن الداخلية.

ولا شك أني أفدت من هذا الكتاب وخصوصاً من الجداول الحاوية على أسماء عمال عمر بن عبدالعزيز وغيره من الخلفاء وكذلك في تحقيق الكثير من الحوادث والوفيات التي تعرضت للحديث عنها في جوانب البحث، فهو راوية ثقة[٢].

أما الكتاب الثالث الذي أفدت منه كثيراً فهو: كتاب «المعرفة والتاريخ» لأبي يوسف يعقوب بن سفيان البسوي (ت ٢٧٧هـ)[٣] ويمثل هذا الكتاب دراسة شاملة لتراجم رواة حديث رسول الله من الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم، وبيان أحوالهم، إلى جانب موضوعات أخرى تحدث عنها كذكره أسماء قضاة البصرة وفضائلها، وفضائل مصر والشام وغيرها، وقد أسهب البسوي في بعض تراجم رواة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم عمر بن عبدالعزيز فشملت أخباره أكثر نواحي حياته الاجتماعية والسياسية والعلمية، وقد أفدت من هذا الكتاب فائدة كبيرة، وشطر لا بأس به من النصوص التي تضمنها بحثي منقولة منه، لأنه راوية ثقة[٤].

---

(١) خليفة بن خياط بن خليفة البصري، (ت ٢٤٠هـ): **تاريخ خليفة بن خياط**، بتحقيق أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، (ط. بيروت)، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

(٢) انظر الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، (ط. بيروت)، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م، ٢/٤٣٦؛ وابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٣/١٦١.

(٣) أو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي (ت ٢٧٧هـ): **المعرفة والتاريخ**، بتحقيق أكرم ضياء العمري، (ط. بيروت)، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

(٤) انظر الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢/٥٨٢؛ وابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ١١/٣٨٦؛ وأبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي، (ت ١٠٨٩هـ): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، (ط. بيروت)، بدون تاريخ ٢/١٧١.

ثم كتاب «تاريخ الرسل والملوك» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)[١] وهذا المصنف الكبير غني عن التعريف به وبمؤلفه العظيم، ولقد أكثرت من الأخذ عنه والاستشهاد بنصوصه ورواياته عن أخبار عمر وخلافته.

أما الكتاب الرابع فهو: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠)[٢] الذي يعد أكبر موسوعة شملت تاريخ المشاهير من الزهاد والنساك في الأمة الإسلامية، بدأهم بسيرة أبي بكر رضي الله عنه، ثم ذكر زهاد الصحابة من أهل الصفة ثم التابعين وتابعيهم إلى عصره، وقد شمل هذا الكتاب ترجمة واسعة لعمر بن عبدالعزيز والتي أفادتني فائدة كبيرة.

أما الكتاب الأخير في هذه المجموعة فهو: «مخطوط تاريخ مدينة دمشق الكبير» لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ)[٣] وهو مصنف ألفه على نسق تاريخ بغداد لأبي بكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)[٤] في ثمانين مجلداً أدهش به العلماء لاتساعه وكبره، إذ أورد فيه تراجم للأعيان والرواة والمحدثين والحفاظ وسائر أهل السياسة والعلم منذ صدر الإسلام إلى أيامه، ممن نزل دمشق أو مر بها، اعتمد فيه على الإسناد وقد استعنت به في كتابة بحثي وجعلته أساساً في العديد من جوانبه، إذ وجدت فيه أخباراً لم أجدها في غيره مثل ترجمات لبعض أولاد

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ): **تاريخ الرسل والملوك**، بتحقيق محمد بن أبي الفضل إبراهيم، (ط. القاهرة)، ١٩٧١م.

(٢) أحمد بن عبدالله الأصبهاني، (ت ٤٣٠هـ): **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، (ط. بيروت) ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٧م.

(٣) علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، (ت ٥٧١هـ): **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل واجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، مخطوط المكتبة الظاهرية في دمشق رقم ٣٣٧٧.

(٤) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، (ت ٤٦٣هـ): **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، (ط. بيروت) بدون سنة الطبع.

عمر بن عبدالعزيز، هذا وقد أفرد ابن عساكر لعمر في مخطوطه ترجمة واسعة شاملة ضمنها ستاً وثلاثين ورقة، تعرض فيها للحديث عن جوانب حياة عمر كلها منذ ولادته إلى موته.

وإلى جانب ما ذكرته من مصادر اعتمدت أيضاً على كتب المحدثين لأنها زاد دسم لا ينفذ، موثقة دقيقة في رواياتها في تحقيق الشخصيات التي لها صلة وثيقة بعمر بن عبدالعزيز، وعلى رأسها كتاب «الجرح والتعديل» لأبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) وهو مصنف يحتوي على تراجم رواة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم جرحاً وتعديلاً استوعب جميع أحكام أئمة الجرح والتعديل لهؤلاء الرواة.

وهناك مجموعة كتب هامة أعانتني في إعداد هذا البحث، وأعني بها كتب الحافظ الذهبي المتوفى عام ٧٤٨هـ، وهي:

- «تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام»[1].
- «تذكرة الحفاظ».
- «سير أعلام النبلاء»[2].
- «ميزان الاعتدال في نقد الرجال».

فأما كتاباه: تاريخ الإسلام، وسير أعلام النبلاء، فقد تحدث فيهما عن رجال الإسلام في المقام الأول، وعن الحوادث التي لها علاقة بهؤلاء الرجال. وأما تذكرة الحفاظ وميزان الاعتدال في نقد الرجال فهما يتحدثان بشكل خاص عن طبقات العلماء من الحفاظ والمحدثين.

كما استعنت في كتابة بحثي هذا بعدد من المصادر التي تحدثت عن النظام المالي في الإسلام، وخاصة عن إصلاحات عمر بالنسبة للصدقات والخراج وموقفه من أهل الذمة والموالي وعلى رأسها: «كتاب الخراج» لأبي يوسف

---

(١) الذهبي: **تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام**، (ط. القاهرة)، ١٣٦٩هـ.
(٢) الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، الطبعة الأولى، (ط. بيروت)، ١٤٠١هـ — ١٩٨١م.

يعقوب بن إبراهيم صاحب أبي حنيفة (ت ١٨٢هـ)[١] ويعد كتابه هذا من أوائل الكتب التي تناولت موارد الدولة المالية، كما تكلم فيه إلى جانب ذلك عن رأي الإسلام في عدة أمور. مثل العلاقات الدولية، والجنايات...

وأما الكتاب الثاني فهو: «كتاب الخراج» ليحيى بن آدم بن سليمان القرشي (ت ٢٠٣هـ)[٢] الذي ألفه على نسق كتاب أبي يوسف إلا أنه لم يتطرق للموضوعات الأخرى التي تناولها أبو يوسف إضافة إلى كلامه عن الخراج.

والكتاب الثالث والأخير في هذه المجموعة هو: «كتاب الأموال» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)[٣] ويعد هذا الكتاب أشمل وأوسع من الكتابين السابقين من ناحية تناوله للنظام المالي في الإسلام، وهو أحسن كتاب صنف في هذا الموضوع وأجوده.

---

(١) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب صاحب أبي حنيفة، (ت ١٨٢هـ): كتاب الخراج، الطبعة الرابعة، (ط. القاهرة)، ١٣٩٢هـ.

(٢) يحيى بن آدم بن سليمان القرشي (ت ٢٠٣هـ): كتاب الخراج، بتحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، (ط. القاهرة)، ١٣٨٤هـ.

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام الجمحي، (ت ٢٢٤هـ): الأموال، بتحقيق محمد خليل هراس، الطبعة الثانية، (ط. القاهرة)، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.



خطـة البحث

وبعد؛ فتلك هي المصادر التي اعتمدت عليها في بحثي الذي اشتمل على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة: فأما المقدمة فقد سلف أن بينت فيها سبب اشتغالي بهذا الموضوع وأهميته في التاريخ الإسلامي، ونوهت بذكر طائفة من المصادر والمراجع التي كانت عوناً لي في إعداد بحثي.

وأما **الفصل الأول** فهو بعنوان: «حياة عمر قبل توليه الخلافة»، وقد قسمته أربعة مباحث، أولها: عن نسبه ونشأته، والثاني عن حياته العلمية، أما الثالث فهو عن حياته الاجتماعية، ويأتي المبحث الرابع خاصاً بولايته على المدينة.

أما **الفصل الثاني** فهو بعنوان: «عمر الخليفة»، وفيه كـذلك أربعـة مباحث، جاءت عـلى النحو الآتي: فـالأول يبحث «الظروف التي لابست استخلافه، والثاني يتناول «منهج عمر بن عبدالعزيز في إدارة الدولة الإسلامية»، والمبحث الثالث بعنوان: «على طريق الإصلاح»، أما المبحث الرابع فهو عن «دوره في نشر الإسلام».

أما **الفصل الثالث والأخير**، فقد أفردته للحديث عن «سياسة عمر في رد المظالم»، ويشتمل على مبحثين اثنين، الأول بعنوان «المظالم قبل خلافة عمر بن عبدالعزيز»، والثاني يتناول «سياسة عمر في رد المظالم».

أما **الخاتمة** فقد ضمنتها عرضاً موجزاً ومركزاً لما اشتمل عليه البحث من نتائج علمية انتهيت إليها ــ بتوفيق الله وعونه. وأسأله سبحانه أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه، فمنه وحده العون، وبه التوفيق وله الحمد والشكر كله.

الفصل الأول
حياة عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة

ويشتمل على:

المبحث الأول: نسبه ونشأته.

المبحث الثاني: حياته العلمية.

المبحث الثالث: حياته الاجتماعية.

المبحث الرابع: ولايته على المدينة.

المبحث الأول

نسبه ونشأته

نسبه:

هو عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصي الأموي القرشي(١).

وأمه هي أم عاصم ليلى ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب(٢).

كنيته:

ويكنى عمر بن عبدالعزيز بأبي حفص(٣). مثل جده لأمه عمر بن الخطاب الذي كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص(٤)، وتروي

---

(١) ابن سعد: ٥/٣٣٠؛ محمد بن حبان البستي، (ت ٣٥٤هـ): **مشاهير علماء الأمصار**، صححه م. فلايشهمر، (ط. القاهرة)، ١٣٧٩هـ ــ ١٩٥٩م، ص ١٧٨؛ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، (مخطوط مجلد ١٣/ ورقة ٣ آب؛ الذهبي: **تاريخ الإسلام** ٤/١٦٤.

(٢) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٣٠، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) **التاريخ الكبير**، تحقيق عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (ط. حيدر آباد) طبع بين عامي ١٣٦٢ ــ ١٣٨٠هـ، ٦/١٧٤؛ عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ): **المعارف**، تحقيق محمد بن إسماعيل عبدالله الصاوي (ط بيروت) ١٣٩٠هـ ــ ١٩٧٠م، ص ١٥٨.

(٣) محمد بن علي بن محمد العمراني (ت ٥٨٠هـ): **الإنباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق قاسم السامرائي (ط. ليدن) ١٩٧٣م، ص ٥٠.

(٤) ابن هشام (ت ٢١٨هـ): **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، (ط القاهرة) ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٥م، ٢/٦٢٩.

كتب التاريخ بشي من التفصيل أخبار هذا النسب الذي ربط عمر بن عبدالعزيز بعمر بن الخطاب رضي الله عنه[1].

والـده:

وقبل أن نواصل الحديث عن عمر بن عبدالعزيز، لا بأس أن نورد نبذة وجيزة عن والده الذي كان له التأثير الكبير في حياة ابنه.

ولد عبدالعزيز بن مروان في المدينة المنورة، ونشأ، وتربى بها[2]. والمدينة يومئذ قريبة العهد برسول الله صلى الله عليه وسلم، وبخلفائه الراشدين، ولا زال يعيش بها كثير من صحابته رضي الله عنهم، يلقنون الناس، ما أخذوه عن النبي من العلم، فتلقى عبدالعزيز منهم، وروى عنهم، وعن أبيه مروان بن الحكم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]، وقد بلغ عبدالعزيز درجة، جعلت كبار مصنفي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، يضعونه بين الثقات من الرواة، فذكره النسائي وابن حبان في الثقات وقال عنه ابن سعد أنه ثقة قليل الحديث[4].

وبلغ به الحرص في تتبع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليكون له هادياً، ومرشداً، أنه أرسل إلى كثير بن مرة الحضرمي، الذي لقى بمدينة حمص سبعين بدرياً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يكتب له بما سمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديث إلا حديث

---

(١) راجع ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٩ ــ ٢٠؛ الآجري: **أخبار رأيي حفص عمر بن عبدالعزيز**، ص ٤٨ ــ ٤٩.

(٢) ابن كثير: **البداية والنهاية** ٥٧/٩؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٣٥٦/٦؛ يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، (ط. القاهرة)، ١٣٨٣هـ ــ ١٩٦٣م، ١٧١/١.

(٣) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٣٩٣/٢؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٥٧/٩؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٣٥٦/٦.

(٤) **الطبقات**: ٢٣٦/٥؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٣٥٦/٦؛ ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة** ١٧٢/١.

أبـي هريرة لأنه موجود لديه[١].

ويكون بهذا من أوائل الجامعين لحديث النبـي صلى الله عليه وسلم. ولم يطل مقام عبدالعزيز بن مروان بالمدينة المنورة، ذلك أن أهل المدينة كانوا قد تمكنوا من إزالة سلطان بني أمية من المدينة عام ثلاثة وستين للهجرة وحوصر الأمويون فيها فضاقت أرضها على مروان بن الحكم، وبنى عمه جميعاً حتى رقيقهم، فاضطروا إلى الرحيل إلى الشام[٢].

وحين استتب الأمر لمروان بن الحكم في بلاد الشام بعد موت معاوية بن يزيد[٣] (ت ٦٤هـ) توجه مروان بن الحكم إلى مصر، لطرد عامل ابن الزبير عنها، وإخضاعها لسلطته[٤]، وبرفقته ابنه عبدالعزيز، الذي دخل مصر على رأس جيش عن طريق أيلة[٥]، وقد تمكن مروان بن الحكم، وابنه عبدالعزيز من الاستيلاء على مصر، وذلك في جمادي الآخرة عام خمسة وستين للهجرة، ثم ولى مروان عليها ابنه عبدالعزيز على صلاتها وخراجها في غرة رجب من العام نفسه[٦]، وأوصاه قبل رحيله عنها إلى الشام بتقوى الله، والإحسان إلى أهلها، والرفق بهم[٧].

وعلى أثر عودة مروان بن الحكم إلى الشام، عقد لابنه عبدالعزيز بولاية

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** ٧/٤٤٨.

(٢) المصدر السابق، ٥/٣٨. الطبري: **تاريخ** ٥/٤٨٢.

(٣) المصدر السابق ٥/٢٢٦؛ الطبري: **تاريخ** ٥/٥٣٧.

(٤) عمادالدين إسماعيل أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ): **المختصر في أخبار البشر** (ط. بيروت)، بدون سنة الطبع، ١/١٩٤.

(٥) بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ): **معجم البلدان** (ط. بيروت ١٣٧٦هـ ــ ١٩٥٧م)، ١/٢٩٢.

(٦) ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/٥٧؛ أحمد بن المقريزي، (ت ٨٤٥هـ): **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، (ط. القاهرة)، ١٢٧٠هـ، ١/٣٠٩ ــ ٣١٠؛ ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة** ١/١٧٤.

(٧) المقريزي: **الخطط** ١/٣٠٩ ــ ٣١٠.

العهد بعد أخيه عبدالملك[1] (ت ٨٦هـ).

ثم توفي مروان في شهر رمضان سنة خمس وستين للهجرة، وتولى الخلافة بعده ابنه عبدالملك، الذي أقر أخاه عبدالعزيز على ولاية مصر[2].

وقد تم على يد عبدالعزيز بن مروان بعض الإصلاحات في مصر، فيشير ابن تغري بردى إلى أن عبدالعزيز هو الذي أشار على أخيه عبدالملك بن مروان، بضرب الدراهم والدنانير، فضربها في سنة ستة وسبعين للهجرة[3]، كما قام بتوسعة مسجد الفسطاط[4].

وقد عرف عن عبدالعزيز الرأفة بالرعية فيذكر الذهبي أنه قال: «ما نظر إلى رجل قط فتأملني إلا سألته عن حاجته. وكان يقول أيضاً: وا عجباً من مؤمن يوقن أن الله يرزقه ويوقن أن الله يخلف عليه كيف يدخر مالاً عن عظيم أجر أو حسن سماع»[5]، ويروى أنه كان حول بيته ألف جفنة كل يوم، ومائة أخرى ترسل على عجل إلى القبائل[6].

وكان عبدالعزيز قد ترك الفسطاط في سنة سبعين إلى الشرقية بعد وقوع الطاعون بها، ثم أعجب بحلوان[7]، فاتخذها مقراً له وبنى فيها الدور

---

(١) ابن سعد: **الطبقات ٥/٢٢٦**؛ الطبري: **تاريخ ٥/٢٣٦**؛ ابن كثير: **البداية والنهاية ٩/٥٧**.

(٢) المقريزي: **الخطط ١/٣١٠**؛ ابن تغري بردى: **النجوم الزاهرة ١/١٧٢**.

(٣) **النجوم الزاهرة ١/١٧٦**.

(٤) محمد بن يوسف الكندي، (ت ٣٥٠هـ): **ولاة مصر**، بتحقيق حسين نصار، (ط. بيروت)، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م، ص ٧٣؛ المقريزي: **الخطط ١/٣١٠**.

(٥) ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ١/١٧٥.

(٦) الكندي: ولاة مصر، ص٧٣؛ ياقوت: معجم البلدان ٢/٢٩٣؛ المقريزي: الخطط ١/٣١٠.

(٧) حلوان: قرية من أعمال مصر، بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل وكان أول من اختطها عبدالعزيز بن مروان لما ولي مصر، وضرب بها الدنانير. ياقوت: معجم البلدان ٢/٢٩٣ ـ ٢٩٤.

والمساجد، وغرس بها الكروم والنخيل[1].

وكان عبدالملك بن مروان قد أراد خلع أخيه عبدالعزيز من ولاية العهد ليعهد إلى ولديه الوليد، وسليمان من بعده، إلا أن قبيصة بن ذؤيب حال دون ذلك على أمل أن يخلصهم الله منه، ولم يمض وقت طويل حتى جاء البريد بنعي عبدالعزيز بن مروان ليلاً إلى عبدالملك الذي بادر في صباح تلك الليلة فأخذ البيعة بالخلافة من بعده لابنيه الوليد وسليمان[2].

وقد توفى عبدالعزيز بن مروان في شهر جمادي الأولى عام خمسة وثمانين[3]

وعندما حضرته الوفاة قال: «ألا ليتني لم أك شيئاً مذكوراً ألا ليتني كنابتة الأرض أو كراعى إبل في طرف الحجاز»[4].

في هذه البيئة الصالحة نشأت النبتة الصالحة عمر بن عبدالعزيز من أم ربيت على التقوى والصلاح، وأب تخلق بخلق القرآن على يد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مـولـده:

اختلف المؤرخون في تاريخ مولد عمر بن عبدالعزيز على خمسة أقوال:

أولها: أنه ولد في عام **٥٩هـ**[5].

والثاني: أنه ولد في عام **٦٠هـ**[6].

---

(١) الكندي: ولاة مصر، ص ٧١؛ ياقوت: معجم البلدان ٢/٢٩٤؛ المقريزي: الخطط ١/٣٠٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٥/٢٣٦.

(٣) الطبري: تاريخ ٦/٤١٣؛ الكندي: ولاة مصر، ص ٧٦؛ المقريزي: الخطط ١/٣١٠؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ٦/٣٥٦؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ١/١٧٤.

(٤) الكندي: **ولاة مصر**، ص ٧٦؛ المقريزي: **الخطط** ١/٣١٠.

(٥) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٢٢.

(٦) محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (ت ٧٦٤هـ): **فوات الوفيات**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (ط. مصر) ١٩٥١م، ٢/٢٠٧.

والقول الثالث: أنه ولد في عام ٦١هـ[١].
أما القول الرابع: أنه ولد في عام ٦٢هـ[٢].
والقول الأخير: أنه ولد في عام ٦٣هـ[٣].
والراجح أنه ولد في عام ٦١هـ، وبه قال أكثر المؤرخين.

مكان ولادته:

وقد اختلف أيضاً على مكان ولادته، فبعضهم يقول أنه ولد في المدينة[٤] وذكر آخرون أنه ولد في مصر[٥].

وهكذا يختلط الرأي في مكان ولادته، كما سبق واختلط في تاريخها، غير أن الراجح أنه ولد في المدينة المنورة وذلك لأن أباه لم يتول إمارة مصر كما ذكر المؤرخون إلا في غرة رجب عام خمسة وستين هجرية، وكان عمر قد ولد بالفعل قبل هذا العهد في عام واحد وستين للهجرة.

نشأتـه:

وقد نشأ عمر في المدينة، حسبما جاء في رواية ابن عبدالحكم[٦] الذي قال:

---

(١) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٢٢؛ البستي: **مشاهير علماء الأمصار**، ص ١٧٨، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ)؛ **جوامع السيرة**، تحقيق إحسان عباس وآخرين (ط. مصر) بدون سنة الطبع، ص ٣٦٢.

(٢) الطبري: **تاريخ** ٥/٤٢٧.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٣٠.

(٤) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٠؛ ابن شاكر الكتبي: **فوات الوفيات** ٢/٢٠٧؛ ابن تغري بردى: **النجوم الزاهرة** ١/٢٤٦.

(٥) خليفة بن خياط: تاريخ، ص ٣٣٢؛ البستي: مشاهير علماء الأمصار، ص ١٧٨؛ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، مخطوط، مجلد١٣/ ورقة ١٣١ ب؛ أبوالفدا: **المختصر في تاريخ البشر** ١/٢٠١؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٩٢؛ عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ): **تاريخ الخلفاء**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (ط. مصر ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢م)، ص ٢٢٨.

(٦) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٠ ــ ٢١.

«فلما شب وعقل وهو غلام بعد صغير كان يأتي عبدالله بن عمر كثيراً لمكان امه منه.

ثم يرجع إلى أمه فيقول: يا أمة أنا أحب أن أكون مثل خالي ــ يريد عبدالله بن عمر ــ فتؤفف به ثم تقول له: اغرب أنت تكون مثل خالك؟ تكرر عليه ذلك غير مرة.

فلما كبر سار أبوه عبدالعزيز بن مروان إلى مصر أميراً عليها، ثم كتب إلى زوجته أم عاصم أن تقدم عليه وتقدم بولدها، فأتت عمها عبدالله بن عمر فأعلمته بكتاب زوجها عبدالعزيز إليها، فقال لها: يا ابنة أخي هو زوجك فالحقي به: فلما أرادت الخروج قال لها. خلفي هذا الغلام عندنا ــ يريد عمر ــ فإنه أشبهكم بنا أهل البيت فخلفته عنده ولم تخالفه، فلما قدمت على عبدالعزيز اعترض ولده فإذا هو لا يرى عمر، فقال لها: وأين عمر؟ فأخبرته خبر عبدالله وما سألها من تخليفه عنده لشبهه بهم، فسر بذلك عبدالعزيز وكتب إلى أخيه عبدالملك بن مروان يخبره بذلك فكتب عبدالملك أن يجري عليه ألف دينار في كل شهر، ثم قدم عمر على أبيه بعد ذلك مسلماً عليه، فأقام عنده ما شاء الله».



المبحث الثاني

حيــاتــه العــلميــة

طلبه للعلم:

تؤكد الروايات أن عمر بن عبدالعزيز، كان ميالاً منذ صغره إلى تحصيل العلم، فقد حفظ القرآن وهو صغير[١]، ولم يقف عند هذا الحد، بل رغب في طلب العلم والتأدب في المدينة، واستجاب أبوه إلى رغبة ولده الصبي وفي هذا الصدد يذكر ابن عساكر «أن أول ما استبين من رشد عمر بن عبدالعزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب إن أباه ولي مصر وهو ــ أي عمر ــ حديث السن يشك في بلوغه فأراد أبوه إخراجه معه إلى مصر من الشام، فقال: ترحلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهائها وأتأدب بآدابهم فعند ذلك أرسله أبوه إلى المدينة، وأرسل معه الخدام فقعد مع مشايخ قريش وتجنب شبابهم»[٢].

شيــوخــه:

١ ــ صالح بن كيسان (ت ١٤٠هـ):

وقد اختار عبدالعزيز لتأديب ولده عمر واحداً من كبار فقهاء المدينة، وهو صالح بن كيسان فكتب إليه يطلب منه تعهد ولده وتأديبه[٣].

---

(١) الذهبي: **تاريخ الإسلام** ٤/١٦٤؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٩٢؛ ابن العماد: **شذرات الذهب** ١/١١٩.

(٢) **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٣ / ورقة ١٣٢ ب، ابن كثير: **البداية والنهاية**: ٩/١٩٣.

(٣) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٣ / ورقة ١٣٢أ؛ ابن كثير: **البداية والنهاية**: ٩/١٩٢.

وصالح بن كيسان هو أحد رواة الحديث الثقات، ويعد في التابعين[1]، وقد وثقه أكثر أئمة الحديث، منهم النسائي، وابن حبان، الذي قال عنه: «إنه من الثقات من فقهاء المدينة والجامعين للحديث والفقه من ذوي الهيئة.. وقال الخليلي في الإرشاد: كان حافظاً إماماً روى عنه من هو أقدم منه عمرو بن دينار... وقال ابن عبدالبر: كان كثير الحديث ثقة حجة فيما حمل»[2].

وقبل صالح بن كيسان كان عمر بن عبدالعزيز قد تتلمذ على عم أمه.

٢ ـ عبدالله بن عمر بن الخطاب (ت ٧٤هـ)[3].

٣ ـ عبدالله بن جعفر بن أبي طالب (ت ٨٠هـ):

ولم يكتف عمر بتلقي الحديث والفقه عن صالح بن كيسان، بل كان يختلف كثيراً إلى مجالس العلماء والفقهاء المعروفين في المدينة آنذاك ليسمع منهم، وفي مقدمتهم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عبدالله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي له صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعه هو وعبدالله بن الزبير وعمرهما لا يتجاوز السابعة كما كفله رسول الله بعد استشهاد والده في مؤتة[4] هو وأخوته وهو آخر هاشمي رأى النبي صلى الله عليه وسلم[5].

٤ ـ السائب بن يزيد (ت ٩١هـ):

ومن أساتذة عمر القدماء: السائب بن يزيد الصحابي، اختلف في أصله وحج مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، وهو ابن سبع سنين[6].

---

(١) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل**، ٢/١/٤١١؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٤/٤٠٠.

(٢) ابن حجر: **تهذيب التهذيب**: ٤/٤٠٠ ـ ٤٠١.

(٣) ابن كثير: **البداية والنهاية**: ٩/٥؛ ابن العماد: **شذرات الذهب**: ١/٨١.

(٤) مؤتة: **قرية من قرى البلقاء في حدود الشام**، ياقوت: **معجم البلدان**: ٥/٢٢٠.

(٥) ابن سعد: **الطبقات** ٤/٣٤؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل**: ٢/٢/٢١؛ عزالدين بن الأثير، (ت ٦٣٠هـ): **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، بدون مكان الطبع، ١٢٨٦هـ، ٣/١٣٣.

(٦) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل**: ٢/١/٢٤١؛ ابن الأثير: **أسد الغابة** ٢/٢٥٧ ـ ٢٥٨؛ ابن كثير: **البداية والنهاية**: ٩/٨٣.

٥ ـ أنس بن مالك (ت ٩٣هـ):

ومن شيوخ عمر بن عبدالعزيز كذلك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، خادم النبي لعشر سنوات كاملة، والراوي عنه طائفة جليلة من سننه الشريفة[1].

٦ ـ يوسف بن عبدالله بن سلام (ت ١٠١هـ):

ومن أساتذة عمر من الصحابة كذلك يوسف بن عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ثم الأنصاري، الذي اختلف في صحبته للنبي عليه الصلاة والسلام، فقال البخاري: له صحبة، بينما قال آخرون إنما له رؤية فقط، وليست له صحبة لصغره[2].

ومن كبار التابعين الذين تلقى عنهم وتتلمذ عليهم عمر بن عبدالعزيز: فقهاء المدينة السبعة الذين كانوا مصابيح هادية لطلاب العلم في الآفاق، فهم ورثة علم الصحابة رضي الله عنهم، ثم كانوا بعدئذ أنشط الناس في نشر هذا العلم وإشاعته في المجتمع الإسلامي، حيث قصدهم جمع عظيم من الراغبين في علوم الإسلام من جميع الأقطار الإسلامية...

ولقد صحبهم عمر بن عبدالعزيز بالمدينة وقتاً طويلاً، منذ بداية عهده بالطلب، وحين كان أميراً على المدينة، في عهد الوليد بن عبدالملك (ت ٩٦هـ).

وهـم:

* سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي، المدني (ت ٩٤هـ)[3].

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** ٧/١٧؛ ابن كثير: **البداية والنهاية**: ٩/٨٨ ـ ٨٩؛ يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر (ت ٤٦٣)؛ **الاستيعاب في أسماء الأصحاب** (ط مصر ١٣٢٨هـ، ١/٧١ ـ ٧٢.

(٢) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٢٥؛ ابن عبدالبر: **الاستيعاب**: ٢/٣٨٢، ٣/٦٧٩؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب**: ١١/٤١٦.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٥/١١٩ ـ ١٤٣؛ الذهبي: **تذكرة الحفاظ** ١/٥٤ ـ ٥٦؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/٩٩ ـ ١٠٠؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب**: ٤/٨٤.

* وعروة بن الزبير بن العوام، القرشي الأسدي، المدني (ت ٩٤هـ)(١).

* وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة، القرشي المخزومي، المدني (ت ٩٤هـ)(٢).

* وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي المدني (ت ٩٨هـ)(٣).

* وخارجة بن زيد بن ثابت بن الضحاك، الأنصاري، الخزرجي، المدني (ت ١٠٠هـ)(٤).

* وسليمان بن يسار أبو أيوب، الهلالي، المدني، مولى أم المؤمنين ميمونة الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم (ت ١٠٧هـ)(٥).

ويأتي القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، القرشي، التيمي، المدني، آخرهم وفاة في سنة ١٠٨هـ(٦).

وليس من قبيل المبالغة أن أقول: إن هؤلاء الفقهاء الكبار كانوا أكثر تأثيراً في عمر، وإن شخصيته العلمية تدين لهؤلاء الرجال الأعلام بالكثير.

ولم يكن هؤلاء الذين ذكرناهم شيوخ عمر وأساتذته فحسب، بل هناك

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** ١٧٨/٥ ــ ١٨٢؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل**: ٣٩٥/٣؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب**: ١٨٠/٧ ــ ١٨٤.

(٢) ابن سعد: **الطبقات** ٢٠٧/٥ ــ ٢٠٨؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل**: ٣٣٦/٢/٤؛ ابن كثير: **البداية والنهاية**: ١١٥/٩ ــ ١١٦.

(٣) ابن سعد: **الطبقات**: ٣٥٠/٥؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل**: ٣١٩/١/١؛ الذهبي: **تذكرة الحفاظ**: ٧٩/١.

(٤) ابن سعد: **الطبقات** ٢٦٣/٥؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ١٨٧/٩؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب**: ٧٥/٣.

(٥) ابن سعد: **الطبقات** ١٧٤/٥ ــ ١٧٥؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ١٤٩/١/٢؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٢٢٨/٤.

(٦) ابن سعد: **الطبقات** ١٨٧/٥ ــ ١٩٤؛ الذهبي: **تذكرة الحفاظ** ٩٦/١ ــ ٩٧؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٣٣٣/٨.

غيرهم من علماء العصر، تلقى عنهم عمر وتتلمذ عليهم، نكتفي هنا بذكر أسماء بعضهم على سبيل المثال، فمنهم:

أبو بكر بن سليمان بن أبـي حثمة[1].

والربيع بن سبرة الجهني[2].

وأبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف الزهري (ت ٩٤هـ)[3].

منزلته بين علماء عصره:

وهكذا تتلمذ عمر بن عبدالعزيز على يد هؤلاء العلماء المتضلعين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن التابعين، الذين كان كل واحد منهم علماً من أعلام الإسلام، هذا فضلاً عن أبيه عبدالعزيز بن مروان الذي علمه وأدبه فحذق علوم الإسلام واللغة العربية، وقرض الشعر وفي هذا يروى عن نفسه فيقول: «ولقد رأيتني وأنا بالمدينة غلام من الغلمان ثم تاقت نفسي إلى العلم إلى بالعربية فالشعر فأصبت منه حاجتي»[4].

فلما اكتمل له هذا العلم غدا بحق إماماً يقتدى به، وشهد له العلماء بذلك منهم مالك، وابن عيينة[5]، وكذلك الذهبـي، الذي قال عنه: «وكان إماماً فقيهاً مجتهداً عارفاً بالسنن كبير الشأن ثبتا حجة حافظاً قانتاً لله أواها

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** ٢٢٣/٥؛ عبدالرحمن بن عمرو بن عبدالله بن صفوان النصري أبو زرعة الدمشقي (ت ٢٨١هـ)؛ **تاريخ أبـي زرعة الدمشقي**، تحقيق شاكرالله بن نعمة الله القوجاني (ط دمشق) ١٩٨٠، ٤١٤/١؛ ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ٣٤١/٢/٤.

(٢) ابن سعد: **الطبقات** ٣٤٨/٤؛ ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ٤٦٢/٢/١؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٤٤/٣.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ١٥٥/٥ ــ ١٥٧؛ الذهبـي: **تذكرة الحفاظ** ٦٣/١؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١١٦/١٢ ــ ١١٧.

(٤) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٩.

(٥) البخاري: **التاريخ الكبير** ١٧٥/٦؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٤٧٨/٧.

منيباً»[1]، ويؤيد هذا رواية البخاري وابن عساكر عن أيوب الذي قال: «لا نعلم أحداً ممن أدركنا كان آخذاً عن نبي الله منه يعني عمر بن عبدالعزيز»[2].

وأثناء بحثي في أمهات الكتب، لجمع مادة موضوعي لاحظت أنه لم تخل أكثر كتب الفقه أو الحديث أو الأموال من الإشارة إلى عمر بن عبدالعزيز والاستشهاد برأيه، واجتهاده[3]، لكونه من الأئمة المجتهدين، في هذه العلوم[4] وليس أدل على ذلك من قول الإمام أحمد: «لا أدري قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبدالعزيز»[5]، كما وضعه ابن حبان في ثقات التابعين[6]، ووضعه الذهبي في علمه مع الزهري[7]، وقال عنه ابن سعد، بأنه كان ثقة، مأموناً له علم وفقه وورع وروى حديثاً كثيراً[8].

ويروى أن ابن شهاب الزهري دخل على عمر بن عبدالعزيز فحدثه حديثاً كثيراً فقال له عمر: كل ما حدثتني به قد سمعته ولكني حفظت ومن ثم

---

(١) **تذكرة الحفاظ** ١/١١٨.
(٢) **التاريخ الكبير** ٦/١٧٥؛ **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٣ / ورقة ١٣٥ب.
(٣) الإمام مالك بن أنس ت (١٧٩هـ): **الموطأ** تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي (ط القاهرة ١٣٧٠هـ ــ ١٩٥١م)، الصفحات ١/٢ ــ ٤، ص ٢٥٥، ٢٧٠، ص ٢٧٧ ــ ٢٨٠، ٢/٧٢٢، ص ٧٢٥، انظر: الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ): **الأم** (ط بيروت)، ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م على سبيل المثال: ٢/٣٩، ٤٦، ٥٩، ٤/١٥٢، ٢١٧، ٧/٢٤٥ ــ ٢٤٦. أبو عبيد: **الأحوال** الصفحات: ٥٢، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٦٤، ٦٧، ١٠٨؛ أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي، (ت ٤٥٠هـ): **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، (ط. بيروت)، ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م، ص ٨١ ــ ٨٢.
(٤) الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، (الجزء الخامس، تحقيق شعيب الأرنؤوط) ص ١١٤.
(٥) ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٩٢.
(٦) ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٧/٤٧٨.
(٧) الذهبي: **تذكرة الحفاظ** ١/١١٩.
(٨) الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ٥/١١٥؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٧/٤٧٦.

نسيت[1]، وقال عمر: مرة في معرض حديثه «خرجت من المدينة وما من رجل أعلم مني فلما قدمت الشام نسيت»[2]، وقد بلغ اتساع أفقه وغزارة علمه أنه كان عالماً بأصل كل العلوم (يعني علوم الإسلام) وفروعها فيروى عن الليث بن سعد المصري أنه قال: «حدثني رجل كان قد صحب ابن عمر وابن عباس وكان عمر بن عبدالعزيز يستعمله على الجزيرة قال: ما التمسنا علم شيء إلا وجدنا عمر بن عبدالعزيز أعلم الناس بأصله وفرعه»[3].

ولبيان منزلة عمر بين علماء عصره؛ يروون أنه بعد أن تولى عمر الخلافة جاءه العلماء يظنون أنه محتاج إلى علمهم ومعرفتهم، ولكن الأمر لم يكن كذلك، يقول مجاهد[4]: أتينا إلى عمر بن عبدالعزيز نريد أن نعلمه، ونحن نرى أنه محتاج إلينا، فما برحنا حتى تعلمنا منه، بل واحتجنا إليه، وكان مجاهد قد مر بعمر بن عبدالعزيز وهو في طريقه إلى الغزو[5].

ويروى عن أبي النضر المديني أنه قال: «لقيت سليمان بن يسار خارجاً من عند عمر بن عبدالعزيز، فقلت له: من عند عمر خرجت؟ قال: نعم. قال: فقلت: هو والله أعلمكم»[6].

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٨٥؛ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣، ورقة ١٣٦/أ.

(٢) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣، ورقة ١٣٦/أ؛ الذهبي: **تذكرة الحفاظ** ١/١١٩.

(٣) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣، ورقة ١٣٥/أ؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٩٤.

(٤) هو مجاهد بن جبر مولى السائب بن أبي السائب ويقال لقيس بن السائب المخزومي المكي القرشي التابعي، توفي في مكة سنة ١٠٣هـ. انظر ابن قتيبة: **المعارف**، ص ١٩٦؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١٠/٤٢ ـ ٤٣.

(٥) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٩٨؛ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣، ورقة ١٤٠/ب؛ ابن الأثير: **الكامل في التاريخ** (ط. بيروت) ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م، ٥/٦٢؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٩٤.

(٦) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣، ورقة ١٣٥/أ؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٩٤.

وهكذا سما عمر بعلمه سمواً كبيراً وارتفعت منزلته بين أقرانه من العلماء المعاصرين له سمواً جعلهم يثنون عليه وينعتونه بمعلم العلماء[1].

وقد استحق عمر هذا اللقب عن جدارة بشهادة علماء عصره. قال ميمون بن مهران: «أتينا عمر بن عبدالعزيز ونحن نرى أنه يحتاج إلينا فما كنا معه إلا تلامذة». وفي رواية أخرى: «ما وجدت العلماء عند عمر بن عبدالعزيز إلا تلامذة»[2].

وهذا مما جعل الكثير من علماء عصره يأتونه ليسألوه ويتفقهوا بعلمه، فيروى أن محمداً بن كعب القرظي قال: «اجتمع نفر من علماء أهل الشام وعلماء أهل الحجاز، فكلمنا عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز، فقلنا: نحب أن تسأل عمر ونحن نسمع عن قول الله تعالى: ﴿وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾[3] قال: فسأله ونحن نسمع فقال عمر: سألت عن التناوش وهي التوبة طلبوها حين لم يقدروا عليها»[4].

فقه عمر:

والأمثلة الدالة على علم عمر وتفقهه وتقفيه آثار رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم والاقتداء بسنته كثيرة جداً، ونكتفي بإيراد بعض منها على سبيل المثال.

يروى أن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء المدينة من العراق للحج فصلى خلف واليها عمر بن عبدالعزيز فقال: «ما صليت خلف إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه بصلاة رسول الله من إمامكم يعني عمر بن عبدالعزيز»[5]، فقد كان عمر يخفف القعود والقيام ويتم الركوع

---

(١) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣، ورقة ١٣٥/أ؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٩٤.

(٢) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣، ورقة ١٣٥/أ؛ الذهبي: **تذكرة الحفاظ** ١/١١٩.

(٣) آية ٥٢ من سورة سبأ.

(٤) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٨.

(٥) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٨؛ ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٦.

والسجود، إذ كان يسبح في الركوع والسجود عشراً في كل منهما[1]، وشهادة مثل هذا الصحابـي الجليل كافية للدلالة على فقه عمر وعلمه.

وقد سأل الزهري مرة عمر عن السبب في عدم إتمام التكبير مع أن عامله عبدالحميد بن عبدالرحمن يتمه؟ أجابه: تلك هي الصلاة الأولى ورفض أن يقبل منه[2]. ومن الأمثلة الأخرى التي توضح ذلك أن الوليد بن عبدالملك أراد أن يبايع لولده عبدالعزيز بن الوليد بدلاً من أخيه سليمان بن عبدالملك ولي العهد فرفض عمر ذلك وكانت حجته أن في عنقه بيعة لسليمان فعلم الوليد بهذا، فأمر بسجنه في بيت وأن يطين عليه، فكاد أن يموت لولا تشفع أخته أم البنين فيه وهي زوج الوليد بن عبدالملك وأم عبدالعزيز المراد المبايعة له[3].

ونختم هذه الأمثلة من فقه عمر ببعض ما ذكر عن استشارة عماله له وكذلك قضاته فيما كان يعرض لهم، مع أن عمر كان دقيقاً في اختياره لهم، حيث كان كل منهم علماً من علماء عصره، فقد كتب إليه عدي بن أرطاة عامله على البصرة يسأله في شأن تعذيب بعض المقتطعين من مال الله فقال: «إن قبلي أناساً من العمال قد اقتطعوا من مال الله عز وجل مالاً عظيماً لست أرجو استخراجه من أيديهم إلا أن أمسهم بشيء من العذاب، فإن رأى أمير المؤمنين أصلحه الله أن يأذن في ذلك أفعل؟».

فأجابه عمر:

«أما بعد، فإن العجب كل العجب استئذانك إياي في عذاب بشر، كأني لك جنة، وكأن رضائي عنك ينجيك من سخط الله عز وجل، فانظر من قامت عليه البينة، ومن أقر لك بشيء، فخذه بما أقر به، ومن أنكر فاستحلفه بالله العظيم وخل سبيله، وأيم الله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم أحب إلي من أن ألقى الله عز وجل بدمائهم والسلام»[4].

---

(١) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٦.

(٢) أبو زرعة الدمشقي: **تاريخ** ١/٥٢٠.

(٣) المصدر السابق ١/٥١٩؛ الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ٥/١٤٨ ـ ١٤٩.

(٤) الآجري: **أخبار أبي حفص عمر بن عبدالعزيز**، ص ٧٨؛ وانظر ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٥؛ وابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٨٣.

ومن هذا القبيل أرسل إليه قاضيه على مصر عياض بن عبيدالله الأزدي «أن رجلاً خرج يعد فرساً له في المضمار فصدم امرأة على الطريق فقتلها فأبى مواليه أن يعقلوا عنه وليس يأخذ العطاء وإنا لا نشك أن مواليه كانوا آخذي عقله لو أصيب، وإن منعوا ذلك رأوا أن قد ظلموا فلا يسقطن عندك عقل مسلم».

فكتب إليه عمر:

«إعلم أن عامة هذه الموالي لا تحفظ أنسابها فعاقلها فاجعل ذلك على مواليه قال ابن وهب: أخبرني الليث أن عمر بن عبدالعزيز كتب بذلك»[1].

وأمثلة من بيانه وشعره:

كما كان عمر بن عبدالعزيز فصيحاً بليغاً يروى أن الخليفة عبدالملك بن مروان قال له: «قد زوجك أمير المؤمنين فاطمة بنت عبدالملك فقال: وصلك الله يا أمير المؤمنين فقد أجزلت العطية، وكفيت المسألة، فأعجب به عبدالملك، فقال بعض أولاد عبدالملك: «هذا كلام تعلمه فأداه»[2]، أرادوا بذلك أن يبخسوا بفصاحة عمر وبلاغته إلا أن عبدالملك كان معجباً بعمر وعلمه وفصاحته، ولهذا تحين فرصة دخول عمر عليه مرة ثانية ليثبت لهم ضلال رأيهم فيه فقال له: «يا عمر كيف نفقتك؟ فقال: الحسنة بين السيئتين يا أمير المؤمنين. قال: فما هما؟ قال: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾[3]، فقال عبدالملك: من علمه هذا؟»[4].

وكان عمر بن عبدالعزيز يقرض الشعر فيذكر ابن رشيق في كتابه العمدة بعضاً من شعر عمر بن عبدالعزيز يستشهد به للرد على من كره الشعر وقرضه فمن ذلك قوله:

---

(١) الكندي: **الولاة والقضاة**، صححه رفن كست، (ط. بيروت)، ١٩٠٨م، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

(٢) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٧.

(٣) آية ٦٧ من سورة الفرقان.

(٤) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٧.

أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم؟ وكيف يطيق النوم حيران هائم؟
فلو كنت يقظان الغداة لحرقت جفوناً لعينيك الدموع السواجم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم، والردى لك لازم
وتشغل فيما سوف نكره غبة كذلك في الدنيا تعيش البهائم(١)

ومما أثبته حماد الرواية من شعره:

إنه الفؤاد عن الصبا وعن انقيادك للهوى
فلعمر ربك ان في شيب المفارق والجلا
لك واعظاً ولو كنت تتـ ـعظ اتعاظ ذوي النهى
حتى متى لا ترعوي؟ وإلى متى؟ وإلى متى؟
بلى الشباب وأنت إن عمرت رهن للبلى
وكفى بذلك زاجراً للمرء عن غي، كفى

ومن شعره أيضاً:

ولولا النهى ثم التقى خشية الردى لعاصيت في حب الصبا كل زاجر
صبا ما صبا فيما مضى ثم لا ترى له صبوة أخرى الليالي الغوابر(٢)

تلامذته:

وقبل أن نختم حديثنا عن حياة عمر العلمية، حري بنا أن نلفت الأنظار إلى تلامذته الذين رووا عنه العلم، فعمر كان دائماً وأبداً معطاءاً للخير لم يضن بما عنده من علم اكتسبه على تلاميذه، أو حتى على جلسائه أو عامة رعيته، كلما أتاحت له الظروف ذلك.

وقد روى عنه أكثر من ستين تلميذاً كما أثبتته المصادر من بينهم عدد من

---

(١) الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ): **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (ط. بيروت) ١٩٧٢م، ١/٣٧.
(٢) المصدر السابق ١/٣٧ ـ ٣٨.

شيوخه في حين كتب إليه البعض الآخر يستفتونه فأجابهم[1].

أما شيوخه الذين رووا عنه فهم:

١ ــ أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف الزهري المدني من سادات قريش ومن كبار أئمة التابعين وهو أحد فقهاء المدينة (ت ٩٤هـ)[2].

٢ ــ وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي ثم البخاري المدني أحد المفتين الكبار في المدينة وأعلم أهل زمانه بالقضاء (ت ١٢٠هـ)[3].

٣ ــ ومحمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب الزهري القرشي المدني عالم الشام والحجاز وحافظ زمانه (ت ١٢٤هـ)[4].

كما روى عنه عدد كبير من العلماء الكبار من بينهم:

٤ ــ عمير بن هانىء العنسي الداراني الإمام التابعي الثقة (ت ١٢٧هـ)[5].

٥ ــ ويعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي، المدني الثقة، العالم الورع أحد علماء السيرة (ت ١٢٨هـ)[6].

---

(١) ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٤٧٦/٧.

(٢) ابن سعد: **الطبقات** ١٥٥/٥ ــ ١٥٧؛ الذهبي: **تذكرة الحفاظ** ٦٣/١؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١١٦/٢ ــ ١١٧.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٣٨٣/٢؛ خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٥٠؛ الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ٣١٣/٥ ــ ٣١٤؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٣٨/١٢ ــ ٣٩.

(٤) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٧١/١/٤؛ محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ): **تهذيب الأسماء واللغات** (ط. بيروت) بدون سنة الطبع ٩٠/١/١ ــ ٩٢؛ الذهبي: **تذكرة الحفاظ** ١٠٨/١ ــ ١١٣.

(٥) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٣٧٨/٣؛ الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ٤٢١/٥ ــ ٤٢٢؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١٤٩/٨ ــ ١٥٠.

(٦) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٢١١/٢/٤ ــ ٢١٢؛ الذهبي: **سير أعلام النبلاء** (الجزء السادس تحقيق حسين أسد)، ص ١٢٤؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٣٩٢/١١.

٦ ــ ومحمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير بن عبدالعزى، القرشي التميمي المدني الإمام الحافظ القدوة (ت ١٣٠هـ)[١].

٧ ــ وأيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني العنزي مولاهم، البصري الآدمي الإمام الحافظ سيد العلماء والفقهاء الثقة الصدوق الثبت الحجة العدل من صغار التابعين (ت ١٣١هـ)[٢].

٨ ــ وعمرو بن مهاجر بن أبي مسلم واسمه دينار الأنصاري وهو مولى أسماء بنت زيد (ت ١٣٩هـ)[٣].

٩ ــ وكذلك حميد بن أبي حميد الطويل، أبوعبيدة البصري مولى طلحة الطلحات الإمام، الحافظ الثقة (ت ١٤٣هـ)[٤].

١٠ ــ وعمرو بن ميمون بن مهران الجزري الرقي عامل عمر بن عبدالعزيز على خراج الجزيرة[٥] كان ثقة صدوقاً (ت ١٤٥هـ)[٦].

١١ ــ وإبراهيم بن أبي عبلة شمر بن يقظان بن عبدالله المرتحل الشامي المقدسي الإمام القدوة الثقة الصدوق من بقايا التابعين (ت ١٥٢هـ)[٧].

١٢ ــ والنضر بن عربي أبوروح الباهلي، مولاهم الجزري الحراني، الإمام

---

(١) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٩٧/١/٤؛ الذهبي: **تذكرة الحفاظ** ١٢٧/١؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٤٧٣/٩.

(٢) الذهبي: **تذكرة الحفاظ** ١٣٠/١ ــ ١٣٢؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٣٩٧/١ ــ ٣٩٩.

(٣) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٤١٨؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١٠٧/٨ ــ ١٠٨.

(٤) ابن سعد: **الطبقات** ١٧/٧؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٢٢١/٢/١؛ الذهبي: **تذكرة الحفاظ** ١٥٢/١.

(٥) قال ياقوت في معجم البلدان ١٣٤/٢، جزيرة أقورهي التي بين دجلة والفرات.

(٦) ابن الأثير: **الكامل** ٥٧٢/٥؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١٠٨/٨ ــ ١٠٩.

(٧) ابن الأثير: **الكامل** ٦٠٨/٥؛ الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ٣٢٣/٦ ــ ٣٢٥؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١٤٢/١ ــ ١٤٣.

الثقة، العالم، المحدث (ت ١٦٨هـ)[1].

١٣ ـ كما روى عن عمر عدد من أبنائه وأقربائه من بينهم: ابن عمه مسلمة بن عبدالملك وهو من تابعي أهل الشام لقب بالجرادة الصفراء وهو قائد الجيوش وكان ميمون النقيبة (ت ١٢٠هـ)[2].

١٤ ـ وأخوه زيان بن عبدالعزيز سيد بني عبدالعزيز وفارسهم قتل سنة (١٣١هـ)[3].

ـ ومن أبنائه الذين رووا عنه:

١٥ ـ عاصم بن عمر بن عبدالعزيز (ت ١٢٧هـ)[4].

١٦ ـ وعبدالله بن عمر بن عبدالعزيز (ت ١٣٢هـ)[5].

١٧ ـ وعبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز (ت ١٤٧هـ)[6].

١٨ ـ وإبراهيم بن عمر بن عبدالعزيز[7].

١٩ ـ وإدريس بن عمر بن عبدالعزيز[8].

٢٠ ـ ويزيد بن عمر بن عبدالعزيز[9].

٢١ ـ كما روت عنه زوجته فاطمة بنت عبدالملك بن مروان[10].

---

(١) الذهبي: **سير أعلام النبلاء** (الجزء السابع تحقيق علي أبو زيد)، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٥؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١٠/٤٤٢ ـ ٤٤٣.

(٢) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٥٠؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٤/١/٢٦٦؛ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٦/ورقة ٢٢٢ أ، ٢٢٦ أ.

(٣) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ١/٢/٦١٦.

(٤) المصدر السابق: ٣/٣٤٦؛ خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٧٧؛ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ٨/ورقة ٣٢٧ أ، ٣٢٨ أ.

(٥) ابن الأثير: **الكامل** ٥/٤٢٢؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ١٠/٣٩ ـ ٤٠.

(٦) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٢/٢/٣٨٩؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٦/٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(٧) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ٢/ورقة ٢٤٣ أ.

(٨) المصدر السابق، مجلد ٢/ورقة ٣٠٧ أ.

(٩) المصدر السابق، مجلد ١٨/ورقة ١٧٥ ب.

(١٠) المصدر السابق، مجلد ١٩/ورقة ٢٤٧ ب.

أما من جلسائه:

فما خلا مجلس له معهم من تفقيه لعقولهم، وتنبيه لوجدانهم، وتوجيه لأفئدتهم، إلى ما هو خير لهم في دينهم ودنياهم.

فيروى أن رباح بن عبيدة قال: «كنت قاعداً عند عمر بن عبدالعزيز فذكر الحجاج فشتمته ووقعت فيه، فقال عمر: مهلاً يا رباح انه بلغني أن الرجل ليظلم بالمظلمة فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه حتى يستوفى حقه فيكون للظالم عليه الفضل»(١).

ومن هذا القبيل أيضاً ما يروى عن مسلمة بن عبدالملك أنه قال:

«دخلت على عمر بعد الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر فلا يدخل عليه أحد، فجاءت جارية بطبق عليه تمر صبحاني وكان يعجبه التمر، فرفع بكفه منه فقال: يا مسلمة أترى لو أن رجلاً أكل هذا ثم شرب الماء ــ فإن الماء على التمر طيب ــ أكان يجزيه إلى الليل؟ قلت لا أدري فرفع أكثر منه قال: فهذا قلت: نعم يا أمير المؤمنين كان كافيه دون هذا حتى ما يبالي أن لا يذوق طعاماً غيره. قال فعلام ندخل النار؟ قال مسلمة فما وقعت مني موعظة ما وقعت هذه»(٢).

وقد أوضح عمر هذا صراحة في حديث له مع ميمون بن مهران الذي قال: كنت سامراً عند عمر بن عبدالعزيز فسألته: «ما بقاؤك على ما أرى أنت بالنهار في حوائج الناس وأمورهم، وأنت معنا الآن، ثم الله أعلم ما تخلو عليه.

قال فعدى عن جوابي وقال: يا ميمون، إني وجدت لقى الرجال تلقيحاً لألبابهم»(٣).

كما انه لم يبخل على عامة رعيته بعلمه وموعظته إياهم فهو خليفتهم

---

(١) الأصبهاني: **حلية الأولياء** ٥/٢٧٧.

(٢) المصدر السابق، ٥/٢٧٧.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٧١.

والمسؤول عن كل صغيرة وكبيرة لهم أمام الله لذا رأى لزاماً عليه تذكير من غفل وتفقيه من لم يعلم منهم بواجباتهم أمام أنفسهم، وأمام الله، ولم يدع ذلك يفوته أبداً حتى في أحلك ظرف كان يعيشه، وهو لحظة دفنه ولده، فيروي ابن الجوزي: «أن عمر بن عبدالعزيز رأى وهو يدفن ابنه عبدالملك رجلاً يشير بشماله فقال يا هذا، إذا تكلمت فلا تشر بشمالك، أشر بيمينك فقال الرجل ما رأيت كاليوم رجلاً دفن أعز الناس إليه ثم انه يهمه شمالي ويميني فقال عمر إذا استأثر الله بشيء قال عنه»[1].

وفي رواية أخرى «قال رجل لعمر بن عبدالعزيز وهو في قبر ابنه آجرك الله يا أمير المؤمنين، وأشار بشماله فقال له عمر يا عبدالله أشر بيمينك فقال الرجل أما في موت عبدالملك ما يشغلك عن نصيحة المسلم»[2].

وتجلى هذا أيضاً في خطبه المتعددة نذكر بعضها على سبيل المثال: قال: «يا أيها الناس إنما أنتم أغراض تنتقل فيها المنايا، انكم لا تؤتون نعمة إلا بفراق أخرى، وأية أكله ليس معها غصة، وأية جرعة ليس معها شرقة، وان أمس شاهد مقبول قد فجعكم بنفسه، وخلف في أيديكم حكمته، وان اليوم حبيب مودع وهو وشيك الظعن، وان غداً آت بما فيه، وأين يهرب من يتقلب في يدي طالبه! انه لا أقوى من طالب، ولا أضعف من مطلوب إنما أنتم سفر تحلون عقد رحالكم في غير هذه الدار، إنما أنتم فروع أصول قد مضت فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله»[3]، ويروى أنه خطب الناس بالشام مرة فتكلم بثلاث كلمات قال: «أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم، واعملوا لآخرتكم تكفوا دنياكم، واعلموا أن رجلاً ليس بينه وبين آدم أب حي لمغرق له في الموت والسلام عليكم»[4].

---

(١) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٥.
(٣) الأصبهاني: **حلية الأولياء** ٥/٢٦٥.
(٤) المصدر السابق، ٥/٢٦٥.

ولم يكتف عمر بأمثال تلك الخطب، بل كان يكتب إلى أهل الأمصار يعظهم ويذكرهم بواجبهم أمام الله، الذي أنعم عليهم، ومن ذلك ما يروى عن عدي بن أرطاة، الذي كتب إليه يقول: «قد أصاب الناس من الخير خير حتى لقد خشيت أن يبطروا. قال فكتب إليه عمر:

إن الله تبارك وتعالى حين أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار رضي من أهل الجنة بأن (قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده)[١] فمر من قبلك أن يحمدوا الله»[٢].

وكتب إلى أهل الأمصار في الزلزلة يقول:

«إن هذه الرجفة شيء يعاتب الله به العباد. وقد كنت كتبت إلى أهل بلد كذا وكذا أن يخرجوا يوم كذا وكذا فمن استطاع أن يتصدق فليفعل، فإن الله عز وجل يقول: ﴿قد أفلح من تزكى﴾[٣] وقال: قولوا كما قال أبوكم آدم: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[٤] وقولوا كما قال نوح: ﴿وألا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾[٥]، وقولوا كما قال موسى: ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾[٦].

جهود عمر بن عبدالعزيز في تدوين السنة:

وقبل أن أنتهي من هذا المبحث، لا بد أن أنوه بالجهود المشكورة التي بذلها عمر في جمع الحديث النبوي وتدوينه صيانة له وحفظاً من الضياع، ذلك التدوين الذي يعتبر امتداداً لما بدأه أبوه عبدالعزيز بن مروان، وفي هذا المقام أشير إلى أن ذلك لم يكن أول مرة يكتب فيها الحديث النبوي وإنما بدأت كتابته

---

(١) آية رقم ٧٤ من سورة الزمر.

(٢) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٨.

(٣) آية رقم ١٤ من سورة الأعلى.

(٤) آية ٢٣ من سورة الأعراف.

(٥) آية ٤٧ من سورة هود.

(٦) آية ١٦ من سورة القصص، وانظر ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٨.

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

فوجه دعوة عامة لجميع أفراد الرعية الإسلامية قال فيها: «أيها الناس قيدوا النعم بالشكر وقيدوا العلم بالكتاب»[2]، ثم أردف هذا بكتب أخرى بعث بها إلى الآفاق شرح من خلالها للناس سبب أمره هذا قال عبدالله بن دينار: «كتب عمر بن عبدالعزيز إلى الآفاق انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه واحفظوه فإني أخاف دروس العلم وذهاب العلماء»[3]، وقد خص أهل المدينة بهذا لأنها مهبط الوحي وسكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام كما كان لا يزال عدد من صحابة رسول الله أحياء يرزقون بها إلى جانب تلامذتهم من التابعين فأرسل إليهم يقول:

«أن أنظروا ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبوه... فإني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله»[4].

ولم يقف الأمر به عند هذا الحد إنما تعداه إلى أمر الخاصة من أفراد الأمة الإسلامية الأكفاء للقيام بهذا الأمر الجليل، ولهذا أرسل إلى عامله على المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يقول: «انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء»[5]، وفي رواية أخرى عن عبدالله بن دينار قال: «كتب عمر بن عبدالعزيز إلى

---

(١) انظر ابن عبدالبر: **جامع بيان العلم وفضله** (ط. بيروت) ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م، ١/ ٧٠ ــ ٧١.

(٢) الأصبهاني: **حلية الأولياء** ٥/ ٣٤٢؛ وابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/ ٢٠٩.

(٣) الأصبهاني: **ذكر أخبار أصبهان** (ط. ليدن) ١٩٣٤م، ٢١/ ٣١٢.

(٤) الخطيب: **تقييد العلم**، تحقيق يوسف العش، بدون مكان طبع، طبع ١٩٧٤م، ص ١٠٦. وانظر الحسن بن عبدالرحمن الرامهرمزي، (ت ٣٦٠هـ): **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**، تحقيق محمد عجاج الخطيب (ط. بيروت) ١٣٩١هـ ــ ١٧٧١م، ص ٣٧٣ ــ ٣٧٤.

(٥) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (ط. مصر) ١٣٩٠هـ، ١/ ١٩٥.

أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أن أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو سنة ماضيه أو حديث عمرة بنت عبدالرحمن فاكتبه فإني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله»[1].

وأردف كتابه هذا بكتاب آخر جاء فيه: «اكتب إلي بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبحديث عمر»[2]. وتنفيذاً لأمر عمر بن عبدالعزيز كتب ابن حزم كتباً لم تصل لعمر لوفاته قبل إرسالها إليه[3].

وكذلك وجه عمر أمره هذا إلى عدد من العلماء غير ابن حزم منهم ابن شهاب الزهري، وسالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب قال الزهري: «أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً»[4].

وقد عقب الزهري على هذا فقال: «كنا نكره كتابة العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا ألا نمنعه أحداً من المسلمين»[5]، وكان عمر بن عبدالعزيز ـ كما سيأتي ذكره ـ قد أمر ابن شهاب الزهري أن يكتب إليه مصارف الزكاة الثمانية ووجوه صرفها فكتبها له.

وقد ساعد على هذا أن عمر بن عبدالعزيز كان أول خليفة جعل في بيت المال نصيباً لأصحاب الحديث، حيث أمر واليه على حمص أن يأمر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم، لئلا يلهيهم شيء عن تلاوة القرآن وما حملوا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم[6].

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** ٣٨٧/٢؛ والخطيب: **تقييد العلم**، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ) السنن بدون مكان الطبع ولا سنته ١٢٦/١.

(٣) السيوطي: **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك** (ط. بيروت)، بدون سنة الطبع، ص ٥.

(٤) ابن عبدالبر: **جامع بيان العلم** ٩١/١ ـ ٩٢.

(٥) المصدر السابق، ٩٢/١.

(٦) الخطيب: **شرف أصحاب الحديث**، تحقيق محمد سعيد خطيب أوغلى (ط. أنقرة ١٩٧١م)، ص ٦٤.

وفي رواية أخرى أنه كتب إلى عماله أن يجروا على طلبة العلم الرزق ويفرغوهم[1].

هذا بالنسبة لحياة عمر بن عبدالعزيز العلمية والتي اكتفيت منها بهذا القدر والتي أعلم بأني مهما كتبت وأوضحت فلن أفي صاحبها حقه لما كان يتمتع به من سمو علمي وفكري.

قال النووي في شأن عمر:

«أجمع العلماء على جلالة عمر، وفضله، ووفور علمه، وصلاحه، وزهده، وورعه، وعدله، وشفقته على المسلمين، وحسن سيرته فيهم، وبذل وسعه في الاجتهاد في طاعة الله، وحرصه على اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاقتداء بسنته وسنة الخلفاء الراشدين، وهو أحد الخلفاء الراشدين، ومناقبه أكثر من أن تحصى»[2].

□ □ □

(١) عبدالحي الكتاني، (ت ١٣٨٢هـ): **نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الإدارية**، (ط. الرباط)، ١٣٤٧هـ، ١/٣٩٥.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١/٢/١٧.



المبحث الثالث

حيـــاتـــه الاجتمـــاعيـــة

زوجات عمر، وأبناؤه:

أما بالنسبة لحياة عمر بن عبدالعزيز الاجتماعية، فقد ظل عمر في المدينة مكباً على دروس العلم، حيث «... قعد مع مشايخ قريش وتجنب شبابهم، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره، فلما مات أبوه أخذه عمه أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان فخلطه بولده وقدمه على كثير منهم»(١).

وذلك لإعجابه بخلقه وعلمه ولا غرو في ذلك فلم يؤثر أن أحداً من بني عمومته حذا حذوه في هذا المضمار، وآية هذا الإعجاب أن زوجه عبدالملك من ابنته فاطمة، فيروى ابن الجوزي أن عبدالملك قال لعمر: «قد زوجك أمير المؤمنين فاطمة بنت عبدالملك فقال وصلك الله يا أمير المؤمنين فقد أجزلت العطية وكفيت المسألة»(٢).

وقد صادف هذا العوض هوى في نفس عمر، التي كانت تتوق للزواج منها(٣). وفاطمة هذه هي التي قال فيها الشاعر وضاح اليمن:

---

(١) ابن كثير: **البداية والنهاية ٩/١٩٣**.

(٢) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٧؛ وانظر ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٩/ ورقة ٢٤٨ أ؛ والسيوطي: **تاريخ الخلفاء**، ص ٢٢٩.

(٣) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، (ت ٦٨١هـ) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس (ط. بيروت) طبع بين عامي ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢م، ٢/٣٠١.

بنت الخليفـة والخليفـة جـدهـا   أخت الخـلائف والخليفة زوجهـا

ولم يعرف لامرأة غيرها أن اجتمعت لها هذه الصفات، إلى جانب ما كانت تتمتع به من حسن وجمال[1]، روت عن زوجها عمر، وروى عنها المغيرة بن حكيم الصنعاني اليماني، وعطاء بن أبي رباح، وأبو عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، ومزاحم مولى عمر، وزخر مولى مسلمة بن عبدالملك[2].

كما كانت مثال الزوجة الطائعة الصابرة المحتسبة، وقد أثمر هذا الزواج المبارك ولدين هما: إسحاق، ويعقوب[3].

ولم تكن فاطمة هي الزوجة الوحيدة لعمر، بل كانت له عدة زوجات غيرها، منهن لميس بنت علي بن الحارث بن عبدالله بن الحصين ذي الغصة الحارثية، وله منها عبدالله، وبكر، وأم عمار.

ومن زوجاته أيضاً أم عثمان بنت شعيب بن زبان بن الأصبغ، وله منها ولده إبراهيم.

ويضيف ابن سعد إلى ما تقدم، أنه كان له أيضاً زوجة أم ولد كان له منها أبناؤه: عبدالملك، والوليد، وعاصم، ويزيد، وعبدالله، وعبدالعزيز، وزبان، وآمنة، وأم عبدالله[4].

وقد اتفق ابن عساكر مع ابن سعد في أسماء بعض أولاد عمر، وانفرد بذكر البعض الآخر فاتفق معه بأن له من الولد إسحاق، ويعقوب، وإبراهيم، وعبدالملك، والوليد، وعاصماً، ويزيد، وعبدالله، وعبدالعزيز، وآمنة، وأم عبدالله[5].

---

(١) ابن كثير: **البداية والنهاية** ١٩٣/٩؛ وانظر أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني: (ت ٣٥٦هـ)؛ **كتاب الأغاني**، (ط. بيروت) ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ٤٠/٦.

(٢) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٩/ ورقة ٢٤٧ ب، ٢٤٨ أ.

(٣) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٩/ ورقة ٢٤٨ أ.

(٤) **الطبقات**: ٣٣٠/٥؛ ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٧٥.

(٥) **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٩/ ورقة ٢٤٨ أ، ومجلد ٨/ ورقة ٣٢٧ ب.

وانفرد بـإضافـة بشر[1]، وحفص[2]، وأصبـغ[3]، وإدريس[4]، ومحمد[5].

تربية أولاده:

وكما كان عمر عظيماً في علمه، كان أيضاً عظيماً في تربية أولاده، وتنشئتهم التنشئة الصالحة، ونستشف ذلك من طريقته في تربيتهم، ومن خلال رسائله الموجهة لمن وكله بتأديبهم، ورسائله إليهم، فلم يرغب عمر أن ينشأ أولاده في نعيم وترف، فيجرفهم تيار المجون والدعة عن اكتساب العلوم، بغية مرضاة الله عز وجل، ولهذا عمل على أن يخشـوشنوا، فيروى ابن عساكر عن رجاء بن جميل الأيلي أنه قال: «وكان عمر بن عبدالعزيز يبدي[6] ولده عندنا بالمدينة وكان يأمر قيمة عليهم يكسوهم الكرابيس[7] والبتوت[8] وإذا حملهم من منزلهم إلى منزل حملهم على الحمر الأعرابية»[9].

كما عهد بتأديبهم إلى مولاه سهل[10]، ولم يكتف بذلك، بل أرسل له رسالة أوضح له فيها الطريقة المثلى التي يجب عليه الالتزام بها في تربيتهم ليكونوا رجال الغد الصالحين الطائعين لله في كل ما أمرهم، فكتب إليه يقول: «من عبدالله

---

(١) المصدر السابق مجلد ٣/ ورقة ١٧٣ ب.
(٢) المصدر السابق مجلد ٥/ ورقة ٩١ أ.
(٣) المصدر السابق مجلد ٣/ ورقة ٣٢ ب.
(٤) المصدر السابق مجلد ٢/ ورقة ٣٠٧ أ.
(٥) المصدر السابق مجلد ١٥ / ورقة ٣٨٩ أ.
وراجع الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ١٤٧/٥ ـ ١٤٨.
(٦) البداوة خلاف الحضر وتبدي أقام بها وتبادي تشبه بأهلها، راجع محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ؛ **القاموس المحيط** (ط. مصر) ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م، ٣٠٤/٤.
(٧) الكرباس بالكسر الثوب من القطن الأبيض، المصدر السابق ١٤٧/١.
(٨) البت هو: الطيلسان من خز ونحوه. المصدر السابق ٢٥٤/٢.
(٩) **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٣/ ورقة ١٥١ أ.
(١٠) هو سهل بن صدقة مولى عمر بن عبدالعزيز روى ابن المبارك عن أبي الصباح الأيلي عنه انظر: ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ١٩٩/١/٢.

عمر أمير المؤمنين إلى سهل مولاه. أما بعد فإني اخترتك على علم مني بك لتأديب ولدي فصرفتهم إليك عن غيرك من موالي وذوي الخاصة بي، فحدثهم بالجفاء فهو أمعن لإقدامهم، وترك الصحبة، فإن عادتها تكسب الغفلة، وقلة الضحك فإن كثرته تميت القلب، وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن حضور المعازف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب، كما ينبت العشب الماء، ولعمري لتوقي ذلك بترك حضور تلك المواطن، أيسر على ذي الذهن من الثبوت على النفاق في قلبه وهو حين يفارقها لا يعتقد مما سمعت أذناه على شيء مما ينتفع به وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن يثبت في قراءته فإذا فرغ تناول قوسه ونبله وخرج إلى الغرض[1] حافياً فرمى سبعة أرشاق[2] ثم انصرف إلى القائلة[3] فإن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول يا بني قيلوا فإن الشياطين لا تقيل»[4].

ومن هذه الرسالة تبين لنا الأسس والمبادىء السبعة التي اعتمدها عمر بن عبدالعزيز في تربية أولاده، والتي استنبطها من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي الأسس التي ساد بها الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطفقوا يفتحون أرجاء الأرض، ينشرون رسالة السماء، فكان من نتاجها حضارة راقية اعترفت لها الدنيا بالسيادة قروناً من الزمن، فما أحوجنا نحن الآن إلى هذه المبادىء، خاصة ونحن في زمن كثرت فيه الملاهي والمفاسد في تربية أولادنا، ليعيدوا مجد آبائهم وأجدادهم، ولم يكتب عمر بن عبدالعزيز أيضاً بهذا المؤدب الذي اختاره لهم، بل عهد بتأديبهم كذلك إلى أستاذه صالح بن كيسان[5].

---

(١) الغرض: الهدف الذي يرمي فيه؛ الرازي: راجع محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، (ت ٦٦٦هـ)، (ط. بيروت)، بدون سنة الطبع، ص ٤٧٢.

(٢) أرشاق: مفردها الرشق وهو الرمي بالنبل، المصدر السابق، ص ٢٤٤.

(٣) القائلة: الظهيرة وقد يكون بمعنى القيلولة وهي النوم في الظهيرة، نفس المصدر، ص ٥٥٨.

(٤) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٥٧ ــ ٢٥٨.

(٥) الذهبي: **تذكرة الحفاظ** ١٤٨/١.

كما أشرف بنفسه على تلقينهم كتاب الله، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء تواجدهم معه فيروي أنه كان يأذن لأولاده بالدخول عليه كل يوم جمعة قبل أن يأذن للناس، يتذاكر معهم كتاب الله عز وجل «فإذا قال أيها قرأ الأكبر منهم ثم إذا قال أيها قرأ الذي يليه حتى يقرأ طائفة منهم»[1].

كما كان لا يدع الفرصة تفوته في تنمية روح الفضيلة والتسامح عندهم، فيروي أنه قال مرة لابنه عبدالعزيز: «إذا سمعت كلمة من امرىء مسلم فلا تحملها على شيء من الشر ما وجدت لها محملاً على الخير»[2]. كذلك عمد إلى مراقبة كل تصرف من تصرفاتهم، وقاسه بمقياس الإسلام، فإن وجد فيهم إعواجاجاً عن جادة الحق قومهم ومن هذا القبيل يروي ابن الجوزي أن عمر بن عبدالعزيز بلغه مرة أن أحد أبنائه اتخذ خاتماً واشترى لهذا الخاتم فصاً بألف درهم، فكتب إليه عمر يقول:

«أما بعد فقد بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم، فبعه وأشبع به ألف جائع واتخذ خاتماً من حديد صيني واكتب عليه رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه»[3].

هذا من ناحية التربية والتعليم، أما من ناحية معاملته لهم فقد حرص على العدل بينهم لكي لا يثير في نفوسهم الحقد والبغضاء، لأنه كان مراقباً لله في نفسه، وفي كل عمل يقوم به، ومن أجل ذلك نراه يخشى أن يكون إيثاره لابن الحارثية ونومه معه جوراً فتركه وفي هذا الصدد يروي عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز قال: «كان عمر بن عبدالعزيز له ابن من امرأة من بالحارث بن كعب وكان يحبه وينام في بيته، قال: فتعرضت له ذات ليلة، فقال: أعبدالعزيز؟ قلت: نعم. قال: شر ما جاء بك؟ ادخل. فدخلت فجلست عند شاذكونته[4]،

---

(١) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ٢/ ورقة ٢٤٣ أ.

(٢) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٧٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٥.

(٤) شاذكونته: ثياب غلاظ مضر به تعمل باليمن؛ راجع الفيروزآبادي: **القاموس** ٤/ ٢٤١.

وهـو يصلي... فـأتـاني فقـال: مـالـك؟ فقلت: ليس أحـد أعلم بـولـد الرجل منه، وإنك تصنع بابن الحارثية ما لا تصنع بنا، فلست آمن أن يقال ما هذا إلا من شيء تراه عنده ولا تراه عندنا. فقال: أعلمك هذا أحد؟ فقلت: لا. قال: فأعد علي. فأعدت عليه. فقال: ارجع إلى بيتك. فرجعت فكنت أنا وإبراهيم وعاصم وعبدالله نبيت جميعاً. فإذا نحن بفراش يحمل، وتبعه ابن الحارثية. فقلنا: ما شأنك؟ قال: شأني ما صنعت بـي قال: كأنه خشى أن يكون جورا»[1].

وكما حرص على المساواة بين أبنائه في المنام معهم، لم يسمح للهوى أن يغلب عليه فيزين له أولاده في عينيه، فيحابيهم ويؤثرهم على حساب الناس من غير حق، ولهذا أصر على عدم توليتهم أمراً من أمور الناس لئلا يحابيهم الناس دون حق أو يلقوا منهم ظلماً باسم السلطان فيروي أن عمر بن عبدالعزيز قال لأولاده: «كيف أنتم إذا أنا وليت كل رجل منكم جنداً؟ فقال ابنه ابن الحارثية: لم تعرض علينا أمراً لا تريد أن تفعله؟ قال: أترون بساطي هذا؟ إنه لصائر إلى بلى، وإني أكره أن تدنسوه بخفافكم فكيف أرضى لنفسي أن تدنسوا على ديني؟!»[2].

وهكذا رسم عمر بن عبدالعزيز لأولاده النهج القويم ليسيروا عليه، وكان هو نفسه أسوة حسنة تأثروا به وأثروا به واكتسبوا من علمه وفضله وأخلاقه ما انعكس عليهم في حياتهم فيما بعد فهذا ابنه عبدالملك قد امتلأ صدره علماً وفقهاً ورواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغدا من أنسك الناس وأعبدهم، لا يخشى في الله لومة لائم، وعندما تولى أبوه عمر الخلافة، كان في المدينة وقتها فحزن أشد الحزن لذلك[3]، وذلك من عظم ما ألقى على كاهل

---

(١) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ٢٠/ ورقة ١٩٠ ب**.

(٢) الأصبهاني: **حلية الأولياء ٥/٣١٤**؛ ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٧٤. بزيادة: وهي أولى كل رجل منكم جنداً فينطلق تصلصل به جلاجل البريد.

(٣) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٥٨؛ النووي: **تهذيب الأسماء واللغات ١/٢/١٩**؛ عبدالرحمن سنبط قنيتو الأربلي، (ت ٧١٧هـ): **الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك**، تحقيق مكي السيد جاسم، (ط. بغداد)، بدون سنة الطبع، ص ٢١.

والده من مسؤولية كبيرة أمام الله، ولهذا رأى أن بر والده يوجب عليه العودة إلى الشام، ليكون بجانبه، يساعده في تحمل هذه المسؤولية، بموعظته وتنبيهه كلما دعت الضرورة ولهذا فكان لوالده بمثابة الوزير الصالح والبطانة الخيرة[1].

وقد بلغ عبدالملك بتقواه وزهده وطاعته لوالده أن وصفه النووي بأنه كان من أبر أهل زمانه بوالده[2]. كما كان عبدالملك أثيراً لدى والده عمر دون سائر أخوته لما علمه من زهده وتقواه وعقله.

قال الأصبهاني: «غضب عمر بن عبدالعزيز يوماً غضباً شديداً وكان فيه حدة ـ وعبدالملك ابنه حاضر ـ فلما سكن غضبه قال: يا أمير المؤمنين أنت في قدر نعمة الله عليك وموضعك الذي وضعك الله به وما ولاك من أمر عباده يبلغ بك الغضب ما أرى؟ قال كيف قلت! فأعاد عليه كلامه فقال أما تغضب يا عبدالملك؟ قال ما تغني سعة جوفي إن لم أردد فيها الغضب حتى لا يظهر منه شيء أكرهه»[3].

وقد توفي عبدالملك في خلافة أبيه، على أثر إصابته بالطاعون[4]. ولا بأس إذا نحن قد أسهبنا بعض الشيء في الحديث عن عبدالملك وذلك لعظم مواقفه مع أبيه وتأثيره فيه أثناء الخلافة بما لم تسمح لإخوته الظروف بمثله وذلك لموت أبيهم وهم لا يزالون صغاراً أوكلهم أبوهم إلى الله فلم يخيب الله أمله ورجاءه[5].

فأما ولده عبدالله فقد أمدتنا كتب التاريخ بعجالة عن حياته السياسية دون الإشارة إلى حياته العلمية، أو إلى سنة ولادته، أو حتى أمه هل هي لميس بنت الحارث؟ أو هي أم ولد؟ واكتفت بالقول؟ بأنه روى عن والده عمر بن

---

(١) النووي: **تهذيب الأسماء واللغات** ١/٢/١٩.

(٢) المصدر السابق ١/٢/١٩.

(٣) **حلية الأولياء** ٥/٣٥٨؛ وانظر ابن الجوزي **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٦٠.

(٤) الأصبهاني: **حلية الأولياء** ٥/٣٥٤؛ ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٥٨.

(٥) ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/٢١٠.

عبدالعزيز وروى عنه شعبة[1]، وعندما كبر وبلغ مبلغ الرجال، كان شجاعاً، ولاه يزيد بن الوليد بن عبدالملك (ت ١٢٦هـ) العراق في سنة ست وعشرين ومائة وذلك لحب أهل العراق لأبيه عمر بن عبدالعزيز[2]، وأثناء ولايته احتفر نهراً سمي باسمه، وقد أراد أهل البصرة المبايعة له بعد يزيد بن الوليد[3]، إلا أن مروان بن محمد (ت ١٣٢هـ) عزله عن العراق في سنة ثمان وعشرين ومائة، وولاها يزيد بن عمر بن هبيرة[4]، وسجنه بحران[5] حيث هالك هناك في وباء وقع فيها في سنة إثنتين وثلاثين ومائة[6].

أما ولد عمر الثالث فهو عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز وأمه أم ولد[7] روى عن أبيه عمر بن عبدالعزيز[8]، وعن غيره من التابعين مثل: الربيع بن سبرة، ومكحول، وقزعة بن يحيى وغيرهم، وروى عنه شعبة، ويحيى القطان، وإبراهيم بن عبلة، ووكيع وغيرهم من الأئمة، وثقة أكثر أئمة الحديث منهم يحيى بن معين، وابن حبان، والنسائي، وأبو داود، وروى له كل من البخاري، ومسلم، بينما قال عنه ابن حنبل، ليس من أهل الحفظ والاتقان[9].

---

(١) البخاري: **التاريخ الكبير** ٥/١٥٤؛ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٣ / ورقة ١٣٠ أ؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٧/٤٧٦.

(٢) خليفة بن خياط: **تاريخ** ص ٣٨٢؛ ابن الأثير: **الكامل** ٥/٣٠٢.

(٣) الأربلي: **الذهب المسبوك**، ص ٢١.

(٤) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٨٢.

(٥) حران: مدينة عظيمة من جزيرة أقور بينها وبين الرها يوم، ياقوت: **معجم البلدان** ٢/٢٣٥.

(٦) ابن الأثير: **الكامل** ٥/٤٢٢.

(٧) ابن سعد: الطبقات ٥/٣٣٠؛ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٠ / ورقة ١٨٩ ب؛ ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز** ص ٢٧٥.

(٨) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٣ / ورقة ١٣٠ أ؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٧/٤٧٦.

(٩) النووي: **تهذيب الأسماء واللغات** ١/١/٣٠٦؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٦/٣٤٩ ـ ٣٥٠.

هذا بالنسبة لحياته العلمية، أما بالنسبة لحياته السياسية، فقد ولاه يزيد بن الوليد بن عبدالملك على مكة والمدينة والطائف في سنة ست وعشرين ومائة[1]، وأقره عليها مروان بن محمد، ثم عزله عنها في سنة تسع وعشرين ومائة، وولى مكانه عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك بن مروان[2].

وتوفي عبدالعزيز رحمه الله بعد سنة سبع وأربعين ومائة للهجرة[3]. ومن أولاد عمر بن عبدالعزيز أيضاً: عاصم، وأمه أم ولد[4]، روى عن أبيه عمر، وروى عنه برد أبو العلا، وحماد بن يحيى الأبح، وأبو بكر بن محمد بن عياش[5].

وقد قتل عاصم في بعض فتن الضحاك في العراق سنة سبع وعشرين ومائة للهجرة أثناء ولاية أخيه عبدالله عليها[6].

أما بقية أولاد عمر بن عبدالعزيز فلم يحظوا بمثل هذه الترجمات في كتب التاريخ إلا ابن عساكر ويبدو أن سبب ذلك يرجع إلى ضعف دورهم العلمي والسياسي في تلك الفترة، وسأورد ما ذكر عنهم:

فابنه إبراهيم ذكر عنه ابن عساكر أنه «إبراهيم بن عمر بن عبدالعزيز... سمع أباه وابن شهاب روى عنه بشر بن عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز والليث بن سعد وعبدالله بن لهيعة... وأمه أم عثمان بنت شعيب بن زبان بن

---

(١) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٧٠؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٦/٣٥٠.

(٢) خليفة بن خياط **تاريخ**، ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧؛ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٠ / ورقة ١٩١ أ.

(٣) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ٨ / ورقة ٣٢٧ أ؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٦/٣٥٠.

(٤) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٣٠؛ ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز** ص ٢٧٥.

(٥) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٣/٣٤٦؛ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٠ / ورقة ٣٢٧ أ.

(٦) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٧٧.

الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن حصن بن ضمضم بن عدي بن حباب»[١].

أما ابنه إدريس فذكر ابن عساكر أنه: «إدريس بن عمر بن عبدالعزيز. . . حدث عن أبيه روى عنه ابنه خلف بن إدريس»[٢].

و «يزيد بن عمر بن عبدالعزيز. . . حدث عن أبيه عن أبـي سلمة. . . روى عن معاوية بن إسحاق وأبـي عائشة السعدي وذكره أبو محمد بن حرم وقال كان له عقب»[٣].

أما «محمد بن عمر بن عبدالعزيز. . . حكى عن أمه فاطمة بنت عبدالملك حكى عنه مقاتل مولى أبيه»[٤].

وأما بشر فهو «بشر بن عمر بن عبدالعزيز. . . في الطبقة الخامسة»[٥]. وبالنسبة لباقي أولاد عمر مثل الوليد[٦]، وحفص[٧]، وأصبغ[٨]، وإسحاق[٩]، فاكتفى ابن عساكر بقوله عن كل منهم بأن له ذكراً وعقباً.

بيتـــه:

لقد كانت حياة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ملائمة وموافقة لما كان عليه من الزهد والتعلق بالآخرة، فقد عاش عمر بعد استخلافه حياة تختلف كل الاختلاف عما كان يحياه قبلها وانعكس ذلك أيضاً على أهله.

فمثلاً لم تذكر لنا المصادر شيئاً عن بيت شيده عمر لسكناه كما فعل بعض

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ٢ / ورقة ٢٤٣ أ.
(٢) المصدر السابق مجلد ٢ / ورقة ٣٠٧ أ.
(٣) المصدر السابق مجلد ١٨ / ورقة ١٧٥ ب.
(٤) المصدر السابق مجلد ١٥ / ورقة ٣٨٩ أ.
(٥) المصدر السابق مجلد ١٣ / ورقة ١٧٣ ب.
(٦) المصدر السابق مجلد ١٧ / ورقة ٤٤٣ ب.
(٧) المصدر السابق مجلد ٥ / ورقة ٩١ أ.
(٨) المصدر السابق مجلد ٣ / ورقة ٣٢ ب.
(٩) المصدر السابق مجلد ٢ / ورقة ٣٨٩ ب.

خلفاء بني أمية، إلا أنه ورث عن والده عبدالعزيز رحمه الله داره التي في دمشق الملاصقة للجامع الأموي[1]، ويبدو أنها كانت داراً متواضعة بدليل أن المصادر لم تذكر وصفاً لها لكونها كباقي بيوت العامة في ذلك الوقت، ولو أنها كانت أكثر من ذلك لحظيت بوصف المؤرخين لها.

وقد ظل عمر في منزلة هذا بعد أن أفضت الخلافة إليه، إلا أنه بدلاً من زيادة طنافسه وستوره ورياشه، جرده من كل ما فيه منها وحتى ثيابه وعطره باعها ووضع ثمنها في بيت المال[2].

فغدا خالياً من كل ذي بال، وليس أدل على ذلك مما يرويه ابن عبدالحكم الذي يقول: «وقدمت امرأة من العراق على عمر بن عبدالعزيز، فلما صارت إلى بابه قالت: هل على أمير المؤمنين حاجب؟ فقالوا: لا فلجي إن أحببت، فدخلت المرأة على فاطمة وهي جالسة في بيتها وفي يدها قطن تعالجه، فسلمت فردت عليها السلام، وقالت لها: ادخلي فلما جلست المرأة رفعت بصرها فلم تر في البيت شيئاً له بال فقالت: إنما جئت لأعمر بيني من هذا البيت الخرب!

فقالت لها فاطمة: إنما خرب هذا البيت عمارة بيوت أمثالك.

فأقبل عمر حتى دخل الدار فمال إلى بئر في ناحية الدار فانتزع منها دلاء صبها على طين كان بحضرة البيت ـ وهو يكثر النظر إلى فاطمة ـ فقالت لها المرأة: استتري من هذا الطيان فإني أراه يديم النظر إليك. فقالت: ليس هو بطيان هو أمير المؤمنين قال: ثم أقبل عمر فسلم ودخل بيته فمال إلى مصلى كان له في البيت...»[3].

وقد بلغ بعمر الزهد كراهيته البناء في داره فيروى أنه:

---

(١) المصدر السابق: مجلد ١٠ / ورقة ١٩٤ أ؛ النووي: **تهذيب الأسماء واللغات** ١/١/٣٠٧.

(٢) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز** ص ١٢٤.

(٣) المصدر السابق: ص ١٤٤ ـ ١٤٥.

«كانت لعمر مرقاتان يرقى من صحن داره إلى مقر بيته عليهما، فانقلعت إحدى المرقاتين فأتاها رجل من أهل بيته فأصلحها كراهية أن يشق على عمر، فلما جاء عمر ونظر إليها قال: من صنع هذا؟ قالوا: فلان قال علي به فلما جاء قال: ويحك يا فلان، أنفست على عمر أن يخرج من الدنيا ولم يضع لبنة؟ والله لولا أن يكون فساد بعد إصلاح لغيرتها، إلى ما كانت عليه»[١].

أما في أثناء ولايته على المدينة فعلى الرغم من ترفه وبذخه لم تكن له دار فيها فقد أثر أنه كان ينزل في دار مروان[٢].

لباسه:

لقد اشتهر عمر بن عبدالعزيز قبل الخلافة بأنه كان «أعظم أموي ترفهاً وتملكاً، غذى بالملك ونشأ فيه، لا يعرف إلا وهو تعصف ريحه فتوجد رائحته في المكان الذي يمر فيه، ويمشي مشية تسمى العمرية فكان الجواري يتعلمنها من حسنها وتبختره فيها... وكان يسبل إزاره حتى ربما دخلت نعله فيه فيتحامل عليه فيشقه ولا يخلعها، ويسقط أحد شقى ردائه عن منكبه فلا يرفعه، وتنقطع نعله فلا يعرج عليها، وربما لحقه بها المملوك فيعنفه ويطبع بخاتمه فتتسخ الطينة من العنبر، فلم يزل على ذلك حتى ولي الخلافة»[٣].

وقال أحدهم يصف طيبه وثيابه:

«كان عمر يذيل ثيابه ويسرف في عطره، فلقد كان يدخل في طيبه حمل القرنفل، ولقد رأيت العنبر على لحيته كالملح...»[٤].

وقال آخر: «رأيته في المدينة وهو أحسن الناس لباساً، ومن أطيب الناس ريحاً ومن أخيل الناس في مشيته»[٥].

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٢.
(٢) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٣٣.
(٣) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز** ص ٢٢.
(٤) ابن الجوزى: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٥٠.
(٥) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٣٢.

وكذلك كان حاله أثناء توليه المدينة فيذكر ابن عبدالحكم:

«أن عمر عندما تولى المدينة سار أحسن سيرة، وكان مع ذلك يعصف ريحه ويرخي شعره، ويسبل أزاره، ويتبختر في مشيته وهو مع ذلك لا يغمص عليه في بطن أو فرج ولا حكم»[1].

وقال آخر: «كان عمر... من أعطر قريش وألبسها»[2]، فقد كان يتخير أغلى الثياب وألينها ويستخشنها رغم غلائها، قال حجاج الصواف: «أمرني عمر... وهو وال على المدينة أن أشتري له ثياباً فاشتريت له ثياباً فكان فيها ثوب بأربعمائة، فقطعه قميصاً ثم لمسه بيده فقال: ما أخشنه وأغلظه!»[3].

كما كانت له مرجلة ترجل له شعره فيروى «أن عمر بن عبدالعزيز تأخر عن الصلاة مع الجماعة يوماً فقال صالح بن كيسان: ما شغلك؟ فقال: كانت مرجلتي تسكن شعري، فقال له: قدمت ذلك على الصلاة؟ وكتب إلى أبيه وهو على مصر يعلمه بذلك، فبعث أبوه رسولاً فلم يكلمه حتى حلق رأسه»[4].

وقد بلغ به حرصه على التنعم حدا جعله يقول: «لقد خفت أن يعجز ما قسم الله لي عن كسوتي، وما لبست ثوباً قط فرآه الناس علي إلا خيل أليّ أنه قد بلى»[5].

ولكن هل بقي حال عمر هكذا بعد توليه الخلافة؟

وللجواب على ذلك نقول: لقد أجمع المؤرخون على أن عمر ترك كل هذه الحياة المرفهة المترفة وتلك الزينة ليتمتع بما عند الله بعد الموت، عقب إحساسه بالمسؤولية، وبدلاً من أن يلبس أغلى الثياب، أصبح يبحث عن أرخصها، حتى أن الثوب الذي كان ثمنه دراهم قليلة صار يصفه بالغلاء، ولين الملمس. يروي

---

(١) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢١.

(٢) ابن سعد: **الطبقات ٥/٣٣٤**.

(٣) المصدر السابق: ٥/٣٣٤.

(٤) ابن كثير: **البداية والنهاية ٩/١٩٣**.

(٥) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

ابن عبدالحكيم أنه: «أتاه رجل فأمره أن يشتري له كساء بثمانية دراهم فاشتراه له فأتاه به فوضع يده عليه وقال: ما ألينه! وأعجبه، فضحك الرجل الذي اشتراه. فقال له عمر: أني لأحسبك أحمق، أتضحك من غير شيء؟ فقال: ما ذاك بي ولكنك أمرتني قبل ولايتك أن أشتري لك مطرف خز فاشتريت لك مطرفاً بثمان مائة درهم، فوضعت يدك عليه فقلت:

ماأخشنه! وأنت اليوم تستلين كساء بثمانية دراهم فعجبت من ذلك وأضحكني فقال عمر: ما أحسب رجلاً يبتاع كساء بثمانمائة درهم يخاف الله عز وجل»[1].

وروى آخر فقال: «أخبرني رباح بن عبيدة وكان تاجراً من أهل البصرة يعامل عمر بن عبدالعزيز يأمره وهو بالمدينة أن يشتري له جبة خز قال: فاشتريتها بعشرة دنانير ثم أتيته بها فمسها وقال إني لأستخشنها. فلما ولي الخلافة أمرني فاشتريت له جبة صوف بدينار، فأتيته بها، فجعل يدخل يده فيها ويقول ما ألينها. فقلت عجباً تستخشن الخز أمس وتستلين الصوف اليوم. قال تلك حال وهذه حال»[2].

بل أصبحت ثيابه كلها تقوم بدراهم معدودة، قال رجاء بن حيوة: «كان عمر بن عبدالعزيز من أعطر الناس وألبس الناس وأخيلهم مشية، فلما استخلف قوموا ثيابه باثني عشر درهماً من ثياب مصر، كمته وعمامته وقيمصه وقباؤه وقرطقه وخفاه ورداؤه»[3].

كما أصبح لا يملك من الثياب إلا ما يستر جسده، ويعرى إذا غسلت فيروي الأصبهاني عن عطاء: «أن عمر... أخر الجمعة يوماً عن وقته الذي كان يصلي فيه، فقلنا له: أخرت الجمعة اليوم عن وقتك؟ قال: إن الغلام ذهب بالثياب يغسلها فحبس بها، فعرفنا أنه ليس له غيرها. ثم قال: أما إني قد

---

(١) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٤٢ ــ ٤٣.
(٢) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٥٠.
(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٤٠٢؛ وانظر ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٥١.

رأيتني: وأنا بالمدينة وإني لأخاف أن يعجز ما رزقني الله عن كسوتي فقط، ثم قال يتمثل:

قضى ما قضى فيما مضى ثم لم تكن له عودة أخرى الليالي الغوابر»[1]

«وقال أبو أسلم: حدثني خصي أسود كان لعمر بن عبدالعزيز قال: دخلت على عمر بن عبدالعزيز في يوم شات في داره بدير سمعان[2] قال: فألفيته قاعداً في زاوية الدار في الشمس، وقد التفح بإزاره ووضع أبو أسلم ثوبه على رأسه وجمعه بكفيه من ناحية خديه، ووضع مرفقيه على ركبتيه، وقال: هكذا أرانيه الخصي حين وصف فعل عمر فلما دنوت سلمت، فرد علي السلام، ثم قال لي: إنزل فقعدت ثم قال لي: إنزل فألهمت أنما يريد النعلين فخلعتهما، فأقبل علي بالكلام، فلما أنست كرهت أن أقول له يا سيدي لئلا يجد علي، قال: فقلت يا أمير المؤمنين ما الذي يقعدك هكذا. قال: غسلت ثيابي. قال: فقلت: وما ثيابك يا أمير المؤمنين؟ قال: قميص ورداء وإزار...»[3].

وبلغ به الزهد في الدنيا وما فيها أنه لم يعد يملك من الثياب إلا المرقوع منها، فيروي سعيد بن سويد: «أن عمر بن عبدالعزيز صلى بهم الجمعة وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه، فلما فرغ جلس وجلسنا معه، قال: فقال له رجل من القوم: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعطاك فلو لبست وصنعت. فنكس ملياً حتى عرفنا أن ذلك قد ساءه، ثم رفع رأسه فقال: إن أفضل القصد عند الجدة وأفضل العفو عند القدرة»[4].

ولم تصل الحال بعمر إلى هذا الحد إلا لأنه طلب بالخلافة شرف الآخرة ولهذا نظر بعد استخلافه إلى كل ما كان له من عبد أو لباس أو عطر وأشياء الفضول فباع منها كل ما له عنه غنى وجعله في سبيل الله[5].

---

(١) **حلية الأولياء** ٥/٣٢٢.

(٢) دير سمعان: هو دير بنواحي دمشق؛ ياقوت: **معجم البلدان** ٢/٥١٧.

(٣) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**: ١٣٤ ــ ١٣٥.

(٤) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٤٠٢.

(٥) المصدر السابق ٥/٣٤٥.

وهكذا أصبح عمر بن عبدالعزيز بعد أن كان من أعطر رجال قريش وألبسهم من أبخسهم ثوباً ومن أخشنهم عيشاً[1].

وحتى المشية المعروفة به حاول عمر جاهداً تغييرها، وربما قال لمولاه مزاحم: ذكرني إذا رأيتني أمشيها، فيذكره، فيخلطها ثم لا يستطيع إلا إياها، فيعود إليها[2]. لكنه استطاع في النهاية تغييرها. قال علي بن بذيمة: «رأيته بالمدينة... من أخيل الناس في مشيه، ثم رأيته بعد يمشي مشية الرهبان، فمن حدثك أن المشي سجية فلا تصدقه بعد عمر»[3].

وقد انعكس هذا الزهد والتقشف على أهل بيته أيضاً، فمثلاً زوجته فاطمة بنت عبدالملك، تركت كل ما تملك من الحلي وردته إلى بيت المال[4]. كما تركت فاخر الثياب؛ روي أن امرأة من المهالبة دخلت عليها، فلما رأتها ورأت حالها قالت لها: هل تهيأ المرأة لزوجها إلا بما يحب؟ قالت: لا. قالت: فإنه يحب هذا مني[5]، كما أصبحت تعالج القطن بيدها[6].

وحتى أولاده أيضاً صاروا لا يملكون من الثياب إلا ما يسترون به أجسادهم. قال ابن الجوزي: «مرت ابنة لعمر بن عبدالعزيز، يقال لها آمنة، فدعاها عمر: يا آمن، يا آمن، فلم تجبه فأمر إنساناً فجاء بها، فقال: ما منعك أن تجيبي؟ قالت: إني عارية، فقال: يا مزاحم، انظر إلى تلك الفرش التي فتقناها فاقطع لها منها قميصاً، فذهب إنسان إلى أم البنين عمتها، فقال: ابنة أخيك عارية وأنت عندك ما عندك، فأرسلت إليها بتخت من ثياب، وقالت: لا تطلبي من عمر شيئاً»[7].

---

(١) المصدر السابق ٥/٣٣٤.

(٢) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٢.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٣٢.

(٤) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٢ ـ ٥٣.

(٥) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٥٢.

(٦) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٤٥.

(٧) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٧٥.

ويروى: «أن عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز أتى إلى أبيه، وهو خليفة يستكسي أباه، فقال: يا أبت، اكسني، فقال: إذهب إلى الخيار بن رياح البصري، فإن لي عنده ثياباً فخذ منها ما بدا لك، قال: فذهبت إلى الخيار بن رياح، فقلت: إني استكسيت أبي، فأرسلني إليك، وقال إن لي عند الخيار بن رياح ثياباً، فقال: صدق أمير المؤمنين، فأخرج إليه ثياباً سنبلانية، أو قطرية، فقال: هذا ما لأمير المؤمنين عندي، فخذ منها ما بدا لك، قال عبدالله: ما هذا من ثيابي ولا من ثياب قومي، فقال: هذا ما لأمير المؤمنين عندي، فرجع عبدالله إلى أبيه، فقال: يا أبتاه استكسيتك فأرسلتني إلى الخيار بن رياح فأخرج لي ثياباً ليست من ثيابي، ولا من ثياب قومي. قال: فذاك ما لنا عند الرجل، فانصرف عبدالله...»[1].

طعامه:

كان المسلمون في بادىء الأمر يقللون من طعامهم تبعاً لتعاليم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان يقول: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه»[2] وقد كان خير أدمهم اللحم، إلا أنهم بعد ما فتحوا البلاد واختلطوا بشعوبها تبدلت أطعمتهم، وتعددت أصنافها[3]، فأقبلوا عليها وترك أكثرهم تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيرة أصحابه المهديين، وامتلأت كتب التاريخ بحكايات فيها شيء من المبالغة عن نهم بعض الأشخاص، ومن بينهم بعض الخلفاء الأمويين.

وعمر بن عبدالعزيز كأموي غني كان يأكل في بادىء الأمر ما لذ له وطاب من أصناف الطعام، حتى امتلأ جسمه وغلظ عنقه؛ قال عمرو بن ميمون: «أتيت سليمان بن عبدالملك بهذه الحريرة فرأيت عنده عمر وهو كأشد الرجال

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٧٣.

(٢) الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): **المسند**، (ط. بيروت) ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ١٣٢/٤.

(٣) حسن إبراهيم حسن: (ت ١٩٦٨م) **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي** (ط. القاهرة) ١٩٦٤م، ٥٤١/١ ـ ٥٤٣.

وأغلظهم عنقاً، فما لبثت بعدما استخلف عمر إلا سنة، حتى أتيته فخرج يصلي بنا الظهر. . . وقد نحل ودقت عنقه»[1].

وقال يونس بن أبـي شبيب: «شهدت عمر بن عبدالعزيز وهو يطوف بالبيت، وإن حجزه إزاره لغائبة في عكنه، ثم رأيته بعد ما استخلف، ولو شئت أن أعد أضلاعه من غير أن أمسها لفعلت»[2].

فعمر بعد استخلافه زهد في الدنيا كلها وترك كل ما كان فيه، كما ترك ألوان الطعام، وقلل منه، واقتصر فيه على العدس والحمص، فالأول يرقق القلب ويغزر الدمع، قال ميمون بن مهران: «قال لي عمر بن عبدالعزيز حدثني فحدثته، فبكى بكاءاً شديداً، فقلت: لو علمت لحدثتك ألين منه فقال: إنا نأكل العدس، وهي ما علمت مرقة للقلب، مغزرة للدمعة، مذلة للجسد»[3]. واستمر في أكلهما على الرغم من إيذائهما له، فيروي ابن سعد أنه كان لعمر بن عبدالعزيز «صحابة يحضرونه يعينونه برأيهم، ويسمع منهم، قال: فحضروه يوماً فأطال الصبح فقال بعضهم لبعض: تخافون أن يكون تغير؟ قال: فسمع ذلك مزاحم، فدخل فأمر من أيقظه، فأخبره ما سمع من أصحابه، وأمره فأذن لهم، فلما دخلوا عليه قال: إني أكلت هذه الليلة حمصاً وعدساً فنفخني.

قال: فقال بعض القوم: يا أمير المؤمنين، إن الله يقـول في كتابـه: فـ ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾[4]. فقال عمر: هيهات، ذهبت به إلى غير مذهبه.

إنما يريد به طيب الكسب ولا يريد به طيب الطعام»[5].

كما أنه لم يكن يجد هذا ولا ذاك، فكان يتعشى كسراً وزيتاً، قال محمد بن

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** ٤٠٢/٥.
(٢) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٥٢.
(٣) الذهبـي: **سير أعلام النبلاء** ١٣٧/٥.
(٤) آية «٨١» من سورة طه.
(٥) **الطبقات** ٣٦٧/٥.

الزبير الحنظلي: «دخلت على عمر بن عبدالعزيز، أحسبه قال، ليلة وهو يتعشى كسراً وزيتاً. قال: فقال: ادن فكل، قال: قلت: بئس طعام المقرور، قال: فأنشدني:

إذا ما مات ميت من تميم وسرك أن يعيش فجيء بزاد
بخبز أو بلحم أو بتمر أو الشيء الملفف في البجاد

وأنشد بيتاً ثالثاً قافيته:

ليأكل رأس لقمان بن عاد

قال: قلت: يا أمير المؤمنين، ما كنت أرى هذا البيت فيها، قال: بلى هو فيها»[١]. وكان يطعم من هذا الطعام ضيوفه أيضاً، فيروي ابن عبدالحكم عن خصي أسود كان لعمر بن عبدالعزيز فيقول: «دخلت على عمر بن عبدالعزيز في يوم شات في داره بدير سمعان، قال: فألفيته قاعداً في زاوية الدار في الشمس، وقد التفح بإزاره... فما كان بأوشك أن جاء عمرو بن مهاجر فقال له: أين كنت؟ قال: كنت خارجاً أدفع مظلمة عن رجل من أهل الكتاب ـ وكان عمرو بن مهاجر صاحب حرس عمر بن عبدالعزيز ـ فقال: علي بفلان، فما كان بأوشك أن جاء غلام حدث. فقال: يا فلان، ائته بغذائه الساعة، فما كان بأوشك أن أتاه الغلام بصحفة غليظة عميقة، فيها خبز قد كسر وصب عليه ماء وملح وزيت. فقال: تغده. قال: فلما أخذت بالبطش بالغداء نهض... فلما جن الليل أذن مؤذن المغرب، فخرج فصلى، فكنا أربعة رهط: أنا وعمرو بن المهاجر، ورجلان من الأنصار من أهل المدينة. فلما صلى وانصرف صعدت أنا والأنصاريان حتى كنا في غرفة، فما كان بأوشك أن عادت علينا تلك القصعة التي تغدى فيها فإذا فيها ثريد عدس، وبصل عليها مشقق، أخرجت إلى من يخدمه أو لمن ببابه، فقال الخادم: لو كان لعمر عشاء غيره لعشاكم منه وما فطره إلا على مثل هذا»[٢].

---

(١) المصدر السابق: ٥/٣٧٢ ـ ٣٧٣.
(٢) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٣٤ ـ ١٣٥.

ورآه آخر وهو يأكل ثوماً مسلوقاً بزيت وملح[1].

وشهد خادم له «أنه لم يمتلىء من طعام من يوم ولي حتى مات»[2]. ولم يكن حال أهله بأحسن منه، فيروي ابن عبدالحكم «وكان عمر يصلي العتمة، ثم يدخل على بناته فيسلم عليهن، فدخل عليهن ذات ليلة فلما أحسسنه، وضعن أيديهن على أفواههن، ثم تبادرن الباب. فقال للحاضنة: ما شأنهن؟ قالت: إنه لم يكن عندهن شيء يتعشينه إلا عدس وبصل، فكرهن أن تشم ذلك من أفواههن، فبكى عمر ثم قال لهن: يا بناتي، ما ينفعكن أن تعشين الألوان، ويمر بأبيكن إلى النار قال: فبكين حتى علت أصواتهن ثم انصرف»[3].

وكان هذا أيضاً طعام خدمه، وقد جعلهم تكراره يتأففون منه. يقول أبو أمية غلام عمر بن عبدالعزيز: «دخلت يوماً على مولاتي فغدتني عدساً فقلت: كل يوم عدس؟ قالت: يا بني، هذا طعام مولاك أمير المؤمنين»[4].

كما عجزت به نفقته عن شراء الفاكهة وغيرها من الطعام[5]، وسبب ذلك أنه كان «لا يأخذ من بيت المال شيئاً ولا يجري على نفسه من الفيء درهماً... وكان عمر بن الخطاب يجري على نفسه من ذلك درهمين في كل يوم. فقيل لعمر بن عبدالعزيز: لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب؟ فقال: إن عمر بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالي يغنيني»[6]، وقد كان جملة هذا المال حين ولي الخلافة، وحين توفي، كما يروي ابنه عبدالعزيز بن عمر «قال لي

---

(١) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٥٢.

(٢) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٤٥.

(٣) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٤٩.

(٤) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٥٢.

(٥) انظر ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٧٧؛ وابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٥٤.

(٦) أحمد بن محمد بن عبدربه (ت ٣٢٧هـ): **العقد الفريد**، تحقيق أحمد أمين وآخرين (ط. القاهرة) ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م، ٤/٤٣٤.

أبو جعفر يعني أمير المؤمنين: كم كانت غلة أبيك عمر حين ولي الخلافة؟، قلت: أربعين ألف دينار. قال: فكم كانت غلته لما توفي؟ قلت: أربعمائة دينار ولو بقي لنقصت»[1]، وفي رواية أخرى قال: «دعاني أبو جعفر فقال: كم كانت غلة عمر بن عبدالعزيز حين أفضت إليه الخلافة؟، فقلت: خمسين ألف دينار، قال: فكم كانت يوم مات؟ قلت: ما زال يردها حتى كانت مائتي دينار ولو بقي لردها»[2].

وهذا الحال جعل الكثيرين يعجبون له وينعتونه بالزاهد ويفضلونه على كل من زهد في الدنيا، قال مالك بن دينار[3]: «الناس يقولون مالك بن دينار زاهد إنما الزاهد عمر بن عبدالعزيز الذي أتته الدنيا فتركها»[4].

وقال أحمد بن أبي الحواري: «سمعت أبا سليمان الداراني وأبا صفوان يتناظران في عمر بن عبدالعزيز وأويس القرني[5]. قال أبو سليمان لأبي صفوان: كان عمر بن عبدالعزيز أزهد من أويس قال له: ولم؟ قال: لأن عمر ملك الدنيا فزهد فيها. قال له أبو صفوان وأويس لو ملكها لزهد فيها مثل ما فعل عمر. فقال أبو سليمان لا تجعل من جرب كمن لم يجرب، إن من جرت الدنيا على يديه ليس لها في قلبه موقع، أفضل ممن لم تجر على يديه وإن لم يكن لها في قلبه موقع»[6].

□ □ □

---

(١) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٧٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٢.
(٣) هو مالك بن دينار السلمي الناجي مولاه أبو يحيى البصري التابعي الزاهد، اختلف في سنة وفاته. انظر النووي: **تهذيب الأسماء واللغات** ٢/١/٨٠ ـ ٨١؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١٠/١٤ ـ ١٥.
(٤) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٥٥.
(٥) هو أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني المرادي الزاهد سيد التابعين أصله من اليمن، سكن الكوفة (ت ٣٧هـ). انظر: ابن سعد: **الطبقات** ٦/١٦١؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ١/١/٣٢٦؛ ابن العماد: **شذرات الذهب** ١/٤٦.
(٦) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٥٥.



المبحث الرابع

ولايته على المدينة

عمر والحياة العملية:

ولقد عرف عمر بن عبدالعزيز الحياة العملية منذ وقت مبكر، وتحمل بعض المسؤوليات الرسمية في الدولة، قبل أن يلي الخلافة.

ولايته على خناصرة:

وكان أول المناصب التي تولاها إمارته على خناصرة، وهي بليدة من أعمال حلب تحاذى قنسرين نحو البادية(١)، حين ولاه إياها عبدالملك بن مروان(٢)، وقيل ولاه إياها سليمان بن عبدالملك(٣)، والأول هو الأرجح لقول أكثر المؤرخين بملازمة عمر لسليمان بن عبدالملك، أثناء خلافته ملازمة تامة، ويؤيد هذا ما يرويه أبو زرعة الدمشقي عن سعيد بن عبدالعزيز قال:

«كانت خلافة سليمان بن عبدالملك كأنها خلافة عمر بن عبدالعزيز، كان إذا أراد شيئاً، قال له: ما تقول يا أبا حفص؟»(٤).

وقد علل بعض الباحثين سبب تولية عبدالملك لعمر هذه الأمارة بقوله:

---

(١) ياقوت: **معجم البلدان** ٢/٢٩٠.

(٢) الأصبهاني: **حلية الأولياء** ٥/٢٩٩.

(٣) المصدر السابق، ٥/٣٠١.

(٤) تاريخ: ١/١٩٣ ـ ١٩٤.

أن «عبدالعزيز بن مروان قد مات ومن ثم صارت ولاية العهد إلى الوليد، ومن بعده سليمان، ولم يصر لأبناء عبدالعزيز وراثة في الخلافة، وهنا أراد عبدالملك أن يمسح عن عمر حزنه على أبيه، ويرضيه بعد إقصاء عرقه، فولاه خناصرة سنة خمس وثمانين، فأقام عليها عمر والياً، حتى مات عبدالملك»(1).

وأضيف إلى ما تقدم ما أشرت إليه سابقاً وهو أن إعجاب عبدالملك بعمر منذ صغره جعله يوليه هذا المنصب، ويلاحظ أن أحداً لم يذكر شيئاً عن أعمال عمر في هذه الولاية.

ولايته على المدينة:

أما أهم أعمال عمر قبل الخلافة فهي: ولايته على المدينة. فقد كان الوليد بن عبدالملك، يعامله في بداية الأمر بنفس المعاملة الحسنة التي كان والده عبدالملك يعامله بها من قبل، ولهذا قام بتوليته إمارة المدينة، بعد أن عزل عنها هشام بن إسماعيل المخزومي عامل عبدالملك عليها(2).

وقد اختلف المؤرخون بشأن ولاية عمر على المدينة في أمرين:

الأول سنة توليته إياها، حيث قال بعضهم:
أنه وليها في سنة ست وثمانين للهجرة(3).

وقال آخرون: بل تولاها في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين(4)، وهو الأرجح، لقرب عهد المؤرخين الذين قالوا به وتوثيقهم.

---

(1) سيد الأهل: **الخليفة الزاهد**، ص ٣٨.

(2) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣١١؛ أبو زرعة الدمشقي: **تاريخ** ١/٥١٨ ـ ٥١٩؛ الطبري: **تاريخ** ٦/٤٢٧؛ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٣٢ ب ـ ١٣٣ أ؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٩٤.

(3) أبو زرعة الدمشقي: **تاريخ** ١/٥١٩؛ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣/ورقة ١٣٢ ب ـ ١٣٣ أ؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٩٤.

(4) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٣١؛ الطبري: **تاريخ** ٦/٤٢٧؛ ابن الأثير: **الكامل** ٤/٥٢٦.

الأمر الثاني هو مدى سلطته حينئذ.

فقد برز لي ثلاثة آراء في هذا الصدد ألخصها فيما يلي:

الأول: أنه ولي المدينة فقط[1].

الثاني: أنه ولي الحرمين[2].

الثالث: أنه ولي المدينة أولاً، ثم اتسعت ولايته لتشمل مكة والطائف في سنة تسعين هجرية، قال الطبري: «وكان عمر بن عبدالعزيز في هذه السنة عامل الوليد بن عبدالملك على مكة والمدينة والطائف»[3]. ويؤكد ذلك قول ابن الأثير: «وفي هذه السنة (٩٣هـ) عزل الوليد عمر بن عبدالعزيز عن الحجاز والمدينة»[4].

ويبدو أن هذا هو الذي دفع أحد الباحثين إلى القول بأن ولاية مكة قد أضيفت إلى عمر[5].

والراجح عندي أن عمر بن عبدالعزيز ولي الحجاز كله وإنما ذكرت المدينة وحدها باعتبارها كانت قصبة الحجاز، ومدينة العلم، وعاصمة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلفائه الراشدين، فأطلق لفظ المدينة فاعتبرت المدينة رمزاً للحجاز كله.

وكان عمره وقتذاك خمساً وعشرين سنة[6].

إلا أن عمر بن عبدالعزيز أبطأ في الخروج لتسلم مهام منصبه هذا، يقول

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** ٣٣١/٥؛ خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣١١؛ وأبو زرعة الدمشقي، **تاريخ** ٥١٨/١ ــ ٥١٩.

(٢) أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ): **الأخبار الطوال**، تحقيق عبدالمنعم عامر (ط. بغداد) ١٣٧٩هـ ــ ١٩٥٩م، ص ٣٢٦.

(٣) **تاريخ** ٤٤٧/٦.

(٤) **الكامل** ٥٧٧/٤.

(٥) صفوت: **عمر بن عبدالعزيز**، ص ٣٠.

(٦) ابن سعد: **الطبقات** ٣٣١/٥.

ابن عساكر: «بلغني أن الوليد بن عبدالملك استعمل عمر بن عبدالعزيز على الحجاز كله، المدينة ومكة، والطائف، فأبطأ عن الخروج، فقال الوليد لحاجبه ويلك، ما بال عمر لا يخرج إلى عمله قال: زعم أن له إليك ثلاث حوائج، قال فعجله عليّ فجاء به الوليد فقال له عمر: إنك استعملت من كان قبلي، فأنا لا أحب أن تأخذني بعمل أهل العدوان والظلم والجور، فقال له الوليد اعمل بالحق وإن لم ترفع إلينا إلا درهماً واحداً، قال والحج قد بلغت ما ترى من السن والحال وأشك في العطاء أن يكون سأله إياه يخرجه للناس»[1].

وكان عمر بن عبدالعزيز يحس أنه يختلف عمن سبقه من الولاة الذين اشتهر عنهم الظلم والجور، مما جعل الناس يضجون منهم بالشكوى نتيجة عدم التزامهم بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أما هو فكان يعتقد نتيجة عمق إيمانه، وشدة ارتباطه بأوامر الله سبحانه وتعالى، وانتهائه عما نهى عنه أنه سيختلف عنهم في حكمه للناس، ومن هنا سأل الخليفة أن لا ينظر إليه كما كان ينظر إلى من سبقه من الولاة الذين استعملوا الجور في جمع الأموال، ولقد أقره الخليفة الوليد على ذلك، حتى انه أعفاه من أن يقدم للدولة أي دخل طالما استعمل العدل في معاملة الناس، وكان الوليد يثق في أن عمر سوف يحكم بين الناس بالعدل، وفي هذا يكسب الوليد وتكسب الدولة الأموية محبة الناس، بعد أن كانوا قد مجوها على عهد الولاة السابقين، وفي سبيل ذلك فليكن شيء من نقص فيما يأتي إلى العاصمة من المال، طالما أن ذلك نتيجة السيرة العادلة في حكم الرعية. وكان المطلب الثاني لعمر بن عبدالعزيز أن يتولى رئاسة موسم الحج معززاً طلبه هذا بعمره وحاله، فأقره الوليد على ذلك.

أما مسألة عمر الثالثة فكانت تتصل بالعطاء، غير أن ابن عساكر في روايته قد تشكك في احتمال طلب عمر له.

وقد قدم عمر إلى المدينة في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين للهجرة،

---

(١) **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٣، ورقة ١٣٥ ب، وابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٣٢ ــ ٣٣.

وقد حملت أمتعته على ثلاثين بعيراً، فنزل دار جده مروان بن الحكم، ثم دخل عليه الناس فسلموا، وبعد أن صلى الظهر، دعا عشرة من فقهاء المدينة (أشرت إلى بعضهم في أثناء حديثي عن شيوخ عمر بن عبدالعزيز فيما سبق) وهم:

١ ــ عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ).
٢ ــ أبو بكر بن عبدالرحمن (ت ٩٤هـ).
٣ ــ عبيدالله بن عبدالله بن عتبة (ت ٩٨هـ).
٤ ــ خارجة بن زيد (ت ١٠٠هـ).
٥ ــ عبدالله بن عبدالله بن عمر (ت ١٠٥هـ).
٦ ــ سالم بن عبدالله بن عمر (ت ١٠٦هـ)[٢].
٧ ــ سليمان بن يسار (ت ١٠٧هـ).
٨ ــ القاسم بن محمد (ت ١٠٨هـ).
٩ ــ أبو بكر بن سليمان بن أبـي حثمة.
١٠ ــ عبدالله بن عامر بن ربيعة[٣].

فلما حضروا حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال يخاطبهم:

«إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعواناً على الحق، ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم، أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدى

---

(١) ابن الأثير: **الكامل** ٥/١٢٦؛ ابن العماد: **الشذرات** ١/١٣١.

(٢) هو سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي المدني الفقيه العابد الزاهد القدوة أحد العلماء: انظر ابن سعد: **الطبقات** ٥/١٩٥، ٢٠١؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/٢٣٤؛ ابن العماد: **شذرات الذهب** ١/١٣٣.

(٣) هو عبدالله بن عامر بن ربيعة العنزي أبو محمد المدني حليف بني عدي ولد في عهد النبـي روى عن أبيه وعمر وعثمان وعبدالرحمن بن عوف وروى عنه الزهري، توفي سنة بضع وثمانين، انظر ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل**: ٢/٢/١٢٢؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٥/٢٧٠ ــ ٢٧١.

أو بلغكم عن عامل لي ظلامه، فأحرج بالله على أحد بلغه ذلك إلا أبلغني. فجزوه خيراً وافترقوا»[1].

لقد بين عمر في هذه المقالة القصيرة السياسة التي يريد اتباعها خلال فترة ولايته للمدينة وهي:

أنه أراد أن يرجع في حكمه إلى مبدأ الشورى الذي استنه الله سبحانه وتعالى لعباده، ومن أجل تطبيق هذا المبدأ رأيناه كيف أنه رغب الفقهاء في هذا الأمر، الذي من أجله دعاهم، وبين لهم أن الله يجزيهم عليه خيراً، ثم بين لهم أيضاً أنه يريدهم له أعواناً يعينونه على ما فيه خير، وصلاح، وحق، ثم أوضح لهم أنه لن يقضي بأمر مهما صغر إلا بعد مشاورتهم به وأخذ رأيهم فيه كلهم أو بعضهم.

ثم انتقل بعد ذلك إلى القسم بالله سبحانه وتعالى بأن يخبروه بكل شكوى تصدر من عامة الناس عليه، أو على أحد من عماله.

وهكذا بدا أن عمر قد عزم على أن يلتزم بما جاء في كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن يرجع إليهما ثم إلى أولي الرأي والعلم.

وهذا ما جعل الكثيرين يشهدون له بحسن سيرته، وصلاح عمله قال ابن عبدالحكم: «ولي عمر المدينة فسار بأحسن سيرة... لا يغمض عليه في بطن ولا فرج ولا حكم»[2].

وقال مالك بن أنس: «كان عمر بن عبدالعزيز لا يقضي بقضاء حتى يسأل سعيد بن المسيب، فأرسل إليه إنساناً يسأله، فدعاه فجاء حتى دخل فقال عمر: أخطأ الرسول: إنما أرسلناه يسألك في مجلسك»[3].

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٣٤؛ الطبري: تاريخ ٦/٤٢٧ ـ ٤٢٨؛ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٣٣ ب؛ ابن الأثير: **الكامل** ٤/٥٢٦.

(٢) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢١.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٢/٣٨٢.

وسعيد هذا كان لا يأتي أحداً من الخلفاء أو الأمراء[1]، إلا أنه جاء عمر وذلك تقديراً منه لهذا الحاكم الشاب الفذ، الذي كان يعمل في حكمه بالكتاب والسنة.

وشهد آخر على أحكام عمر بن عبدالعزيز في المدينة، قال الليث: «حدثني قادم البربري أنه ذاكر ربيعة بن أبي عبدالرحمن يوماً شيئاً من قضايا عمر بن عبدالعزيز إذ كان بالمدينة، فقال له الربيع: كأنك تقول: أخطأ، والذي نفسي بيده ما أخطأ قط»[2].

وكان عمر قد ولى على قضاء المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم[3].

ومن أهم الأعمال التي قام بها عمر خلال ولايته على المدينة هي: تنفيذ سياسة الوليد في أمور منها:

١ ــ توسعة المسجد النبوي بالمدينة:

جاء كتاب الوليد بن عبدالملك في شهر ربيع الأول من سنة ثمان وثمانين[4]، وقيل سبع وثمانين[5] للهجرة «يأمره بإدخال حجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله، وأن يشتري ما في مؤخره ونواحيه، حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له: قدم القبلة إن قدرت، وأنت تقدر لمكان أخوالك فانهم لا يخالفونك، فمن أبى منهم فمر أهل المصر فليقوموا له قيمة عدل، ثم أهدم عليهم وادفع إليهم الأثمان، فإن لك في ذلك سلف صدق، عمر وعثمان فأقرأهم كتاب الوليد وهم عنده، فأجاب القوم إلى الثمن،

---

(١) ابن كثير: **البداية والنهاية** ١٩٤/٩.

(٢) المصدر السابق ١٩٤/٩.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٣٣١/٥.

(٤) الطبري: **تاريخ** ٤٣٥/٦؛ أحمد بن إسحاق بن جعفر المعروف باليعقوبي (ت ٢٨٤هـ): **تاريخ اليعقوبي**، (ط. بيروت) ١٣٩٠هـ ــ ١٩٧٠م.

(٥) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٠١.

فأعطاهم إياه، وأخذ في هدم بيوت أزواج النبـي صلى الله عليه وسلم وبناء المسجد، فلم يمكث إلا يسيراً حتى قدم الفعلة، بعث بهم الوليد»[1].

٢ ـ **حفر الآبار وتسهيل الثنايا:**

وفي ذلك العام أرسل الوليد إلى عمر في تسهيل الثنايا وحفر الآبار في المدينة.

٣ ـ **عمل الفوارة:**

كما أرسل يأمره بعمل الفوارة بالمدينة، فعملها عمر وأجرى ماءها من ظاهر المدينة وقد بنيت تلك الفوارة في ظاهر المسجد عند بقعة رآها فأعجبته، وعندما حج الوليد وشاهدها أعجبته، فأمر لها بقوام يقومون عليها. كما أمر أهل المسجد أن يشربوا منها[2].

كما قام عمر بن عبدالعزيز على موسم حج عام سبعة وثمانين للهجرة[3].

وكذلك عام ثمانية وثمانين للهجرة، قال صالح بن كيسان: «خرج عمر بن عبدالعزيز... بعدة من قريش، أرسل إليهم بصلات وظهر للحمولة، واحرموا معه من ذي الحليفة، وساق معه بدناً، فلما كان بالتنعيم ليقيهم نفر من قريش... فأخبروه أن مكة قليلة الماء، وأنهم يخافون على الحاج العطش، وذلك أن المطر قل، فقال عمر: فالمطلب ها هنا بين، تعالوا ندع الله. قال: فرأيتهم دعوا ودعا معهم، فألحوا في الدعاء. قال صالح: فلا والله إن وصلنا إلى

---

(١) الطبري: **تاريخ** ٤٣٥/٦؛ وانظر ابن الأثير: **الكامل** ٥٣٢/٤؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٧٤/٩.

(٢) الطبري: **تاريخ** ٤٣٣/٦؛ وانظر خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣١١؛ وابن الأثير: **الكامل** ٥٣٣/٤. هذا وقد جاء في رواية لابن كثير أن الذي أقام الحج في هذه السنة هو نائب عمر على المدينة وقاضيه بها محمد بن عمرو بن حزم، انظر ابن كثير: **البداية والنهاية** ٧٢/٩ ـ ٧٣.

(٣) الطبري: **تاريخ** ٤٣٧/٦؛ ابن الأثير: **الكامل** ٥٣٣/٤؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٧٥/٩.

البيت ذلك اليوم إلا مع المطر حتى كان مع الليل، وسكبت السماء، جاء سيل الوادي، فجاء أمر خافه أهل مكة، ومطرت عرفه ومنى وجمع، فما كانت إلا عبرا، قال: ونبتت مكة تلك السنة للخصب»[1].

وقد انتهز عمر بن عبدالعزيز فرصة وجود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك بالمدينة للحج فسأله عن خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجابه أنس رضي الله عنه أن النبـي صلى الله عليه وسلم، خطب بمكة قبل التروية بيوم، وخطب بعرفة يوم عرفة، وخطب بمنى الغد من يوم النحر والغد من يوم النفر[2].

كما أقام عمر بن عبدالعزيز الحج في الأعوام التالية أيضاً وهي:

عام تسعة وثمانين، وتسعين، وإثنتين وتسعين[3].

أما في عام ثلاثة وتسعين للهجرة فقد كتب إليه الوليد بن عبدالملك قبل أن يعزله يأمره بضرب خبيب بن عبدالله بن الزبير وأن يصب الماء البارد على رأسه، فضربه عمر خمسين سوطاً، وصب عليه ماء بارداً في يوم شات ثم وقفه على باب المسجد فمات من يومه[4].

ويكمل ابن كثير بقية الرواية فيقول: «وكان عمر بن عبدالعزيز بعد موت خبيب شديد الخوف لا يأمن، وكان إذا بشر بشيء من أمر الآخرة يقول: وكيف وخبيب لي بالطريق؟ وفي رواية يقول هذا إذا لم يكن خبيب في الطريق، ثم يصيح صياح المرأة الثكلى، وكان إذا أثني عليه يقول: خبيب وما خبيب ان نجوت منه فأنا بخير.

وما زال على المدينة إلى أن ضرب خبيباً فمـات فعـزل وركبه الحزن

---

(١) الطبري: **تاريخ الرسل** ٦/٤٣٧ ــ ٤٣٨.

(٢) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٣١ ــ ٣٣٢.

(٣) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣١١ ــ ٣١٢؛ الطبري: ٦/٤٤١، ٤٤٧، ٤٦٨؛ اليعقوبي: **تاريخ** ٢/٢٩١؛ ابن الأثير: **الكامل** ٤/٥٤٠، ٥٤٨، ٥٦٩.

(٤) ابن الأثير: **الكامل** ٤/٥٧٨؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/٨٧.

والخوف من حينئذ، وأخذ في الاجتهاد في العبادة والبكاء، وكانت تلك هفوة منه وزلة، ولكن حصل له بسببها خير كثير، من عبادة وبكاء وحزن وخوف وإحسان وعدل وصدقة وبر وعتق وغير ذلك»[١].

نهاية ولايته على المدينة:

اتفق المؤرخون على أن نهاية ولاية عمر على المدينة كانت في عام ثلاثة وتسعين للهجرة، وقالوا بصدد ذلك: «ان عمر بن عبدالعزيز كتب إلى الوليد يخبره بعسف الحجاج بأهل عمله بالعراق، واعتدائه عليهم، وظلمه لهم بغير حق ولا جناية، وأن ذلك بلغ الحجاج، فاضطغنه على عمر، وكتب إلى الوليد: أن من قبلي من مراق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق، ولجأوا إلى المدينة ومكة، وان ذلك وهن.

فكتب الوليد إلى الحجاج: أن أشر علي برجلين، فكتب إليه يشير عليه بعثمان بن حيان، وخالد بن عبدالله، فولى خالداً مكة وعثمان المدينة»[٢].

وهكذا تظهر حادثة عزل عمر عن المدينة مدى قوة نفوذ الحجاج في الدولة الأموية، ولدى خلفائها ذلك النفوذ الذي جعلهم يأخذون برأيه ومشورته فيعزلون عمر رغم صلاحه.

وهكذا كلف عمر بن عبدالعزيز كراهيته للظلم عزله عن ولاية المدينة. ولما خرج من المدينة معزولاً، التفت إليها فبكى، ثم قال لمزاحم تخشى أن تكون ممن نفت المدينة، قال ابن كثير: «يعني أن المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد وينصع طيبها»[٣].

---

(١) **البداية والنهاية** ٨٧/٩.

(٢) الطبري: **تاريخ** ٤٨١/٦ ــ ٤٨٢؛ وانظر ابن الأثير: **الكامل** ٥٧٧/٤؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٨٨/٩.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٣٩٦/٥؛ ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٧؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ١٩٥/٩.

قال مزاحم: وعند خروجنا من المدينة كان القمر في الدبران فكرهت أن أقول ذلك له فقلت: ألا تنظر إلى القمر؟ ما أحسن استواءه في هذه الليلة: فنظر عمر فإذا هو بالدبران فقال: كأنك أردت أن تعلمني أن القمر بالدبـران. يا مزاحم إنا لا نخرج بشمس ولا بقمر، ولكنا نخرج بالله الواحد القهار[1].

ونزل عمر بن عبدالعزيز بمكان قريب من المدينة يطلق عليه السويداء[2]، حيناً من الزمن، ثم توجه بعدها إلى دمشق، حيث قدم على بني عمه هناك[3].

وهكذا انتهت ولاية عمر بن عبدالعزيز على المدينة، ومهما يكن من أمر فلا أظنني أبالغ إذا اعتبرت أن الله قد امتحن عمر بهاتين الولايتين ليعده للولاية الكبرى، ألا وهي الخلافة ليتدرب من خلالها على سياسة الرعية، وليقف بنفسه على أحوال الناس وليعرف احتياجاتهم وقد برهن عمر أثناء خلافته على صدق ذلك.

□ □ □

(١) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٧.
(٢) السويداء: موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام، ياقوت: **معجم البلدان** ٢٨٦/٣.
(٣) الطبري: **تاريخ** ٤٨٢/٦؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ١٩٥/٩.

الفَصْل الثّاني
عُمر الخليفة

ويشتمل على:

المبحث الأول: الظروف التي لابست استخلافه.

المبحث الثاني: منهج عمر بن عبدالعزيز في إدارة الدولة الإسلامية.

المبحث الثالث: على طريق الإصلاح.

المبحث الرابع: دوره في نشر الإسلام.



المبحث الأول

الظروف التي لابست استخلافه

تمهيـد:

تصادف أن ولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة على رأس المائة الأولى للهجرة (٩٩هـ)، وكان ذلك في الوقت الذي طغت على سطح الأحداث أخبار الصراع العنيف بين بني أمية، وبين مناهضيهم سواء من الشيعة، والمتشيعين، أو من عرب الجنوب، كان ذلك في الوقت الذي زاد فيه الاهتمام بتدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروايته ومتابعة تحقيقه، وكان من بين الأحاديث الصحيحة الإسناد حديث رواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[1].

فكان المسلمون يتوقعون تحقيق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، في الفترة التي ولى فيها عمر، وكعادة كل مجتمع أن تكثر التوقعات بين الناس، وتروج حول من يجدد دين الله للأمة، ومن العجب أن كثيراً من تلك التنبؤات كانت تنطبق على شخصية عمر بن عبدالعزيز، وقد نقلت لنا المصادر كثيراً من التنبؤات، ومنها ما رواه ابن سعد، حول نبوءة عمر بن الخطاب التي جاء فيها

---

(١) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، السنن، (ط. بيروت) بدون سنة الطبع ١٠٩/٤.

«ليت شعري من ذو الشين من ولدي الذي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»[١].

وقد حقق الإمام النووي هذا القول، وأثبت صحته فذكر بعد أن أورد حديث عمر بن الخطاب أنه «أراد بالشين الشجة التي كانت في وجهه» فقال: «بإسناده المتفق على صحته. . . عن ابن عمر قال: أنا كنا نتحدث أن هذا الأمر لا ينقضي حتى يلي هذه الأمة رجل من ولد عمر، يسير فيها بسيرة عمر بوجهه شامة، قال: فكنا نقول: هو بلال بن عبدالله بن عمر وكانت بوجهه شامة حتى جاء الله بعمر بن عبدالعزيز»[٢].

أما شجته تلك، فهي أثر لجرح أصابه في طفولته، نتيجة سقوطه من فوق دابة ركبها، أو أصابته حين اصطدم بها عفواً، يقول الطبري بصدد ذلك: فضمته أمه إليها، وأخذت تمسح الدم عن وجهه، فلما دخل عليها زوجها، وهي على هذه الحالة، أخذت تعذله وتلومه لكونه لم يضم إلى ولدها خادماً، أو حاضناً يرعاه من مثل هذه الحال! فأجابها عبدالعزيز: اصمتي يا أم عاصم، فطوباك إن كان هو أشج بني أمية[٣].

الظروف التي لابست استخلافه:

لم يصل عمر بن عبدالعزيز إلى منصب الخلافة وصولاً عادياً، ذلك أن الخلافة كانت قد ابتعدت عنه نتيجة لموت والده عبدالعزيز الذي كان أبوه قد بايع له بعد أخيه عبدالملك، غير أن الخليفة سليمان بن عبدالملك، خرج على نظام الخلافة الوراثي الذي التزم به بنو أمية، وعهد بها من بعده لابن عمه عمر.

ويرجع الفضل في صدور قرار سليمان إلى الدور الذي قام به رجاء بن

---

(١) **الطبقات ٥/٣٣٠.**

(٢) **تهذيب الأسماء واللغات ١/٢/١٩.**

(٣) **تاريخ ٦/٥٦٦**؛ وانظر ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢١؛ وابن الأثير **الكامل ٥/٥٩.**

حيوة، وزير سليمان بن عبدالملك، إضافة إلى سليمان ذاته، لذلك فمن المفيد في هذه الدراسة أن نقف وقفة قصيرة، نتحدث فيها عن هاتين الشخصيتين، ودور كل منهما في تطور الأحداث التي انتهت باستخلاف عمر بن عبدالعزيز.

رجاء بن حيوة:

أما رجاء فهو ابن حيوة بن جرول بن الأحنف بن السمط بن امرىء القيس بن عمرو الكندي، وكنيته أبو المقدام الشامي الفلسطيني، ويقال الأردني الإمام الفقيه شيخ أهل الشام ومن جلة التابعين[1].

روى عن عبدالله بن عمرو، وعبادة بن الصامت، وعبدالرحمن بن غنم، ومعاوية بن أبـي سفيان، وأبـي الدرداء، وأبـي سعيد الخدري، وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم، وكذلك عن غيرهم من كبار التابعين، وروى عنه كثير من التابعين، قال مطر الوراق: ما رأيت شامياً أفضل منه. وقال مكحول عنه: رجاء شيخنا، وسيدنا، وسيد أهل الشام في أنفسهم. وقال عنه مسلمة الأمير: برجاء وبمثله ننصر[2]، وقال ابن سعد: «كان ثقة فاضلاً كثير العلم»[3]، وقال عنه النووي: كان قاضياً، وقد أجمع العلماء على جلاله وعظم فضله في نفسه وعلمه[4]، وقال الذهبي وكان كبير الدولة الأموية[5]، وأضاف ابن خلكان أنه كان مشير الخلفاء والأمراء[6]، وجاء في سير أعلام: أن الله قد أجرى على يديه الخيرات[7].

---

(١) ابن قتيبة: **المعارف**، ص ٢٠٨؛ ابن خلكان: **وفيات الأعيان** ٢/٣٠١؛ النووي: **تهذيب الأسماء واللغات** ١/١/١٩٠؛ الذهبي: **تذكرة الحفاظ** ١/١١٨.

(٢) الأصبهاني: **حلية الأولياء** ٥/١٧٠؛ النووي: **تهذيب الأسماء واللغات** ١/١/١٩٠؛ الذهبي: **تذكرة الحفاظ** ١/١١٨؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٣/٢٦٥ ــ ٢٦٦.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٧/٤٥٤.

(٤) **تهذيب الأسماء واللغات** ١/١/١٩٠.

(٥) **تذكرة الحفاظ** ١/١١٨.

(٦) **وفيات الأعيان** ٥/١٧٠.

(٧) الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، (الجزء الرابع تحقيق مأمون الصاغرجي)، ص ٥٦٠.

كل هذه الصفات التي ذكرت عن رجاء تدل على أنه كان حصيف الرأي، حكيماً، مسموع الكلمة لدى بني أمية، وذا حظوة عند خلفائهم، الأمر الذي يؤيد ما ذكره المؤرخون عن الدور الذي قام به، وساعد على وصول عمر بن عبدالعزيز إلى منصب الخلافة كما سيأتي.

وقد توفي هذا العلم في سنة اثنتين عشرة ومائة للهجرة[1].

سليمان بن عبدالملك:

أما الشخصية الثانية، فهو الخليفة السابع ـ من بني أمية ـ سليمان بن عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس الأموي القرشي، وكنيته أبو أيوب.

ولد في المدينة، في بني جذيلة، في سنة ستين للهجرة[2]، وأمه ولادة بنت العباس بن جزء العبسية أم أخيه الوليد[3].

نشأ في الشام عند والده عبدالملك[4]، أو في البادية عند أخواله[5]، روى قليلاً عن والده، وعن عبدالرحمن بن هنيدة، وروى عنه ابنه عبدالواحد، والزهري[6]، وكان قد طلب من أبيه بأن يعهد إليه بعد أخيه الوليد ففعل، ولهذا تولى الخلافة بعد أخيه الوليد، في سنة ست وتسعين للهجرة بناء على ذلك[7].

---

(١) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٤٣؛ النووي: **تهذيب الأسماء واللغات** ١/١/١٩٠؛ الذهبي: **تذكرة الحفاظ** ١/١١٨.

(٢) الذهبي: **تاريخ الإسلام** ٤/٨؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٧٧؛ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت ٩٦٦هـ): **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس** (ط. مصر) ١٢٨٣هـ، ٢/٣١٤.

(٣) ابن خلكان: **وفيات الأعيان** ٢/٤٢٠؛ اليعقوبي: **تاريخ** ٢/٢٩٣، الديار بكري: **تاريخ الخميس** ٢/٣١٤.

(٤) ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٧٧.

(٥) الأربلي: **الذهب المسبوك**، ص ١٣.

(٦) الذهبي: **تاريخ الإسلام** ٤/٨؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٧٧.

(٧) ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٦٦، ١٧٨؛ الدياربكري: **تاريخ الخميس** ٢/٣١٤.

وبلغ به حرصه على مصلحة الرعية أنه لم يستأثر بحكمها وحده، مخافة أن يظلمها، ولهذا لجأ فور استلامه الحكم إلى ابن عمه الفقيه والإمام باعتراف أئمة المسلمين آنذاك عمر بن عبدالعزيز، فاتخذه «وزيراً ومستشاراً وقال له: انا ولينا ما ترى، وليس لنا علم بتدبيره، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به فليكتب»[١].

ونتيجة لذلك عزل سليمان عمال الحجاج الثقفي، وكذلك أخرج من كان في سجن العراق، وأطلق سراح الأسرى، وبذل الأعطيات بالعراق، ورد المظالم، ومن ذلك أيضاً أنه كتب بأن الصلاة قد أميتت، فأحيوها، وردوها إلى ميقاتها الأول، هذا بالإضافة إلى كثير من الأمور الحسنة التي كان يسمعها من ابن عمه عمر، إلى جانب حبه للعدل، والغزو، وتوقفه عن الدماء[٢].

وكان محباً للعلماء، مكرماً لهم حريصاً على لقائهم، والانتفاع بما أوتوا من العلم[٣].

كما أخذ على عاتقه أن يلتقي بالناس في كل يوم جمعة، يعظهم، ويحثهم على تقوى الله وطاعته، روى ابن كثير عن يزيد بن حازم أنه قال[٤]: «كان سليمان بن عبدالملك يخطبنا كل جمعة لا يدع أن يقول أيها الناس، إنما أهل الدنيا على رحيل لم تمض بهم نية، ولم تطمئن لهم دار حتى يأتي وعد الله، وهم على ذلك، لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، ولا يتقى من شر أهلها، ثم يقرأ ﴿أفرأيت أن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾[٥].

---

(١) الذهبي: **تاريخ الإسلام** ٤/٨؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ١٧٨/٩.

(٢) ابن خلكان: **وفيات الأعيان** ٤٢٠/٢؛ الأربلي: **الذهب المسبوك**، ص ١٣، الذهبي: **تاريخ الإسلام** ٨/٤، ابن كثير: **البداية والنهاية** ١٧٧/٩؛ الدياربكري: **تاريخ الخميس** ٣١٤/٢.

(٣) انظر ابن خلكان: **وفيات الأعيان** ٤٢٢/٢ ـ ٤٢٤.

(٤) **البداية والنهاية**: ١٧٩/٩.

(٥) الآيات: ٢٠٥ ـ ٢٠٧ من سور الشعراء.

هذا هو سليمان بن عبدالملك الذي قال عنه المؤرخون، بأنه كان من خيار خلفاء بني أمية، وأنه مفتاح الخير ابتدأ بخير، واختتم خلافته بخير، افتتحها بإجابة الصلاة لمواقيتها، وختمها باستخلاف عمر بن عبدالعزيز[1].

وقد اشتهر عن سليمان بن عبدالملك حبه للجهاد في سبيل الله، ومن ذلك ما ذكره المؤرخون، من أنه أمر بغزو القسطنطينية، وجهز لذلك الجيوش في البر والبحر، وكان ذلك في سنة ثمان وتسعين للهجرة، وسار هو نفسه من بيت المقدس، إلى مدينة دمشق، حيث اجتمعت له العساكر، فأمر عليها أخاه مسلمة بن عبدالملك، وقال لهم: سيروا على بركة الله. بعد أن أوصاهم بتقوى الله، وطاعته، وبالتناصح، والتناصف، وأمرهم بالإقامة هناك حتى يتم لهم فتحها.

أما هو فقد سار من دمشق حتى نزل مرج دابق، لأنه آلى على نفسه ألا يرجع إلى دمشق حتى تفتح القسطنطينية، أو يموت قبل ذلك، فحصل بهذه النية على أجر الرباط في سبيل الله، حيث وافته المنية هناك، أثر إصابته بالحمى، ويقال أصيب بذات الجنب. وكان ذلك في صفر سنة تسع وتسعين للهجرة[2]، بعد أن عهد بولاية العهد لابن عمه عمر بن عبدالعزيز.

هذان هما الرجلان اللذان أثرا في مجرى الأحداث، حتى آلت الخلافة إلى عمر بن عبدالعزيز، فكيف تم ذلك الأمر؟.

استخلاف عمر بن عبدالعزيز:

لمعرفة ذلك أترك المجال لبعض المصادر المبكرة كي تقدم لنا هذه المناسبة المهمة في تاريخ الدولة الأموية، يذكر ابن سعد في طبقاته[3]:

«عن سهيل بن أبـي سهيل قال: سمعت رجاء بن حيوة يقول: لما كان

---

(١) ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٧٩.

(٢) الطبري: **تاريخ** ٦/٥٤٦؛ ابن الأثير: **الكامل** ٥/٣٧؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٧٧.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٣٥ ـ ٣٣٨.

يوم الجمعة، لبس سليمان بن عبدالملك ثياباً خضراً من خز، ونظر في المرآة فقال: أنا والله الملك الشاب. فخرج إلى الصلاة يصلي بالناس الجمعة، فلم يرجع حتى وعك، فلما ثقل كتب كتاب عهده إلى ابنه أيوب، وهو غلام لم يبلغ فقلت: ما تصنع يا أمير المؤمنين؟ إنه مما يحفظ به الخليفة في قبره أن يستخلف الرجل الصالح.

وقال سليمان: كتاب أستخير الله فيه، وأنظر، ولم أعزم عليه. فمكث يوماً أو يومين، ثم خرقه، ثم دعاني، فقال: ما ترى في داود بن سليمان؟ فقلت هو غائب بقسطنطينية، وأنت لا تدري أحي هو أم ميت. قال: يا رجاء فمن ترى؟ قال: فقلت: رأيك يا أمير المؤمنين، وأنا أريد أن أنظر من يذكر. فقال: كيف ترى في عمر بن عبدالعزيز؟ فقلت: أعلمه والله فاضلاً، خياراً مسلماً. فقال: هو على ذلك، والله لئن وليته، ولم أول أحداً من ولد عبدالملك لتكونن فتنة، ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده.

ـ ويزيد بن عبدالملك يومئذ غائب على الموسم ـ قال: فيزيد بن عبدالملك أجعله بعده، فإن ذلك مما يسكنهم ويرضون به. قلت: رأيك، قال فكتب بيده بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبدالله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبدالعزيز، إني وليته الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبدالملك فاسمعوا له، وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا، فيطمع فيكم. وختم الكتاب فأرسل إلى كعب بن حامد صاحب شرطة أن مر أهل بيتي فليجتمعوا.

فأرسل إليهم كعب، فجمعهم، ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم: اذهب بكتابي هذا إليهم، فأخبرهم، أنه كتابي، ومرهم فليبايعوا من وليت. قال: ففعل رجاء، فلما قال لهم ذلك رجاء قالوا: سمعنا وأطعنا لمن فيه، وقالوا: ندخل فنسلم على أمير المؤمنين، قال: نعم. فدخلوا فقال لهم سليمان: هذا الكتاب ـ وهو يشير لهم وهم ينظرون إليه في يد رجاء بن حيوة ـ هذا عهدي، فاسمعوا، وأطيعوا، وبايعوا لمن سميت في هذا الكتاب. قال فبايعوه رجلاً رجلاً: قال: ثم خرج بالكتاب مختوماً في يد رجاء.

قال رجاء: فلما تفرقوا: جاءني عمر بن عبدالعزيز فقال: يا أبا المقدام، إن سليمان كانت لي به حرمة ومودة، وكان بـي براً ملطفاً، فأنا أخشى أن يكون قد أسند إلى من هذا الأمر شيئاً، فأنشدك الله وحرمتي ومودتي، ألا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن، قبل أن يأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر الساعة. فقال رجاء: لا والله ما أنا بمخبرك حرفاً واحداً. قال: فذهب عمر غضبان.

قال رجاء: ولقيني هشام بن عبدالملك، فقال: يا رجاء، إن لي بك حرمة ومودة قديمة وعندي شكر، فأعلمني أهذا الأمر إليّ؟ فإن كان إلي علمت، وإن كان إلى غيري تكلمت، فليس مثلي قصر به، ولا نحيى عنه هذا الأمر، فأعلمني فلك الله ألا أذكر اسمك أبداً.

قال رجاء: فأبيت وقلت لا والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسر إلي.

فانصرف هشام وهو مؤس، وهو يضرب بإحدى يديه على الأخرى، وهو يقول: فإلى من إذا نحيت عني؟ أتخرج من بني عبدالملك؟ فوالله إني لعين بني عبدالملك.

قال رجاء: ودخلت على سليمان بن عبدالملك، فإذا هو يموت. قال: فجعلت إذا أخذته سكرة من سكرات الموت، حرفته إلى القبلة، فجعل يقول وهو يفأق: لم يأن لذلك بعد يا رجاء. حتى فعلت ذلك مرتين. فلما كانت الثالثة قال: من الآن يا رجاء، إن كنت تريد شيئاً أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال فحرفته، ومات، فلما أغمضته سجيته بقطيفة خضراء وأغلقت الباب، وأرسلت إلى زوجته تنظر إليه، كيف أصبح فقلت: نام وقد تنطى، فنظر الرسول إليه، مغطى بالقطيفة فرجع، فأخبرها، فقبلت ذلك وظنت أنه نائم.

قال رجاء: وأجلست على الباب من أثق به، وأوصيته أن لا يريم حتى آتيه، ولا يدخل على الخليفة أحداً. قال: فخرجت، فأرسلت إلى كعب بن حامد العنسي، فجمع أهل بيت أمير المؤمنين، فاجتمعوا في مسجد دابق فقلت:

بايعوا، قالوا: قد بايعنا مرة ونبايع أخرى! قلت: هذا أمر أمير المؤمنين، بايعوا على ما أمر به، ومن سمى في هذا الكتاب المختوم، فبايعوا الثانية رجلاً رجلاً.

قال رجاء: فلما بايعوا بعد موت سليمان، رأيت أني قد أحكمت الأمر، قلت قوموا إلى صاحبكم فقد مات. قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون. وقرأت عليهم الكتاب، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبدالعزيز نادى هشام: لا نبايعه أبداً. قال قلت: أضرب والله عنقك، قم فبايع. فقام يجر رجليه.

قال رجاء: وأخذت بضبعي عمر، فأجلسته على المنبر وهو يسترجع، لما وقع فيه، وهشام يسترجع لما أخطأه. فلما انتهى هشام إلى عمر، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أي حين صار هذا الأمر إليك على ولد عبدالملك. قال فقال عمر: نعم فإنا لله وإنا إليه راجعون، حين صار إلي لكراهتي له[1].

وإذا كان ابن كثير قد تطابقت روايته في مجملها حول ظروف إعطاء ولاية العهد لعمر مع رواية ابن سعد والطبري، غير أنه علق على ذلك بقوله: «وقد ذكرنا في ترجمة سليمان بن عبدالملك أنه لما حضرته الوفاة أراد أن يعهد إلى بعض أولاده، فصرفه وزيره الصالح رجاء بن حيوة عن ذلك، وما زال به حتى عهد إلى عمر بن عبدالعزيز من بعده، وصوب ذلك رجاء فكتب سليمان العهد في صحيفة وختمها، ولم يشعر بذلك عمر، ولا أحد من بني مروان سوى سليمان ورجاء»[2].

أما رواية ابن عبدالحكم التي أوردها في كتابه: «سيرة عمر بن عبدالعزيز» فهي وإن كانت تتفق في مجملها مع رواية ابن سعد، إلا أنها تخالفها في بعض التفاصيل التي لها دلالتها، ومن أجل ذلك أوردها، وقد جاء فيها:

---

(١) انظر الطبري: **تاريخ** ٦/٥٥٠ ــ ٥٥٢؛ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٣ / ورقة ١٣٨ ب ــ ١٣٩ أ، ١٣٩ ب؛ ابن الأثير: **الكامل** ٥/٣٨ ــ ٤٠؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٨١ ــ ١٨٣.

(٢) **البداية والنهاية** ٩/١٩٧.

«وكان لسليمان بن عبدالملك ابن يقال له أيوب بن سليمان، فعقد له ولاية العهد من بعده، ثم أن أيوب توفي قبل سليمان، ولم يبق لسليمان ولد إلا صغير فلما حضرته الوفاة، أراد أن يستخلف، فحضره عمر بن عبدالعزيز ورجاء بن حيوة، فقال لرجاء: أعرض علي ولدي في القمص والأردية. فعرضهم عليه، فإذا هم صغار لا يحتملون ما لبسوا من القمص والأردية يسحبونها سحباً فنظر إليهم وقال: يا رجاء:

انـي بنـي صبيـة صغـار أفلح من كـان لـه كبـار

فقال له عمر بن عبدالعزيز: يا أمير المؤمنين، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾[1]. ثم قال يا رجاء اعرض على بني في السيوف، فقلدهم السيوف، ثم عرضهم عليه فإذا هم صغار لا يحملونها، يجرونها جراً فنظر إليهم وقال:

إن بني صبيـة صيفيـون أفلح من كـان لـه ربعيـون

فقال له عمر بن عبدالعزيز: يقول الله تبارك وتعالى ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾ فلما لم ير في ولده ما يريد حدث نفسه بولاية عمر بن عبدالعزيز، لما كان يعرف من حاله، فشاور رجاء فيمن يعقد له، فأشار عليه رجاء بعمر، وسدد له رأيه فيه، فوافق ذلك رأي سليمان، وقال: لأعقدن عقداً لا يكون للشيطان فيه نصيب، فلما اشتد به وجعه عهد عهداً ـ لم يطلع عليه أحداً إلا رجاء بن حيوة الكندي ـ، استخلف فيه عمر بن عبدالعزيز، ويزيد بن عبدالملك من بعد عمر. فدخل سعيد بن خالد مع عمر بن عبدالعزيز وبعض أهل بيته. يعودون سليمان، فرأوا به الموت، فمشى عمر بن عبدالعزيز وسعيد بن خالد ورجاء بن حيوة، وتخلف عمر كأنه يعالج نعليه، حتى أدركه رجاء فقال له يا رجاء: إني أرى أمير المؤمنين في الموت، ولا أحسبه إلا سيعهد،

---

(١) الآيتان ١٤ ـ ١٥، من سورة الأعلى.

وأنا أناشدك الله إن ذكرني بشيء من ذلك إلا صددته عني، وإن لم يذكرني، أن لا تذكرني له في شيء من ذلك، فقال رجاء لعمر: لقد ذهب ظنك مذهباً، ما كنت أحسبك تذهبه: أتظن بني عبدالملك يدخلونك في أمورهم؟ وقد كان سليمان فرغ من ذلك، ولكنه أراد إخفاؤه عن عمر، فلما ولي هشام بن عبدالملك ذكر له فعل رجاء بن حيوة، فقال: أوليس بصاحب عمر بن عبدالعزيز يوم وافقه؟ ثم أصبح وقد استخلف فذكر ذلك لرجاء فقال رجاء: أو لا أخبركم عن ذلك الموقف؟ أن عمر نشدني الله أن لا أذكره في شيء من أمر الخلافة، وإن كان سليمان ذكره أن أصده عنه. فعجب هشام من قول رجاء وقال: وما أحسب عمر خطا خطوة إلا وله فيها نية.

فلما حضر سليمان، واشتد ما به، أمر بالبيعة لمن كان في كتابه ممن عهد إليه. فبايع الناس ولا يعلمون من في كتابه. ثم قضى الله على سليمان بالموت، فلما مات كتمه رجاء بن حيوة. ثم خرج إلى الناس فقال: إن أمير المؤمنين يأمركم بتجديد البيعة لمن كان عهد إليه، وقد أصبح بحمد الله صالحاً. فقالوا: أوصلنا إلى أمير المؤمنين لننظر إليه، وننفذ لأمره، فدخل، فأمر به، فأسند بالوسائد، وأقام عند خادماً، وأمر بالناس فأدخلوا عليه، فيقفون عند الباب، فيسلمون من بعيد، وهم يرون شخصه، فيرد الخادم عنه رد المريض وهم ينظرون إليه. ثم قال: يأمركم أمير المؤمنين أن تبايعوا لمن عهد إليه وتسمعوا له وتطيعوا، فخرجوا إلى المسجد والناس مجتمعون. وجوه بني مروان وبني أمية وأشراف الناس، فبايعوا حتى إذا رضي رجاء من ذلك، نظر فإذا هو لا يرى عمر، فخرج يلتمسه في المسجد، حتى رآه قاصياً فوقف عليه وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قم إلى المنبر. فقال: أنشدك الله يا رجاء فقال رجاء: أناشدك الله أن يضطرب بالناس حبل، فقد لقي سليمان ربه، وقضى الله عليه الموت. فقام عمر حتى جلس على المنبر، فنعى للناس سليمان وفتح الكتاب فإذا فيه استخلاف عمر ويزيد بن عبدالملك من بعد عمر، فلما قرأ ذكر عمر جثا هشام بن عبدالملك على ركبتيه وقال: هاه. فسل رجل من أهل الشام سيفه وقال: تقول لأمر قد قضاه أمير المؤمنين هاه. فلما قرأ ثم يزيد بن

عبدالملك من بعد عمر قال هشام: سمعنا وأطعنا. فسمع الناس، وأطاعوا وقاموا، فبايعوا لعمر»[1].

أما الرواية الثالثة فيرويها لنا الدينوري فيقول:

«... ثم مرض (سليمان) مرضته التي مات فيها، فلما ثقل كتب كتاباً، وختمه، ولم يدر أحد ما كتب فيه، ثم قال لصاحب شرطه: اجمع إليك إخوتي، وعمومتي، وجميع أهل بيتي، وعظماء أجناد الشام، واحملهم على البيعة لمن سميت في هذا الكتاب، فمن أبى منهم أن يبايع فاضرب عنقه، ففعل.

فلما اجتمعوا في المسجد، أمرهم بما أمر به سليمان. فقالوا: أخبرنا، من هو؟ لنبايعه على بصيرة.

فقال: والله ما أدرى من هو، وقد أمرني أن أضرب عنق من أبى قال رجاء بن حيوة: فدخلت على سليمان، فأكببت عليه وقلت: يا أمير المؤمنين، من صاحب الكتاب الذي أمرتنا بمبايعته؟ فقال: إن أخوى يزيد وهشام لم يبلغا أن يؤتمنا على الأمة، فجعلتها للرجل الصالح، عمر بن عبدالعزيز، فإذا توفى عمر رجع الأمر إليهما.

فخرج رجاء بن حيوة، فأخبر يزيد وهشاماً بذلك، فرضيا وسلما وبايعا ثم بايع بعدهما جميع الناس»[2].

وهذه الروايات توضح تماماً دور كل من الرجلين الخليفة سليمان بن عبدالملك، ورجاء بن حيوة في استخلاف عمر بن عبدالعزيز، فبالنسبة للخليفة سليمان بن عبدالملك، فإنه قد تدبر الأمر، وفكر فيه ملياً، إذ علم أن الله سائله فيه، ماذا عمل به أهو أعطاه لمن يستحقه، أم أسنده لرجل يضيع ويضيع الأمة الإسلامية؟ ولهذا توقف عن إسناد الخلافة لبنيه الصغار لضخامة مسؤوليتها

---

(١) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٣٨ ــ ٣١؛ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٣ / ورقة ١٣٧ ب ــ ١٣٨ أ.

(٢) **الأخبار الطوال**، ص ٣٢٩ ــ ٣٣٠.

عليهم، وأسندها للرجل الصالح عمر بن عبدالعزيز الذي أعانه في خلافته، وكان له وزيراً ومشيراً، فعرف من خلالها أنه أنسب رجل يصلح لها.

كما أن سليمان قد توقف عن إسناد الخلافة لأخويه يزيد، وهشام، لأنه علم أنهما لم يبلغا أن يؤتمنا على الأمة الإسلامية، ولهذا جعلها للرجل الصالح عمر بن عبدالعزيز، فإذا توفى عمر عاد الأمر إليهما.

أما دور رجاء بن حيوة، فكان دور واضع الخطة التنفيذية لما قرره سليمان من استخلاف عمر، فعلى أسلوبه الذي وضعه، لإبلاغ الخبر إلى بني أمية، وطريقة حصوله على بيعتهم لعمر ترتب تنفيذ عهد سليمان، إذ لو اتبع أي أسلوب آخر غير ذلك لما كان هشام بن عبدالملك هو المعترض وحده، بل لاعترض كل البيت الأموي على هذا التعيين، لأن بيدهم من الحجج ما كانوا يستطيعون بها الدفاع عن اعتراضهم، ولكنهم بايعوا بظهر الغيب، وقبل أن يعرفوا شخصية من يبايعون له ظناً منهم أنها سوف تكون في نطاق أبناء عبدالملك، أو أبناء سليمان بن عبدالملك على الأرجح، وكانت بيعتهم من باب طاعة ولي الأمر التي أمر بها الله عز وجل في كتابه العزيز، على أننا لو أخذنا بما جاء في رواية ابن عبدالحكم من أن رجاء هو الذي أشار على سليمان بتولية عمر الأمر الذي يؤيده الذهبي[1]، لكان دور رجاء أخطر، وأضخم في استخلاف عمر بن عبدالعزيز، ولصار هو صاحب الأمر كله، اللهم إلا توقيع كتاب التولية الذي ما كان يملكه إلا ولي الأمر سليمان، وهكذا استخلف عمر بن عبدالعزيز بعد أن تمت مبايعة البيت الأموي، والناس له، وذلك في العاشر من شهر صفر سنة تسع وتسعين هجرية[2].

ولكن قبل أن نواصل حديثنا عن عمر بن عبدالعزيز، هناك سؤال يطرح

---

(١) **دول الإسلام ١/ ٥٠؛ وسير أعلام النبلاء ٥/ ١١٣.**

(٢) الطبري: **تاريخ ٦/ ٥٥٠**؛ ابن الأثير: **الكامل ٥/ ٣٧**؛ ابن كثير: **البداية والنهاية، ٩/ ١٨٤.**

نفسه: ترى ما هي الأسباب التي جعلت سليمان بن عبدالملك يصدر مثل هذا القرار.

لا شك أن سليمان حين أمر أن لا تفض وصيته إلا بعد موته، كان يدرك تماماً أن أبناء عبدالملك سيعارضون هذا العمل بشدة، وأنه سوف يتعرض للمواجهة مع أخوته.

ويعلل بعض المؤرخين المتقدمين هذه الأسباب فيقولون:

وكان الوليد قد «عزم. . . على خلع أخيه سليمان من ولاية العهد ليولي ابنه. . . ، وأراد على ذلك آله، فامتنع عمر بن عبدالعزيز، وقال: لسليمان: في أعناقنا بيعة، فغضب الوليد، وطين على عمر، ثم فتح عليه بعد ثلاث، وقد ذبل، ومالت عنقه، وقيل خنق بمنديل حتى صاحت أم البنين ـ أخت عمر ـ فلذلك شكر سليمان لعمر، وأعطاه الخلافة من بعده»[1].

أما الباحثون المحدثون فيرجعون سبب استخلاف سليمان لعمر إلى تجرد سليمان على غير عادة من سبقه من بني أمية من الأنانية، وأخذ مصلحة المسلمين بعين الاعتبار[2]، بعكس والده عبدالملك بن مروان الذي حرص على خلع أخيه عبدالعزيز من ولاية العهد، وتولية ولده الوليد وكاد أن يفعل ذلك إلا أن موت أخيه عبدالعزيز قبله ساعده على العهد لابنه الوليد، وكذلك من أخيه الوليد الذي حاول تكرار العمل نفسه معه، ولكن الموت أدركه قبل أن يتم له ذلك.

إلى جانب ما سبق من عرض لآراء القدامى والمحدثين فهناك عوامل أخرى ساعدت سليمان على اتخاذ هذا القرار منها: نزعته إلى الخير، وحرصه على أن يلقى الله بعمل يقربه منه، يكون به عنه راضياً، وتعود نزعة الخير

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٤٨/٥ ـ ١٤٩؛ **تاريخ الإسلام**، ١٤٧/٤.

(٢) محمد جبر أبو سعدة: **محاضرات في تاريخ الخلفاء الأمويين**، (ط. القاهرة) ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، ص ٤٢؛ أحمد شلبي **موسوعة التاريخ الإسلامي**، (ط. القاهرة) ١٩٧٣م، ٧٨/٢.

الكامنة في نفس سليمان إلى تدينه، والتزامه بتعاليم القرآن، وتجلى ذلك واضحاً في عدله وإحسانه لرعيته كما لمسنا ذلك من خلال تتبع حياته.

رأي العلماء في صحة استخلاف عمر بن عبدالعزيز:

ونعود الآن لنطرح السؤال الآخر وهو: هل كانت هذه البيعة صحيحة أم لا؟.

وللإجابة على ذلك، أورد ما جاء في بعض المصادر ذات الصلة الوثيقة بهذه المسألة، يقول الحافظ ابن كثير:

«وقد اختلف العلماء في مثل هذا الصنيع في الرجل يوصي الوصية في كتاب، ويشهد على ما فيه من غير أن يقرأ على الشهود. ثم يشهدون على ما فيه فينفذ، فسوغ ذلك جماعات من أهل العلم، قال أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري: أجاز ذلك وأمضاه، وأنفذ الحكم به جمهور أهل الحجاز، وروى ذلك عن سالم بن عبدالله، وهو مذهب مالك ومحمد بن مسلمة المخزومي ومكحول، ونمير بن أوس وزرعة بن إبراهيم، والأوزاعي وسعيد بن عبدالعزيز، ومن وافقهم من فقهاء الشام.

وحكى نحو ذلك خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه، وقضاة جنده، وهو قول الليث بن سعد فيمن وافقه من فقهاء أهل مصر، والمغرب، وهو قول فقهاء أهل البصرة وقضاتهم. وروى عن قتادة، وعن سوار بن عبدالله، وعبيدالله ابن الحسن، ومعاذ بن معاذ العنبري، فيمن سلك سبيلهم، وأخذ بهذا عدد كثير من أصحاب الحديث، منهم أبو عبيد، وإسحاق بن راهويه. قلت: وقد اعتنى به البخاري في صحيحه. قال المعافى: وأبى ذلك جماعة من فقهاء العراق، منهم إبراهيم وحماد والحسن، وهو مذهب الشافعي وأبي ثور قال: وهو قول شيخنا أبي جعفر، وكان بعض أصحاب الشافعي بالعراق يذهب إلى القول الأول، وقال الجريري: وإلى القول الأول نذهب»[1].

---

(١) **البداية والنهاية**، ٩/١٩٧ ــ ١٩٨؛ وانظر ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٣/ ورقة ١٣٨ ب.

وقال الماوردي[1]:

«ولو عهد الخليفة إلى اثنين أو أكثر ورتب الخلافة فيهم فقال: الخليفة بعدي فلان فإن مات فالخليفة بعد موته فلان، فإن مات فالخليفة بعده فلان، جاز، وكانت الخلافة متنقلة إلى الثلاثة على ما رتبها، فقد استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش مؤتة زيد بن حارثة، وقال: فإن أصيبب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبدالله بن رواحة، فإن أصيب فليرتض المسلمون رجلاً، فتقدم زيد فقتل، فأخذ الراية جعفر، وتقدم، فقتل، فأخذ الراية عبدالله بن رواحة فتقدم، فقتل، فاختار المسلمون بعده خالد بن الوليد وإذ فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في الإمارة، جاز مثله في الخلافة. فإن قيل هي عقد ولاية على صفة وشرط، والولايات لا يقف عقدها على الشروط والصفات، قيل هذا من المصالح العامة التي يتسع حكمها على أحكام العقود الخاصة، فقد عمل بذلك في الدولتين من لم ينكر عليه أحد من علماء العصر، هذا سليمان بن عبدالملك عهد إلى عمر بن عبدالعزيز، ثم بعده إلى يزيد بن عبدالملك، ولئن لم يكن سليمان حجة فإقرار من عاصره، من علماء التابعين ومن لا يخافون في الحق لومة لائم هو الحجة».

وقد أيد ابن حجر صحة الإيصاء بالاستخلاف على اعتبار «أن الاستخلاف أضبط لأمر المسلمين»[2]، وفي هذا استخلاف أبي بكر لعمر «دليل على جواز عقد الخلافة من الإمام المتولى لغيره بعده، وأن أمره في ذلك جائز على عامة المسلمين لإطباق الصحابة، ومن معهم على العمل بما عهده أبو بكر لعمر، وكذلك لم يختلفوا في قبول عهد عمر إلى الستة، قال: وهو شبيه بإيصاء الرجل على ولده، لكون نظره فيما يصلح أتم من غيره، فكذلك الإمام»[3]، وقد أورد ابن حجر كثيراً من الأحاديث، والأدلة القياسية على صحة الاستخلاف، وهذا يؤكد لنا صحة استخلاف سليمان لعمر بن عبدالعزيز.

---

(1) **الأحكام السلطانية**، ص ١٣.

(2) **فتح الباري**، ٢٠٧/١٣.

(3) المصدر السابق، ٢٠٧/١٣.

ونضيف إلى ما تقدم، أن عمر بن عبدالعزيز عندما اعتلى المنبر قال: «أيها الناس، أني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين. وأني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم.

فصاح الناس صيحة واحدة. قد اخترناك يا أمير المؤمنين، ورضينا بك، فلِ أمرنا باليمن والبركة»[١].

وإذا لم تصح بيعة عمر بن عبدالعزيز على رأي من عارض عمل سليمان صحت له بعد حلهم من بيعتهم له، ثم قيامهم بمبايعته عن رغبة منهم وبهذا تكون بيعته قد توفرت فيها جميع الشروط التي حددها الشرع الإسلامي، ألا وهي الشورى في أجل صورها.

ولم يكتف عمر بمبايعة الحاضرين له، ليصبح خليفة بل اشترط في قبوله الخلافة موافقة الأمصار الإسلامية الأخرى، فيذكر ابن كثير أن عمر بن عبدالعزيز قال في خطبته الأولى عقب استخلافه: «... وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم، وإن هم أبوا فلست لكم بوال، ثم نزل»[٢].

وقد كتب إلى الأمصار الإسلامية، فبايعت كلها[٣]، وهذه نقطة أخرى،

---

(١) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٣؛ وانظر كمال الدين الدميري (ت ٨٠٨هـ): **حياة الحيوان الكبرى**، بدون مكان الطبع ولا سنته، ١/ ٦٨.
(٢) **البداية والنهاية**، ٩/ ١٨٣.
(٣) فمثلاً كتب إلى يزيد بن المهلب يقول: «أما بعد فإن سليمان كان عبداً من عباد الله أنعم الله عليه ثم قبضه واستخلفني، ويزيد بن عبدالملك من بعدي إن كان، وإن الذي ولاني الله من ذلك وقدر لي ليس عليّ بهين، ولو كانت رغبتي في اتخاذ أزواج أو اعتقاد أموال، لكان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ بأحد من خلقه، وأنا أخاف فيماابتليت به حساباً شديداً ومسألة غليظة إلا ما عفا الله ورحم، وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك، انظر ابن الأثير: **الكامل**، ٥/ ٦٠».

لصالح تأكيد شرعية خلافة عمر بن عبدالعزيز إذ لم يكتف بأهل الحل والعقد في دابق وحدها، بل أخذ البيعة من سائر المسلمين في الأمصار، فكانت البيعة الجامعة الشاملة.

□□□



المبحث الثـاني

منهج عمر في إدارة الدولة الإسلامية

لقد صدم عمر بن عبدالعزيز عندما سمع العهد باستخلافه، فلم يستطع الوقوف رهبة، وخوفاً مما أسند إليه[1]، وهنا قال: «أما والله ما الله أردت بهذا ولن تصيب بها مني دنيا»[2]، وقال أيضاً: «يا أيها الناس إني والله ما سألتها الله في سر، ولا علانية قط»[3].

ومن المرجح أن عمر قد عزم على أن يطلب بها شرف الآخرة، ولهذا قرر أن يرجع بالخلافة إلى عهد الخلفاء الراشدين، يحيي سنناً كثيرة أماتها من كان قبله من الخلفاء الأمويين، شاهدها بنفسه، ولمسها بذاته، ويصلح ما أفسدوه، ويرفع الظلم عمن ظلموه.

فمنذ اليوم الأول من خلافته، بدأت التغييرات التي خالف بها سيرة من سبقه من خلفاء بني أمية، فأذهل بها القاصي، والداني، وأغضب بها قرابته، وأسر بها عامة رعيته، وعلى رأسهم رجاء بن حيوة، لتحقق صدق فراسته فيه، وهذا ما جعل المنذر بن عبيد يقول:

«ولى عمر بن عبدالعزيز بعد صلاة الجمعة، فأنكرت حاله في

---

(١) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥١.
(٢) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٤٠.
(٣) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٥.

العصر»[1]، لأن عمر عمد في هذا اليوم، وإلى آخر يوم من حياته، إلى كل خلية من خلايا الدولة الإسلامية، فأزال عنها ما حدث لها، وأرجع إليها نبضها الأول الذي نزلت به رسالة السماء، وقد كلفه هذا غالياً، ألا وهي حياته، ولكنه أرضى قبل كل شيء مليكه، وخالقه، سبحانه وتعالى، فكان بحق خليفة الله على الأرض.

وكان عهده أشبه ما يكون بعهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم الأمر الذي جعل العلماء أمثال سفيان الثوري (ت ١٦١هـ) والشافعي (ت ٢٠٤هـ)، يصفونه بالخليفة الراشد الخامس، ويلحقون عهده بعهد الخلفاء الراشدين[2]، واعتبره آخرون غيرهم مثل أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، مجدد المائة الأولى، فيروي ابن كثير عن أحمد بن حنبل قال: «إن عمر بن عبدالعزيز كان على رأس المائة الأولى، وإن كان هو أولى من دخل في ذلك وأحق، لإمامته وعموم ولايته، وقيامه، واجتهاده في تنفيذ الحق، فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن الخطاب، وكان كثيراً ما تشبه به»[3].

ولمعرفة حقيقة الأعمال التي قام بها عمر بن عبدالعزيز في خلافته، والتي بهرت كل من كان حوله من الرعية، والعلماء، والمؤرخين، بعد ذلك، ويشهدون له بمثل هذه الشهادات ندع النصوص التاريخية تقدمها لنا.

اللقاء الأول مع الأمة:

صعد عمر المنبر، وقال في أول لقاء مع الأمة بعد استخلافه:

«أيها الناس، إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه،

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٤١.

(٢) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣ / ورقة ١٤٦/أ؛ ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٩ ـ ٦٠.

(٣) **البداية والنهاية** ٩/٢٠٧؛ وانظر ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٦٠.

ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين. وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم.

فصاح الناس صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين، ورضينا بك فل أمرنا باليمن والبركة».

وهنا شعر أنه لا مفر من تحمل مسؤولية الخلافة، فأضاف قائلاً يحدد منهجه وطريقته في سياسة الأمة المسلمة:

«أما بعد فإنه ليس بعد نبيكم نبي، ولا بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب، ألا إن ما أحل الله حلال إلى يوم القيامة، وما حرم الله حرام إلى يوم القيامة، ألا إني لست بقاض، ولكني منفذ، ألا إني لست بمبتدع، ولكني متبع، ألا إنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله، ألا إني لست بخيركم، ولكني رجل منكم غير أن الله جعلني أثقلكم حملاً».

«أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس، وإلا فلا يقربنا: يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها، ويعيننا على الخير بجهده، ويدلنا من الخير على ما نهتدي إليه، ولا يغتابن عندنا الرعية، ولا يعترض فيما لا يعنيه».

«أوصيكم بتقوى الله، فإن تقوى الله خلف من كل شيء، وليس من تقوى الله عز وجل خلف، واعملوا لآخرتكم، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه، وأصلحوا سرائركم، يصلح الله الكريم علانيتكم. وأكثروا من ذكر الموت، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم، فإنه هادم اللذات، وإن من لا يذكر من آبائه ـ فيما بينه وبين آدم عليه السلام ـ أباً حياً لمعرق له في الموت. وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل، ولا في نبيها صلى الله عليه وسلم، ولا في كتابها وإنما اختلفوا في الدينار، والدرهم. وإني والله لا أعطي أحداً باطلاً، ولا أمنع أحداً حقاً.

ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال:

«يا أيها الناس، من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم».

«وإن من حولكم من الأمصار والمدن فإن هم أطاعوا كما أطعتم فأنا وليكم، وإن هم نقموا فلست لكم بوال ثم نزل»[1].

وهكذا عقدت الخلافة لعمر بن عبدالعزيز في ذلك اليوم، وهو يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين.

أسس هذا المنهج ومعالمه:

ويظهر لنا من هذه الخطبة السياسة التي قرر عمر بن عبدالعزيز اتباعها في الحكم وهي:

التزامه بالكتاب والسنة، وأنه غير مستعد للاستماع إلى أي جدل في مسائل الشرع، والدين، على أساس أنه حاكم منفذ، وأن الشرع بين من حيث تحليل ما أحل الله، وتحريم ما حرم الله.

رفضه للبدعة والآراء المحدثة.

حدد لمن يريد أن يتصل به، ويعمل معه من رعيته أن يكون اتصاله معه لخمسة أسباب هي:

(أ) أن يرفع إليه حاجة من لا يستطيع أن يصل إلى الخليفة، أي أنه جعل المقربين منه همزة وصل بينه، وبين من لا يستطيعون الوصول إليه، فيعرف بذلك حوائج الناس، وينظر فيها.

(ب) أن يعينه على الخير ما استطاع، أي أن علاقة هؤلاء به تقوم على أساس نزعة الخير يعين الخليفة عليه، وبالتالي يحذره من أي شر.

(ج) فرض على من يتقرب إليه فريضة، أن يرشده، ويهديه إلى ما فيه خير الأمة، وخير الدين.

---

(١) وردت هذه الخطبة ـ مع بعض الاختلاف عند ابن سعد: **الطبقات** ٣٤٠/٥؛ ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٣٥ ـ ٣٦؛ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣ / ورقة ١٣٨/ب، ١٤١/أ؛ ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٣ ـ ٥٤، ٥٦؛ ابن الأثير: **الكامل** ٦٣/٥؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ١٨٣/٩، ١٩٨، ٢١٣.

(د) نهى من يريد أن يتقرب إليه، عن أن يغتاب إليه أحد.

(هـ) أن لا يتدخل أي متقرب منه في شؤون الحكم، وفيما لا يعنيه عامة.

لقد كان يدرك مدى تأثير البطانة، والمقربين من الحاكم على الحاكم، وعلى الرعية، وعلى أسلوب الحكم، فآثر أن ينبه الناس حتى يتركوه، يحكم بما ارتضى في نطاق شرع الله، دون أن يبعدهم نهائياً، لأنه أجاز لهؤلاء المقربين، أن يدلوه على الخير، ويعينوه عليه، وأن ينقلوا إليه حاجة المحتاج.

كما أنه حذر الناس من عواقب الدنيا لو أساؤوا فيها، وطلب إليهم أن يصلحوا سرائرهم، ويحذروا الموت، ويتعظوا به.

كما قطع على نفسه عهداً بأن لا يعطي أحداً باطلاً، ولا يمنع أحداً حقاً، وأنه أعطاهم حقاً عليه، وهو أن يطيعوه ما أطاع الله، وأنه لا طاعة له عليهم إذا عصاه سبحانه وتعالى.

تبين هذه السياسة الواضحة الصريحة، التزامه في المقام الأول بالدين، وتطبيق الشرع من جانبه على نفسه، وفي رعيته، كما ألزم الرعية بالتمسك بالشرع.

وأنه في هذا كان صريحاً في التزامه بآراء السلف، وبعده عن أي ابتداع، ولعله بهذا أراد أن يوقف تيار البدع الذي كان قد بدأ يطل من جانب بعض غلاة المتشيعين.

وسوف نرى حين الحديث عن إصلاحاته مدى التزامه بهذه السياسة التي أعلنها لحظة توليه الخلافة.

هذه هي الخطوط العريضة لسياسة عمر، ذكرها في أول مواجهة له مع الرعية وأهل الحل والعقد في المسجد، على أنه بما جبل عليه من الوضوح في العمل والالتزام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأفعال السلف الصالح من الصحابة، فقد آثر أن لا يدع لأي عامل من عماله حجة عليه بعد

ذلك، ففصل ما أجمل في خطبته الأولى في كتب أرسلها إلى عماله، وقد كانت هذه الكتب نوعين:

١ ــ كتب إلى العمال يبصرهم بما يجب عليهم أن يلتزموا به في مسلكهم الشخصي، والخاص، إزاء الرعية ــ وسوف أتحدث عن هذه فيما بعد.

٢ ــ كتبه إلى عماله التي تحدد سياستهم، وطريقة تعاملهم مع أفراد الرعية من المسلمين، وغير المسلمين، ممن كانوا يسكنون دار الإسلام، وعمر في هذه الكتب- ــ كما سيظهر ــ تكلم من موقفه كفقيه متبحر في أصول الدين، وقد انفرد ابن عبدالحكم بجمع هذه الكتب في كتابه سيرة عمر بن عبدالعزيز.

ولكني أكتفي هنا بذكر واحد فقط من تلك الكتب، خشية الإطالة، وأدل على مواضع بقيتها لمن أراد الرجوع إليها[١].

قال عمر في كتابه إلى عماله على الأمصار:

«من عبدالله عمر أمير المؤمنين، إلى العمال. أما بعد: فإن من بلي من أمر السلطان بشيء فقد ابتلى في الدنيا ببلية عظيمة، مع ما ابتلى به في خاصة نفسه. فنسأل الله عافيته وحسن معونته. وأي بلاء أشد من بلاء يبسط للمرء فيه لسانه، وفعله، فإن مال فيه إلى كل هوى أو سخطه كان فيه وكف ألا يعفو الله ويغفر. فإنما وجدت والي السلطان عبداً مملوكاً ولي ضيعة، عليه الاجتهاد في إصلاحها، أجره إحسان إن أحسنه، وإحسان عمل به فيهم على ملكه الذي خلقه لما شاء أن يخلقه له. فأنزل بتلك المنزلة في أمرك، واصبر على ما كرهت، واصبر على ما أحببت، وقف نفسك في كل سر وعلانية عند الذي ترجو به النجاة، عند ذلك، حتى تفارق الذي أنت فيه، فإن ذلك لعله أن يكون إلى قريب وأنت محسن ومأجور. وتذكر ما سلف مما لا تحب فأصلحه قبل أن يتولى صلاحه غيرك. ولا يكبر عليك في ذلك قول الناس، إذا علم الله أنك تجعل

(١) انظر ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٩ ــ ٦٧، ٧٨ ــ ٨٣.

ذلك له، فإنه سيكفيك المؤونة في عاجل الأمر مع ما يدخر لك من الخير فيما عنده.

وكن لمن ولاك الله أمره ناصحاً، فيما بعثتك إليه من أمورهم في دينهم وأعراضهم، واستر كل ما استطعت من عوراتهم إلا شيئاً أبداه الله لا يصلح لك ستره، واملك نفسك عنهم إذا هويت وإذا غضبت، حتى يكون ذلك فيما استطعت مستوياً حسناً. وإذا سبقك أمر أو سلف منك هوى، أو غضب، فراجع أمرك، فقد رأيت حقاً أن أكتب إليك بالذي كتبت به مما استطعت، ونستعين بالله، ونسأله أن يصلح لنا عملنا، ويكفينا مؤونة ما نحن فيه، ومؤونة ما نرجع إليه فيما بعد الموت بأحسن كفاية، والسلام»[1].

وجملة القول في هذه الكتب التي بعث بها عمر إلى ولاته عقب استخلافه: أنه في تنظيمه للعلاقة بينه وبين الرعية منح الرعية الحرية في العمل، والانتقال، والتصرف في حدود ما أمر الله رسوله، وتلك لعمري سياسة رشيدة جديرة بأن تؤكد ما ذهب إليه بعض المؤرخين من تلقيب عمر بن عبدالعزيز بالخليفة الراشد الخامس، خصوصاً مع التزامه بما جرى عليه السلف ومحاربته لكل بدعة، ومبتدع، وهو الذي يقول «فلو كان كل بدعة يميتها الله على يدي، وكل سنة ينعشها الله على يدي ببضعة من لحمي حتى يأتي آخر ذلك على نفسي، كان في الله يسيراً»[2]، وقال أيضاً: «لولا أن أنعش سنة أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقاً»[3]، كما كان لإصلاح النفوس البشرية الأولية عند عمر بن عبدالعزيز قبل ماديات الحياة من التعمير وغيرها، وأن العكس هو إصلاح فاشل، إذ مصيره بين لحظة وأخرى إلى الدمار، ولهذا أصر دائماً وأبداً طيلة خلافته على أن الإصلاح الحقيقي لا يكون بوضع الزخارف، وترميم أبنية المدن، بل هو إصلاح للبشر أنفسهم وتقويمهم.

---

(١) المصدر السابق، ص ٧٣ ــ ٧٤.

(٢) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٤٣؛ وانظر ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٤٨ أ.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٨٣.



مراسلته العلماء:

وإذا كان عمر بن عبدالعزيز قد وضع معالم سياسته في خطبته تلك، وفي رسائله إلى عماله، فإنه لم يستأثر بذاته عند معالجة الأمور المختلفة بعد ذلك فطالما استشار أهل الحكمة والعلم، وطلب الرأي ممن كان يعتقد أن لديهم رأياً يساعد في إصلاح الرعية، وتحسين أحوال الناس، ويعين على حسن السياسة، وتطبيق شرع الله، فأرسل إلى عديد من كبار العلماء يطلب إليهم تقديم النصح له، وبذل الرأي السديد فيما يواجه من مسؤولية جسيمة، وأعباء ثقيلة، توجب على أهل الرأي معاونة الخليفة في السير بالأمة بنجاح نحو غاياتها السامية، ولقد اخترت رسالته إلى سالم بن عبدالله بن عمر، ورد سالم عليها كمثال لحرص أمير المؤمنين، وعلماء الأمة على تحقيق وإقامة شريعة الإسلام الصافية في المجتمع الإسلامي.

كتب إلى سالم يقول:

«أما بعد، فإن الله تبارك اسمه، وتعالى جده، ابتـلاني بما ابتلاني به من أمركم من غير مشورة مني فيه، ولا طلب الإقضاء من الرحمن الرحيم، فأسأل الذي ابتلاني بما ابتلاني به من أمر عباده، وبلاده، أن يحسن عوني وعاقبتي، وعاقبة من ولاني أمره. وقد رأيت أن أسير في الناس بسيرة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إن قضى الله ذلك، واستطعت إليه سبيلا. فابعث إلي بكتب عمر، وقضائه في أهل القبلة، وأهل العهد، فإني متبع أثره، وسائر بسيرته إن شاء الله تعالى، وأسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى»[1].

فأجابه سالم:

«أما بعد، فإن الله عز وجل خلق الدنيا لما أراد أن يخلقها له، فجعل لها مدة قصيرة كأن ما بين أولها وآخرها ساعة من نهار، ثم قضى عليها وعلى أهلها

---

(١) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٢٧؛ وانظر ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٠٣.

الفناء، فقال: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾[1] لا يقدر أهلها منها يا عمر على شيء حتى تفارقهم، ويفارقوها، بعث بذلك رسوله، وأنزل كتابه، ضرب في ذلك الأمثال، وضرب فيه الوعيد، جعل دينه في الأولين والآخرين ديناً واحداً، فلم يختلف رسله ولم يبدل قوله. ثم انك يا عمر، لست تعدو أن تكون رجلاً من بني آدم يكفيك ما يكفي لرجل منهم ــ أو قال رجلاً منهم ــ من الطعام، والشراب، فاجعل فضل ذلك فيما بينك وبين الرب الذي توجه إليه شكر النعم، فانك قد وليت أمراً عظيماً ليس يلي عليك أحد دون الله عز وجل، ان استطعت أن لا تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل، فإنه قد كان قبلك رجال عملوا ما عملوا وأحيوا ما أحيوا وأتوا ما أتوا حتى ولد في ذلك رجال ونشؤا فيه، وظنوا أنها السنة فسدوا على الناس أبواب الرجاء، فلم يسدوا منها باباً إلا فتح الله عليهم باب بلاء، فان استطعت ــ ولا قوة إلا بالله ــ أن تفتح على الناس أبواب الرجاء فافعل، فانك لن تفتح منها باباً إلا سد الله الكريم عنك باب بلاء، ولا يمنعك من نزع عامل أن تقول لا أجد من يكفيني عمله فإنك إذا كنت تنـزع لله وتستعمل لله أتاح لك أعواناً فأتاك بهم وإنما قدر عون الله إياك بقدر نيتك فإن تمت نيتك تم عون الله الكريم إياك، وإن قصرت نيتك قصر من الله العون، بحسب ذلك. واعلم أنه كان قبلك رجال عاينوا هول المطلع، وعالجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرون، فانشقت بطونهم التي كانوا لا يشبعون بها، وانفقأت أعينهم التي كانوا لا تنقطع لذتها، واندقت رقابهم غير موسدين، بعدما تعلم من تظاهر الفرش والمرافق والسرر والخدم، فصاروا جيفاً في بطون الأراضي تحت مهادها، والله لو كانوا إلى جانب مسكين لتأذى بريحهم بعد انفاق ما لا يحصى عليهم وعلى خواصهم من الطيب. كل ذلك إسرافاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ما أعظم الذي ابتليت به، وأفظع الذي سيق إليك، أهل العراق، أهل العراق أبرهم منك منزلة من لا فقر بك إليه، ولا غنى بك عنه، فمن بعثت من عمالك إلى العراق فانهه نهياً شديداً شبيهاً بالعقوبة عن أخذ الأموال، وسفك الدماء، إلا بحقها. المال المال يا عمر، والدم فإنه لا نجاة

---

(١) الآية ٨٨، من سورة القصص.

لك من هول جهنم من عامل بلغك ظلمه، ثم لم تغيره. وانه من بعثت من عمالك أن يعملوا بمعصية، أو أن يحكموا بشبهة، أو أن يحتكروا على المسلمين بيعاً، فإنك ان اجترأت على ذلك أتى بك يوم القيامة ذليلاً صغيراً، وان تجنبت عنه عرفت راحته في سمعك، وبصرك، وقلبك. كتبت إلي تسألني أن أبعث إليك بكتب عمر، وبقضائه في أهل القبلة، وفي أهل العهد، وإن عمر رضي الله عنه عمل في غير زمانك، وعمل بغير رجالك، وانك ان عملت في زمانك على النحو الذي عمل عمر بن الخطاب في زمانه بعد الذي رأيت، وبلوت، رجوت أن تكون أفضل عند الله منزلة من عمر بن الخطاب، فقل كما قال العبد الصالح ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ »[1].

كما طلب من الحسن البصري أن يكتب إليه بصفات الإمام العادل؟ فأجابه الحسن البصري في رسالة مطولة[2].

واجتهاداً من عمر رضي الله عنه في إحقاق الحق ورفع الظلم، أعلن عن تقديم مكافأة مالية مجزية لمن يدله على الخير، أو ينبهه على وجه من وجوه الإصلاح، من بين أفراد الأمة عامة؛ فقد روى ابن عبدالحكم، أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى أهل الموسم يقول:

«أما بعد، فأيما رجل قدم علينا في رد مظلمة، أو أمر يصلح الله به خاصاً أو عاماً من أمر الدين، فله ما بين مائة دينار إلى ثلاثمائة دينار، بقدر ما يرى من الحسبة وبعد الشقة، رحم الله امرءاً لم يتكاءده بعد سفر، لعل الله يحيي به حقاً، أو يميت به باطلاً، أو يفتح به من ورائه خيراً، ولولا أني أطيل عليكم، وأطنب فيشغلكم ذلك عن مناسككم، لسميت أموراً من الحق أظهرها الله، وأموراً من الباطل أماتها الله، وكان الله هو المتوحد لكم في ذلك، لا تجدون غيره، فإنه لو وكلني إلى نفسي لكنت كغيري والسلام»[3].

---

(١) آية ٨٨ من سورة هود. وانظر: ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٢٧ ــ ١٢٩.
(٢) انظر: **العقد الفريد** لابن عبدربه ١/٣٤ ــ ٣٦.
(٣) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١١٧.

عمر وأعوانه:

ولقد أكرم الله عمر بن عبدالعزيز بفريق من الأعوان المخلصين لله، وللأمة، فكانوا إلى جانبه يسددونه، ويذكرونه، ويعينونه على الخير. ذكر ابن سعد أن عمر قال بعد استخلافه لميمون بن مهران:

«يا ميمون، كيف لي بأعوان على هذا الأمر أثق بهم، وآمنهم؟ قال: يا أمير المؤمنين، لا تشغل قلبك بهذا، فانك سوق، وإنما يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها، فإذا عرف الناس أنه لا ينفق عندك إلا الصحيح لم يأتوك إلا بالصحيح»[1].

وقد أعانه الله، ورزقه فعلاً بالبطالة الصالحة، فقد انفض عنه الخطباء، والشعراء وبقي معه الفقهاء والزهاد، وقالوا: «ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله»[2].

وكان من بين هؤلاء العلماء الذين كانوا في خاصة عمر بن عبدالعزيز: رجاء بن حيوة، وميمون بن مهران، إلى جانب قوم آخرين، كانوا دون هؤلاء عنده، منهم:

عون بن عبدالله بن عتبة[3] وعمرو بن قيس[4].

---

(١) **الطبقات** ٥/٣٩٤.

(٢) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣/ورقة ١٤٠ ب؛ ابن كثير: **البداية والنهاية**، ٩/١٩٨.

(٣) هو عن بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي روى عن أبيه وعائشة وابن عباس وعنه قتادة وأبو الزبير والزهري وثقه أحمد وابن معين ورماه ابن سعد بالارجاء، قال البخاري فات بعد العشرين ومائة. انظر النووي: **تهذيب الأسماء واللغات** ٢/١/٤١؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٨/١٧١ ـ ١٧٣؛ الخزرجي: **خلاصة تهذيب الكمال** ٢/٣٠٩.

(٤) هو أبو ثور عمرو بن قيس بن ثور بن مازن السلوني الحمصي حدث عن عبدالله بن عمرو وأبي أمامة وروى عنه ثور بن يزيد والأوزاعي، وثقه أبو حاتم، مات سنة ١٤٠هـ. انظر ابن سعد: **الطبقات**؛ وصفي الدين بن عبدالله، (ت بعد سنة ٩٢٣هـ): **خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال**، بتحقيق محمود عبدالوهاب فايد، (ط. القاهرة)، ١٣٩١هـ ــ ١٩٧١م، ٢/٢٩٤.

هذا إلى جانب أعوانه من أهله. يذكر ابن عبدالحكم «وكان الله قد أعانه من أهله بسهل أخيه، وعبدالملك ابنه، ومزاحم مولاه، فكانوا أعواناً له على الحق»[1].

بالإضافة إلى العلماء الذين كان يراسلهم، أو يلتقي بهم، كما ذكرت سابقاً.

عمـالـه:

كما وفقه الله سبحانه وتعالى إلى اختيار العمال الصالحين، وأرشده إلى انتقائهم من بين العلماء، فكان كل واحد منهم علماً من أعلام الإسلام في عصره، وسيأتي ذكرهم تفصيلاً فيما بعد إن شاء الله في الملحق.

تفرغه للخلافة وانشغاله بمسؤولياتها:

على أن هناك ظاهرة على عهد عمر بن عبدالعزيز لم يختلف عليها إثنان، وهي: أنه حين آلت إليه الخلافة فرغ نفسه، وكرس جهده، ووقته كي ينهض بأعبائها، وكان له من خشية الله دافع، ووازع، ويؤكد لنا ذلك تصرفاته منذ اللحظة الأولى لتوليه، فلما رجع من دفن سليمان ـ وقد بايعه الناس واستقرت الخلافة باسمه: انقلب إلى بيته وهو مهتم مهموم، فقال له مولاه: مالك هكذا مغتماً مهموماً، وليس هذا بوقت هذا؟ فقال له عمر ويحك، وما لي لا أغتم، وليس أحد من أهل المشارق والمغارب من هذه الأمة إلا وهو يطالبني بحقه أن أؤديه إليه، سواء كتب إلي في ذلك أو لم يكتب، طلبه مني أو لم يطلب[2].

حقاً من طلب شرف الآخرة اغتم مما أوكل إليه من مسؤولية هو مسؤول عنها يوم يسأل الله عباده.

ولكي يكون على قدر المسؤولية التي انيطت به فرغ نفسه لها كلية، قالوا: انه خير زوجته فاطمة بنت عبدالملك بين أن تقيم معه على أنه لا فراغ له إليها،

---

(1) سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص ٤٥.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، ١٩٨/٩.

وبين أن تلحق بأهلها، فبكت فاطمة، وبكى جواريها لبكائها، فسمعت ضجة في بيته، ثم اختارت فاطمة مقامها معه على كل حال[1].

كذلك خير جواريه فقال لهن: «قد نزل بـي أمر قد شغلنا عنكن، فمن أحب أن أعتقه أعتقته، ومن أمسكته لم يكن مني إليه شيء، فبكين يأساً منه»[2].

وحتى أصدقاءه ترك صحبتهم من أجل هذا العمل العظيم، فيروي أن رجلاً قال له: «تفرغ لنا يا أمير المؤمنين»، فأنشأ يقول:

قـد جـاء شغـل شـاغـل   وعدلت عن طرق السلامة
ذهـب الـفـراغ فـلا فـرا   غ لنـا إلى يوم القيـامـة[3]

وحتى جارية زوجته التي كان محباً لها، معجباً بها وطالما تمنى قربها وتودد لزوجته أن تهبها له، أو تبيعها إليه، فرفضت ذلك، ولما أفضت الخلافة إليه، ألبستها، وزينتها له زوجته فاطمة، وأهدتها له، فلما اختلى بها أعرض عنها، فتعرضت له الجارية، فصدف عنها، فقالت له: يا سيدي، أين ما كان يظهر لي من محبتك إياي؟ فأجابها عمر: والله إن محبتك لباقية كما هي، ولكن لا حاجة لي في النساء، فقد أتاني أمر شغلني عنك وعن غيرك، ثم سألها عن أصلها فردها إلى أهلها[4].

□ □ □

---

(١) البسوي: **المعرفة والتاريخ**، ١/٦٠٠؛ وابن كثير: **البداية والنهاية ٩/١٩٨**.
(٢) ابن سعد: **الطبقات ٥/٣٩٦ ـ ٣٩٧**؛ وانظر ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٧ ـ ٥٨.
(٣) المصدر السابق: ٩/٢٠١.
(٤) ابن كثير: **البداية والنهاية ٩/٢٠١**.



المبحث الثالث

على طريق الإصلاح

لم يختلط عمر بن عبدالعزيز في حياته قبل الخلافة بكثير من عامة الناس، فمثلاً لم يعايش الخادم في عمله، ولا المزارع في مزرعته، ولا المولى، ولا الذمي، إلا أنه رغم بعد حياته الخاصة عن تلك الأجواء التي كان يعيشها كل واحد من هؤلاء، فإن ما أحدثه من إصلاحات تبين وكأنما قد عاش مع كل واحد منهم حياته، وعرف بدقة متناهية ما يعانيه كل منهم، وما يحتاج إليه كي يحيا الحياة الكريمة التي ترضي شخصاً مسلماً ملتزماً مثله، وكأني به فيما أوجده من إصلاحات باحث اجتماعي، إلا أنه يفترق عنه أن جعل أساس تفكيره وإصلاحه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما جرى عليه السلف الصالح، ابتغاء مرضاة الله، وخشية منه. روى ابن كثير عن فاطمة زوجة عمر رضي الله عنه أنها قالت: «دخلت يوماً عليه وهو جالس في مصلاه واضعاً خده على يده، ودموعه تسيل على خديه، فقلت: مالك، فقال: ويحك يا فاطمة، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة والمظلوم المقهور. والغريب والأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال الكثير، والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربي عز وجل سيسألني عنهم يوم القيامة، وأن خصمي دونهم محمد صلى الله عليه وسلم، فخشيت أن لا يثبت لي حجة عند خصومته، فرحمت نفسي فبكيت»[1].

---

(١) المصدر السابق: ٩/٢٠١.

ولا غرو فجده عمر بن الخطاب قد قال قبله: «لو ماتت شاة على شاطىء الفرات ضائعة، لظننت أن الله عز وجل سائلي عنها يوم القيامة»[1].

ولقد انعكس هذا الإحساس والإيمان والالتزام من عمر بن عبدالعزيز على كل ما قام به من إصلاح إبان ولايته أمر الأمة.

وبعد أن بينا المنهج الذي حدده عمر لسياسته والأعوان الذين اختارهم ليساعدوه في ذلك، علينا أن نتبين خطوات هذه السياسة الإصلاحية، منذ أن ولي، وعلى مدى خلافته التي استمرت سنتين وبضعة أشهر، صنع خلالها ما يشبه المعجزة.

أولاً ـ «الإصلاحات الإدارية»

(أ) ترك مظاهر البذخ والإسراف التي سادت قبله:

لقد طغت على عمر مظاهر الورع والدين والصيانة والتقشف والنزاهة منذ يوم استخلافه، فكان أول ما أنكره الناس منه، أنه لما غسل سليمان بن عبدالملك، وكفن، وصلى عليه عمر بن عبدالعزيز، ودفن، أتي عمر بمراكب الخلافة، وهي البراذين، والخيل، وكان لكل دابة سائس فقال: عمر ما هذه؟ فقالوا له: مراكب الخلافة لم تركب من قبل، يركبها الخليفة عندما يلي فقال عمر: ما لي ولها، نحوها عني، بغلتي أوفق لي. فأتوه بدابته فركبها، وقفل راجعاً[2]، بعد أن أمر مزاحماً مولاه بضم تلك المراكب، والسرادقات والحجر التي لم يجلس فيها أحد قط والتي جرت العادة أن تضرب للخليفة أول ما يولىٰ إلى بيت المال[3].

---

(١) ابن الجوزي: **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، تحقيق زينب إبراهيم القاروط، (ط. بيروت)، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، ص ١٦١.

(٢) ابن سعد: **الطبقات**، ٣٣٨/٥؛ ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٣٣؛ ابن الأثير: **الكامل**، ٤١/٥؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ١٩٨/٩.

(٣) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٣٣؛ ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٩٨/٩.

ثم أتاه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة، كعادته مع الخلفاء السابقين من بني أمية، فقال له عمر: تنح عني مالي ولك؟ إنما أنا رجل من المسلمين ثم سار مع عامة الناس(١).

ثم تابع سيره قاصداً منزله فقالوا له: أتنزل منزل الخلافة، فقال لهم: لا يزال به أهل أبـي أيوب، وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا عنه. فأقام في بيته حتى فرغوه(٢).

ثم دخل القصر، وكان قد فرش بفرش سليمان بن عبدالملك، التي كان يجلس عليها، فرفض الجلوس عليها، وجلس على وسادة أرمينية طرحها بينه وبين الأرض، وقال والله لولا أني في حوائج الناس ما جلست عليك(٣)، وفي رواية أخرى أن عمر قعد للناس على الأرض، فقالوا له: لو أمرت ببساط يبسط لك، وللناس تجلسون عليه، كان ذلك أهيب لك في قلوب الناس، فتمثل:

قضى ما قضى فيما مضى، ثم لا ترى ... لـه صبوة إحـدى الليالي الغـوابر
ولولا التقى من خشية الموت والردى ... لعاصيت في حب الصبا كل زاجر(٤)

ثم أمر بستور دار الخلافة فهتكت، وبالبسط فرفعت، وأمر ببيعها وإدخال أثمانها في بيت مال المسلمين(٥).

وبات عيال سليمان بن عبدالملك يلبسون من الثياب ما لم يلبس حتى تتكسر، ويفرغون الطيب، والأدهان من قارورة إلى أخرى، لأنه كان من عادة الخلفاء الأمويين، إذا مات الخليفة، فما لبس من الثياب، أو مس من الطيب، أصبح لولده من بعده، وما لم يلبسه من ثياب، وما لم يمسه من طيب، صار

---

(١) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٣؛ الدميري: **حياة الحيوان**، ١/٦٨؛ الدياربكري: **تاريخ الخميس**، ٢/٣١٦.
(٢) ابن سعد: **الطبقات**، ٥/٣٣٨.
(٣) المصدر السابق، ٥/٣٤٠ ـ ٣٤١.
(٤) الدينوري: **الأخبار الطوال**، ص ٣٣١.
(٥) الدميري: **حياة الحيوان**، ١/٦٩؛ الدياربكري: **تاريخ الخميس**، ٢/٣١٦.

للخليفة الجديد من بعده، فلما أصبح عمر بن عبدالعزيز قال له عيال سليمان بن عبدالملك: هذا لك وهذا لنا. ترديداً لما جرى عليه الحال وسبق ذكره. فقال عمر: ما هذا لي، ولا لسليمان، ولا لكم فأمر مزاحماً بضم كل ذلك إلى بيت مال المسلمين[1].

كما أنه قام بتسريح الحرس الموكول له حراسة الخلفاء، فيذكر ابن عساكر بسنده عن الحكم بن عمر أنه قال: «شهدت عمر يقول لحرسه إن بي عنكم لغنى، كفى بالقدر حاجزاً، وبالأجل حارساً، ولا أطرحكم من مراتبكم ليجري لكم سنة بعدي من أقام منكم فله عشرة دنانير ومن شاء فليلحق بأهله»[2].

وهكذا صرف عمر بن عبدالعزيز كل مظاهر الخلافة، التي استحدثها الخلفاء الأمويون وأحيا سنة الخلفاء الراشدين، الذين كانوا يجلسون على الأرض، ويفترشون التراب، ويركبون الدواب، ويلبسون ما يلبس أي فرد في الرعية، لا تمييز ولا فروق بينهم، وبين عامة رعيتهم.

كما كتب إلى عماله يأمرهم بالانتهاء عن الصلاة على الخلفاء، والأمراء، وأمرهم بالدعاء لعامة المسلمين، يقول ابن عبدالحكم: «وكتب عمر بن عبدالعزيز...: أما بعد، فإن الناس ما اتبعوا كتاب الله نفعهم في دينهم، ومعايشهم في الدنيا، ومرجعهم إلى الله فيما بعد الموت. وإن الله أمر في كتابه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾[3]. صلوات الله على محمد رسول الله والسلام عليه ورحمة الله وبركاته. ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿واستغفر لذنبك، وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾[4]. فقد جمع الله تبارك

---

(١) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٣٣ ــ ٣٤.

(٢) **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣/ ورقة ١٥٢ ب ــ ١٥٣ أ؛ وانظر ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٩٨.

(٣) آية ٥٦ من سورة الأحزاب.

(٤) آية ١٩ من سورة محمد.

وتعالى في كتابه أن أمر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين والمؤمنات، وأن رجالاً من القصاص قد أحدثوا صلاة على خلفائهم، وأمرائهم، عدل ما يصلون على النبي وعلى المؤمنين. فإذا أتاك كتابي هذا، فمر قصاصكم فليصلوا على النبي صل الله عليه وسلم، وليكن فيه أطناب دعائهم وصلاتهم، ثم يصلوا على المؤمنين والمؤمنات، وليستنصروا الله، ولتكن مسألتهم عامة للمسلمين. وليدعوا ما سوى ذلك، فنسأل الله التوفيق في الأمور كلها، والرشاد والصواب والهدى فيما يحب ويرضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسلام عليك»[1].

ويمكننا إضافة إلى ما تقدم أن نقول: أن عمر لم يكتف بهذا، بل عمد إلى عبيد القصر المتواجدين فيه ففرقهم، بين المحتاجين قال الحكم بن عمر الرعيني: «شهدت عمر حين جاءه أصحاب المراكب يسألونه العلوفة، ورزق خدمها. قال: وكم هي؟ قالوا: هي كذا وكذا. قال: ابعث بها إلى أمصار الشام يبيعونها فيمن يزيد، واجعل أثمانها في مال الله عز وجل تكفيني هذه الشهباء. وجاءه صاحب الرقيق يسأل أرزاقهم، وكسوتهم وما يصلحهم. فقال عمر: كم هم؟ قال: هم كذا وكذا ألفاً. فكتب إلى أمصار الشام، أن أرفعوا إلى كل أعمى في الديوان، أو مقعد، أو من به فالج، أو من به زمانه تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة. فرفعوا إليه. فأمر لكل أعمى بقائد، وأمر لكل اثنين من الزمني بخادم. وفضل من الرقيق فكتب أن ارفعوا إلى كل يتيم، ومن لا أحد له ممن قد جرى على والده الديوان، فأمر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بينهم بالسوية»[2].

وكما فعل بعبيد القصر، فعل بالجواري فيذكر ابن عبدالحكم فيقول: «فتوامر الوزراء فيما بينهم، فقالوا: أما المراكب، والسرادقات، والحجر والشوار[3]، والوطاء فليس فيه رجاء، بعد أن كان منه فيه ما قد علمتم،

---

(١) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٧٦.

(٢) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٥٤ ــ ١٥٥.

(٣) الشوار: بالفتح متاع البيت والرحل راجع الرازي: **مختار الصحاح**، ص ٣٥.

وبقيت خصلة وهي الجواري، نعرضهن عليه، فعسى أن يكون ما تريدون فيهن، فإن كان، وإلا فلا طمع لكم عنده، فأتى بالجواري فعرضن عليه كأمثال الدمى، فلما نظر إليهن جعل يسألهن واحدة واحدة من أنت؟ ولمن كنت؟ ومن بعث بك؟ فتخبره الجارية بأصلها ولمن كانت وكيف أخذت، فيأمر بردهن إلى أهليهن ويحملن إلى بلادهن حتى فرغ منهن فلما رأوا ذلك أيسو منه وعلموا أنه سيحمل الناس على الحق»[1]. ثم نهى الناس عن القيام له فقال: «يا معشر الناس إن تقوموا نقم وان تقعدوا نقعد فإنما يقوم الناس لرب العالمين»[2] «ومنع حراسه عن فعل ذلك ومن بدئه بالسلام فقال لهم «لا تبدئوني بالسلام إنما السلام علينا لكم»[3] كما أباح للمظلومين الدخول عليه بغير إذن[4].

(ب) عزلة الولاة الظالمين:

كما عمد عمر بن عبدالعزيز من أول يوم ولى فيه الخلافة إلى إراحة الرعية من ظلم بعض عمال الدولة الأموية الذين طالما توددوا لخلفائهم على حساب ظلم رعيتهم بغية أن يحظوا لديهم، ويؤثروا فيروى ابن عبدالحكم أن عمر بن عبدالعزيز دعا بدواة وقرطاس فور انتهائه من دفن سليمان، وكتب ثلاثة كتب حمل أحدها عزل أسامة بن زيد التنوخي وكان على خراج مصر، وقد أمر عمر أن يحبس في كل جند سنة ويقيد، ويحل عن القيد عند كل صلاة ثم يرد في القيد، عقاباً له لأنه كان غاشماً ظلوماً معتدياً في العقوبات بغير ما أنزل الله عز وجل، يقطع الأيدي في خلاف ما يؤمر به، ويشق أجواف الدواب، فيضع فيها القطاع، ويطرحها للتماسيح فحبس بمصر سنة، ثم نقل إلى أرض فلسطين، فحبس بها سنة ثم مات عمر، فرده يزيد على مصر[5].

---

(١) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٣٤.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٤ ـ ٣٥.
(٣) المصدر السابق، ص ٣٥.
(٤) المصدر السابق، ص ٣٦.
(٥) المصدر السابق، ص ٣٢.

كما حمل الكتاب الثاني عزل محمد بن يزيد مولى ريحانة بنت أبـي العاص الذي ولاه سليمان بن عبدالملك أفريقية سنة سبع وتسعين[1].

ويروي ابن عبدالحكم أنه كان «عامل سوء يظهر التأله والنفاذ لكل ما أمر به السلطان مما جل أو صغر من السيرة بالجور. والمخالفة للحق، وكان في هذا يكثر الذكر والتسبيح، ويأمر بالقوم فيكونون بين يديه يعذبون، وهو يقول: سبحان الله والحمد لله شد يا غلام موضع كذا وكذا لبعض مواضع العذاب وهو يقول: لا إله إلا الله والله أكبر شد يا غلام موضع كذا وكذا، فكانت حالته تلك شر الحالات»[2].

كما عزل عمر بن عبدالعزيز يزيد بن المهلب الذي ولي خراسان[3] من قبل سليمان بن عبدالملك في سنة ٩٧هـ[4]، وكان يزيد قد استطاع فتح جرجان[5]، وطبرستان[6]، في عام ٩٨هـ، فكتب إلى سليمان بن عبدالملك

---

(١) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣١٨.

(٢) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٣٢ ــ ٣٣.

أما الكتاب الثالث فقد حمل أمره بعودة الجيش المرابط على أسوار القسطنطينية بقيادة مسلمة بن عبدالملك والذي أنفذه سليمان بن عبدالملك لفتحها فلم يحالفه الحظ، انظر المصدر السابق، ص ٣٢.

(٣) خراسان بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق آزادوار وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان وليس ذلك منها؛ ياقوت: **معجم البلدان**، ٢/ ٣٥٠.

(٤) الطبري: **تاريخ**، ٦/٥٢٣.

(٥) جورجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، فبعض يعدها من هذه وبعض يعدها من هذه، وقيل أن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبـي صفرة وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء، والفقهاء والمحدثين، ولها تاريخ ألفه حمزة بن يزيد السهمي؛ ياقوت: **معجم البلدان**، ٢/ ١١٩.

(٦) طبرستان: هي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم، خرج من نواحيها من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه، والغالب على هذه النواحي الجبال، فمن أعيان بلدانها دهستان وجرجان واستراباذ وآمل، وهي قصبتها، وسارية، وهي مثلها، وشالوس، وهي مقاربة لها، وربما عدت جرجان من خراسان إلى غير ذلك من البلدان. المصدر السابق، ٤/ ١٣.

يخبره بذلك، وأنه صار لديه من خمس ما أفاء الله على المجاهدين المسلمين ـ بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من الغنيمة والفيء ـ ستة آلاف ألف، وأنه سوف يحمل ذلك المال إلى الخليفة سليمان بن عبدالملك، وكان كاتبه ويدعى المغيرة بن أبـي مرة مولى بني سدوس قد حذره من هذا، وقال له: «لا تكتب بتسمية مال، فإنك من ذلك بين أمرين: إما استكثره فأمرك بحمله، وإما سخت نفسه لك به فسوغكه فتكلفت الهدية، فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقله، فكأني بك قد استغرقت ما سميت، ولم يقع منه موقعاً، ويبقى المال الذي سميت مخلداً عندهم عليك في دواوينهم، فإن ولى وال بعده أخذك به، وإن ولى من يتحامل عليك لم يرض منك بأضعافه، فلا تمض كتابك، ولكن اكتب بالفتح، سله القدوم فتشافهه بما أحببت مشافهة، ولا تقصر، فإنك إن تقصر عما أحببت أحرى من أن تكثر.

فأبى يزيد وأمضى. وقال: بعضهم كان في الكتاب أربعة آلاف ألف»[1].

وعندما تولى عمر الخلافة عزل يزيد بن المهلب عن العراق في سنة تسع وتسعين للهجرة[2].

وقد كان عمر «يبغض يزيد وأهل بيته، ويقول هؤلاء جبابرة، ولا أحب مثلهم... ولما دعا عمر يزيد سأله عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبدالملك، فقال: كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت، وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء سميت، ولا بأمر أكرهه، فقال له: ما أجد في أمرك إلا حبسك، فاتق الله وأد ما قبلك، فإنها حقوق المسلمين، ولا يسعني تركها، فرده إلى محبسه... وأقبل مخلد بن يزيد من خراسان... حتى قدم على عمر بن عبدالعزيز، فدخل عليه، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: إن الله يا أمير المؤمنين، صنع لهذه الأمة

(١) الطبري: تاريخ، ٦/٥٣٢، ٥٤٤ ـ ٥٤٥.
(٢) المصدر السابق، ٦/٥٥٤.

بولايتك عليها، وقد ابتلينا بك، فلا نكن أشقى الناس بولايتك، علام تحبس هذا الشيخ! أنا أتحمل ما عليه، فصالحني على ما إياه تسأل، فقال عمر: لا إلا أن تحمل جميع ما نسأله إياه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن كانت لك بينة فخذ بها، وإن لم تكن بينة فصدق مقالة يزيد، وإلا فاستحلفه، فإن لم يفعل فصالحه. فقال له عمر: ما أجد إلا أخذه بجميع المال... فلما أبى يزيد أن يؤدي إلى عمر شيئاً، ألبسه جبة من صوف، وحمله على جمل، ثم قال: سيروا به إلى دهلك[1]، فلما أخرج فمر به على الناس أخذ يقول: ما لي عشيرة، مالي يذهب بي إلى دهلك! إنما يذهب إلى دهلك بالفاسق المريب المخارب، سبحان الله! أما لي عشيرة! فدخل على عمر سلامة بن نعيم الخولاني، فقال: يا أمير المؤمنين، أردد يزيد إلى محبسه، فإني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه، فإني قد رأيت قومه غضبوا له. فرده إلى محبسه، فلم يزل في سجنه ذلك حتى بلغه مرض عمر»[2].

ولم يكتف عمر بعزله بل عزل كل الولاة الذين ولاهم يزيد بحكم عمله كوال للعراق وخراسان وهؤلاء الولاة هم:

١ ـ مروان بن المهلب والي البصرة.
٢ ـ سفيان بن حريش الخولاني والي الكوفة.
٣ ـ مخلد بن يزيد والي خراسان.
٤ ـ معاوية بن يزيد والي سجستان[3].
٥ ـ حبيب بن المهلب والي السند[4] من قبل صالح بن عبدالرحمن والي يزيد بن المهلب على العراق.
٦ ـ زياد بن المهلب والي عمان.

---

(١) دهلك: جزيرة في بحر اليمن وهي مرسى بين بلاد اليمن والحبشة؛ ياقوت: **معجم البلدان**، ٢/٤٩٢.

(٢) الطبري: **تاريخ**، ٦/٥٥٧ ـ ٥٥٨.

(٣) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة اسم مدينتها زرنج بينها وبين هراة ثمانين فرسخاً؛ ياقوت: **معجم البلدان**، ٣/١٩٠.

(٤) السند: بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان؛ ياقوت: **معجم البلدان**، ٣/٢٦٧.

كما عزل عمر بن عبدالعزيز والي سليمان بن عبدالملك على اليمامة نوح بن هبيرة وسليمان بن سعد مولى خشين عامل سليمان على ديوان الخراج والجند[1]، وحاجب سليمان أبو عبيد[2].

يضاف إلى ذلك عزله لخالد بن الريان صاحب الحرس لبأوه وهيئته، يروي ابن الجوزى عن الليث بن سعد: «أن خالد بن الريان عزله عمر ـ وكان سيافاً يقوم على رؤوس الخلفاء ـ وقال: إني لأذكر بأوه وهيئته، اللهم إني أضعه لك، فلا ترفعه أبداً. قال: فحدثني نوفل بن الفرات قال: ما رأيت شريفاً خمد ذكره حتى لا يذكر، حتى أن الناس ليقولون: ما فعل خالد؟ أحي هو أم قد مات؟»[3].

(ج) اهتمام عمر بالقضاء:

وقد وجه عمر بن عبدالعزيز اهتماماً كبيراً نحو القضاء، باعتباره سبيلاً إلى حماية حقوق الناس، وصيانتها من الضياع، في خضم المنازعات التي كثيراً ما تقع بينهم، ولا يخلو منها أي مجتمع. ولا شك في أن شخصية القاضي وما ينبغي أن يتحلى به من صفات النزاهة، والعدالة، والعلم، والذكاء، وقوة الشخصية، هي عماد كل إصلاح، وأساس كل نجاح في هذا المجال.

ولقد حدد عمر تلك الصفات التي لا يصح أن يتجرد منها القاضي المسلم الذي يقبل حكمه عن طيب خاطر، وذلك فيما ذكر ابن سعد، عن مزاحم بن زفر الذي قال: «قدمت على عمر بن عبدالعزيز في وفد أهل الكوفة، فسألنا عن بلدنا، وأميرنا وقاضينا، ثم قال: خمس إن أخطأ القاضي منهن خصلة كانت فيه وصمة: أن يكون فهيماً، وأن يكون حليماً، وأن يكون عفيفاً، وأن يكون صلباً، وأن يكون عالماً يسأل عما لا يعلم»[4]، ولذلك كان يجتهد للأمة في اختيار

---

(١) خليفة بن خياط: **تاريخ** ٣١٨ ـ ٣١٩.
(٢) أبو زرعة الدمشقي: **تاريخ** ١/٣٥٦ ـ ٣٥٧.
(٣) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٣٨.
(٤) **الطبقات** ٥/٣٦٩.

قضاتها، ويحرص على أن يكونوا من هؤلاء الذين يرضاهم في دينهم، وعلمهم، وسلوكهم، ليهدأ باله، وتستريح نفسه ويطمئن إلى سيادة العدل بين الرعية، فمن قضاة عمر:

إياس: المعروف بإياس الذكي (ت ١٢٢هـ).

وهو ابن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني البصري، قاضي البصرة وكنيته، أبو واثلة، ولجده صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى عن أبيه، وأنس، وسعيد بن المسيب، وأبي مجلز وغيرهم، وعنه محمد بن عجلان وشعبة، وحماد بن سلمة وغيرهم[1].

كان إياس من ثقات التابعين، وثقة ابن سعد، والعجلي، وابن معين، والنسائي، وابن حبان، وأضاف ابن سعد: أنه كان عاقلاً من الرجال فطناً، أما العجلي فأضاف: أنه كان فقيهاً عفيفاً، ضرب المثل بذكائه وعقله وفصاحته وأحكامه وفطنته[2].

وكان عمر بن عبدالعزيز قد ولاه قضاء البصرة في عام مائة هجرية غير أنه لم يستمر طويلاً، حيث شد رحله إلى دمشق بعد عام تقريباً، ولقي أمير المؤمنين، واستعفاه من هذه المهمة، فأعفاه عمر نزولاً على رغبته[3].

ومن أشهر قضاة عمر على البصرة أيضاً: الحسن البصري (ت ١١٠هـ) وهو الحسن بن أبي الحسن أبو سعيد مولى الأنصار، سيد التابعين البصريين، الإمام المشهور المجمع على جلالته، وأحد أئمة الهدى والسنة، وقد لقي عدداً كبيراً من الصحابة، وروى عنهم أمثال: أنس بن مالك، وابن عمر،

---

(١) البخاري: **التاريخ الكبير** ١/٤٤٢ ـ ٤٤٣؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ١/١/٢٨٢؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١/٣٩٠.

(٢) الذهبي: **ميزان الاعتدال** ١/٢٨٣؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/٣٣٤؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١/٣٩٠.

(٣) ابن قتيبة: **المعارف**، ص ٢٠٥؛ ابن الأثير: **الكامل** ٥/٤٤؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/٣٣٧.

وجندب بن عبدالله، ومعقل بن يسار، كما روى عنه خلق كثير، منهم: أيوب السختياني، وحميد الطويل، وقتادة، ويونس بن عبيد[1].

وقد اختلف المؤرخون فيما إذا كان عمر قد ولى إياساً قضاء البصرة قبل الحسن البصري، أو بعده؟ لكنه على كل قد طلب إعفاءه من منصبه هذا فلبى عدي بن أرطاة طلبه وأعفاه[2].

ومن القضاة الأعلام الذين استعملهم عمر بن عبدالعزيز: عامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٣هـ)، ولاة عمر قضاء الكوفة سنة ٩٩هـ[3].

كذلك استقضى عمر على المدينة: أبا طوالة عبدالله بن عبدالرحمن الأنصاري، التابعي المدني الثقة[4].

وبالإضافة إلى هؤلاء القضاة، كان عمر بن عبدالعزيز يمارس القضاء بنفسه.

ومن مواقف قضائه:

ما يرويه الحكم بن عمر الرعيني، قال: «شهدت مسلمة بن عبدالملك يخاصم أهل دير إسحاق[5] عند عمر بن عبدالعزيز بالناعورة[6]، فقال عمر لمسلمة: لا تجلس على الوسائد وخصماؤك بين يدي، ولكن وكل بخصومتك من شئت، وإلا مجاثي القوم بين يدي: فوكل مولى له بخصومته فقضى عليه بالناعورة».

---

(١) النووي: **تهذيب الأسماء واللغات** ١/١/١٦١ ـ ١٦٢؛ الذهبي: **ميزان الاعتدال** ١/٥٢٧؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٢/٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٢) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٤١؛ خليفة بن خياط: تاريخ ٣٢٤؛ ابن الأثير: **الكامل** ٥/٤٤؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/٣٣٧.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٤١؛ ابن الأثير: **الكامل** ٥/١٠٥.

(٤) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٤١؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٢/٢/٩٤ ـ ٩٥.

(٥) دير اسحق: بين حمص وسلميه، ياقوت: **معجم البلدان** ٢/٤٩٨.

(٦) الناعورة: موضع بين حلب وبالس: المصدر السابق ٥/٢٥٣.

(٧) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٧٣ ـ ٧٤.

وكان دائماً يصر على إحقاق الحق في كل عمل يعمله، ويتراجع عن الحكم أن ظهر له أنه قد أخطأ فيه، لأنه كان يرى أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. ودليل ذلك ما كان يقوله: «ما من طينة أهون على فتا ولا من كتاب أيسر على رواض كتاب قضيت به، ثم أبصرت أن الحق في غيره ففتته»[1].

وهذا هو ما يطابق النص الذي ورد في رسالة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري: «ولا يمنعك قضاء قضية أمس فراجعت اليوم فيه عقلك، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل»[2].

(د) إقامة الحدود:

وقد اجتهد عمر في إقامة الحدود، وشدد على تنفيذها بحق من وجبت عليهم، فأرسل إلى عماله يقول: «إن إقامة الحدود عندي كإقامة الصلاة والزكاة»[3].

ويتجلى هذا الاهتمام فيما يلي:

قال عبادة بن نسى: «شهدت عمر بن عبدالعزيز يضرب رجلاً حدا في خمر، فخلع ثيابه ثم ضربه ثمانين، رأيت منها ما بضع ومنها ما لم يبضع، ثم قال: إنك إن عدت الثانية ضربتك ثم ألزمتك الحبس حتى تحدث خبراً، قال: يا أمير المؤمنين، أتوب إلى الله أن أعود في هذا أبداً. قال فتركه عمر»[4].

كما أقام عمر الحد على من شهد عليه بشرب الخمر في أرض العدو وكان ذلك في خناصرة[5]، كما أنه لم يقم حد شرب الخمر على من لم يقر بشربها،

(١) المصدر السابق، ص ٧٥.
(٢) الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص ٧١.
(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٧٨.
(٤) المصدر السابق ٥/٣٦٥.
(٥) المصدر السابق ٥/٣٥٤.

فيروى عن ابن عساكر عن أبـي زرارة القتباني قال: «سمعت مالكاً يقول أتى فتيان إلى عمر بن عبدالعزيز فقالوا: إن أبانا توفي، وترك مالاً عند عمنا حميد الايحى فأحضره عمر بن عبدالعزيز. قال فلما دخل عليه قال: أنت حميد؟ قال: فقال: نعم قال فقال: أنت القائل.

وحميـد الـذي أمـح داره   أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع

أتـاه المشيب على شـربهـا   فكـان كـريمـاً فلم ينـزع؟

قال: نعم قال عمر بن عبدالعزيز: ما أراني إلا سوف آخذك. قال: ولم؟ قال: لأنك أقررت بشرب الخمر، وزعمت أنك لم تنزع عنها. قال: أيهات أين ذهب بك؟ ألم تسمع الله عز وجل يقول: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾[1]؟ قال فقال عمر: أو لأنك يا حميد ما أراك إلا وقد أفلت، ويحك يا حميد كان أبوك صالحاً وأنت رجل سوء»[2].

كما قام بعقوبة من وقع على بهيمة فضر به دون الحد[3].

وكذلك قام بعقاب قوم وقعوا على جارية في طهر واحد، حيث أوجعهم عقوبة[4]، وذلك منعاً لانتهاك الحرمات التي أمر الله باجتنابها.

كما أمر بقطع يد من سرق في أرض العدو، ثم خرج[5]، وقطع يد من سرق من المغنم بعد أن سأل أهو ممن أوجف في المغنم؟ فلما أعلم أنه لم يوجف قطع يده[6].

وعفا عن من سرق لفقره، فيروي ابن الجوزي: أن عمر بن عبدالعزيز

---

(١) الآيات: ٢٢٣ ــ ٢٢٤ ــ ٢٢٥، من سورة الشعراء.

(٢) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط) مجلد ١٣ / ورقة ١٣٣ ب.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٣٦٥/٥.

(٤) المصدر السابق ٣٦٥/٥ ــ ٣٦٦.

(٥) المصدر السابق ٣٥٤/٥.

(٦) المصدر السابق ٣٥٤/٥.

«أتى إليه بسارق فشكا إليه الحاجة فعذره وأمر له بنحو عشرة دراهم»(١).

ولم يـر في خلافته جلد أحداً إلا رجلاً، تناول معاوية عنده، فيروي ابن سعد عن إبراهيم بن ميسرة أنه قال: «ما رأيت عمر بن عبدالعزيز ضرب أحداً في خلافته، غير رجل واحد تناول من معاوية فضربه ثلاثة أسواط»(٢).

ولم يكن يتهاون في إقامة حد من حدود الله، بالرغم مما اشتهر عنه من حب للرأفة والرحمة، ودعوته لعماله بأن يسلكوا في ذلك مع الرعية، ولكنه في الحدود ولكنه في الحدود حسمها في رسالته لأحد عماله، قال فيها «لا تبلغ في العقوبة أكثر من ثلاثين سوطاً إلا في حد من حدود الله»(٣).

كما أنه رفض تعذيب الناس لاستخلاص حقوق بيت المال منهم، فيذكر ابن عبدالحكم أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى عدي بن أرطاة، عامله على البصرة، يقول: «أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر أن قبلك عمالاً قد ظهرت خيانتهم، وتسألني أن آذن لك في عذابهم، كأنك ترى أني لك جنة من دون الله، فـإذا جاءك كتـابـي هذا فـإن قامت عليهم بينـة فخذهم بـذلـك. وإلا فأحلفهم دبر صلاة العصر بالله الذي لا إله إلا هو، ما اختانوا من مال المسلمين شيئاً، فإن حلفوا فخل سبيلهم، فإنما هو مـال المسلمين، وليس للشحيح منهم إلا جهد أيمانهم. ولعمري، لأن يلقوا الله بخياناتهم أحب إلي من ألقى الله بدمائهم والسلام»(٤).

كما حذر عماله من التمثيل بالناس، وفي هذا الصدد روى الخولاني عن عمـر بن خـــيران الجـذامي، وعثمان بن داوود أنهما قـالا: «كتب عمـر بن عبدالعزيز إلى عبيدة بن عبدالرحمن السلمي بأذربيجان: أنه بلغني أنك تحلق

---

(١) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٧٩.

(٢) **الطبقات** ٥/٣٨٤.

(٣) المصدر السابق ٥/٣٨٥.

(٤) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٥؛ وانظر ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز** ص ٨٣ ــ ٨٤.

الرأس واللحية، وأنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله جل وعلا جعل هذا الشعر نسكاً، وسيجعله الظالمون نكالاً) فإياك والمثلة: جز الرأس واللحية، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة»[1].

بالإضافة إلى ذلك كان ملتزماً في حد القصاص التزاماً كاملاً، بحيث منع قتل أحد سب خليفة، فقال: «لا يقتل أحد في سب أحد إلا في سب نبي»[2].

تشدده في أمر الخمر:

التفت عمر بن عبدالعزيز من بين ما التفت إليه إلى الخمر وقد رأى أن الناس قد بدأوا يتعاطونها في أشكال مختلفة محاولين استغلال إباحة بعض المشروبات كالطلاء على عهد عمر بن الخطاب وأخذوا يحيلونه إلى مسكر، تحايلاً منهم على حدود الله، وكان ذلك دليلاً على ما بدأ يصيب المجتمعات الإسلامية من محاولة أفراد منها تناسى حدود الله وما جاء به الشرع ليحللوا لأنفسهم بعض ما حرم عليهم، وكان الخمر أحد هذه الحدود التي حاولوا التحايل عليها، ونتيجة لاعتصام عمر بن عبدالعزيز بالعمل بالكتاب والسنة، وهذا يتوجب عليه إحلال ما أحلا، وتحريم ما حرما، وهو ما ذكره في خطبته الأولى وأرسل به إلى عماله في الأمصار، ولهذا رأي أنه إن تهاون في ردع الناس عن هذا وأمثاله معناه الاجتراء على كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، من أجل ذلك كان اهتمامه بأمر الخمر، باعتبارها إحدى الكبائر، وشيوعها يغرق المجتمع الإسلامي في المعاصي، ومن أجل ذلك أرسل إلى عماله كتاباً جاء فيه: «... ثم إن الطلاء لا خير فيه للمسلمين، إنما هو الخمر يكنى باسم الطلاء، قد جعل الله عنه مندوحة وأشربة كثيرة طيبة، وقد علمت أن ناساً يقولون: قد أحله عمر رضي الله عنه، وشربه ناس ممن مضى من خيارنا. وأن عمر إنما أتى منه بشراب طِبخَ حتى خثر، فقال حين أتى: أطلاء هذا؟ يعني به طلاء الابل، فلما ذاقه

---

(1) عبدالجبار بن عبدالله بن محمد الخولاني (ت بعد ٣٧٠هـ) **تاريخ داريا** (ط دمشق ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م، ص ٨٥ ـ ٨٦.

(2) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٧٩.

قال: لا بأس بهذا، فأدخل الناس فيه بعد عمر، أما من شربه من صالحيكم فإنهم شربوه قبل أن يتخذ مسكراً، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حرام كل مسكر على كل مؤمن، فلا أرى أن يتخذ الفاجر البار دلسه، ونرى أن يتنزه المسلمون عنه عامة، وأن يحرموه، فإنه من أجمع الأبواب للخطايا وأخوفها عندي أن تصيب المسلمين منه جائحة تعمهم»[1].

ومن الاحتياطات التي تحوط بها عمر بن عبدالعزيز لمنع تداول الخمر بين المسلمين، أنه حرم على أهل الذمة أن يدخلوا بها إلى أراضي الدولة الإسلامية، فامتنعوا عن إدخالها[2]، وقد شاهده الناس بأم أعينهم وهو يأمر بزقاق الخمر أن تشق، وبالقوارير أن تكسر[3]، وتنفيذاً لما هدد به من إقامة الحد على شاربها، شوهد يحد رجلاً شربها، فيروي ابن سعد عن عبادة بن نسي أنه قال: «شهدت عمر بن عبدالعزيز يضرب رجلاً حدا في خمر، فخلع ثيابه ثم ضربه ثمانين، رأيت منها ما بضع ومنها لم يبضع، ثم قال: إنك إن عدت الثانية ضربتك، ثم ألزمتك الحبس، حتى تحدث خيراً، قال: يا أمير المؤمنين، أتوب إلى الله أن أعود في هذا أبداً. قال فتركه عمر»[4].

أما الذين استتروا داخل بيوتهم أثناء شربهم الخمر فلم يحدهم قال عبدالمجيد بن سهيل: «قدمت خناصرة في خلافة عمر بن عبدالعزيز وإذا قوم في بيت أهل خمر وسفه ظاهر، فذكرت ذلك لصاحب شرطة عمر، فقلت أنهم يجتمعون على الخمر، إنما هو حانوت! فقال: قد ذكرت ذلك لعمر بن عبدالعزيز فقال: من وارت البيوت فاتركه»[5].

---

(١) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٨١ ــ ٨٢.
(٢) ابن سعد: **الطبقات** ٣٦٥/٥.
(٣) المصدر السابق ٣٦٥/٥.
(٤) المصدر السابق ٣٦٥/٥.
(٥) المصدر السابق ٣٦٥/٥.



(هـ) السجــون:

ومما اهتم به عمر في هذا المجال: إصلاح السجون ورعاية المسجونين، ولذلك فقد كتب إلى أمراء الأجناد قائلاً: «وانظروا من في السجون ممن قام عليه الحق، فلا تحبسه حتى تقيمه عليه، ومن أشكل أمره فاكتب إلى فيه، واستوثق من أهل الذعارات فإن الحبس لهم نكال، ولا تعد في العقوبة، ويعاهد مريضهم ممن لا أحد له ولا مال، وإذا حبست قوماً في دين فلا تجمع بينهم وبين أهل الذعارات في بيت واحد، ولا حبس واحد، واجعل للنساء حبساً على حدة، وانظر من تجعل على حبسك ممن تثق به، ومن لا يرتشي فإن من ارتشى صنع ما أمر به»[1].

والظاهر أن عمر بن عبدالعزيز قام بهذا التصحيح، لما جرى عليه بعض الولاة من أمثال الحجاج وغيره، ذكر ابن كثير فقال: «أطلق سليمان بن عبدالملك في غداة واحدة واحداً وثمانين ألف أسير كانوا في سجن الحجاج، وقيل أنه لبث في سجنه ثمانون ألفاً، منهم ثلاثون ألف امرأة. وعرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً، لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب، وكان فيمن حبس أعرابي وجد يبول في أصل ربض مدينة واسط[2]، وكان فيمن أطلق، فأنشأ يقول:

إذا نحن جاورنا مدينة واسط   خربنا وصلينا بغير حساب»[3]

ولم يكتف بذلك، بل كان يأمر عماله بالرفق بالمسجونين، وفي هذا الصدد يروى أن عمر كتب إلى عامله يقول: «أما بعد، فاستوص بمن في سجونك،

---

(١) المصدر السابق: ٥/٣٥٦.

(٢) واسط: مدينة بالعراق بناها الحجاج الثقفي في منتصف المسافة بين البصرة والكوفة، ياقوت: **معجم البلدان** ٥/٣٤٧.

(٣) **البداية والنهاية**: ٩/١٣٦؛ وانظر محمد بن محمد بن نباته المصري (ت ٧٦٨هـ): **سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون**(ط مصر) ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م، ص ٩٩.

وأرضك خيراً حتى لا تصيبهم ضيعة، وأقم لهم ما يصلحهم من الطعام والأدام»[1].

بل وأكثر من ذلك، كان يأمر عماله بتفقد أحوالهم أسبوعياً، فيروي عبدالله بن أبي بكر، أن عمر كتب إلى عامله على المدينة أبي بكر بن عمرو بن حزم يأمره أن يعرض أهل السجون في كل يوم سبت وأن يستوثق من أهل الذعارات[2].

كما طلب من عماله أن لا يسجنوا أحداً في وثاق لا يمكنه من تمام الصلاة. ذكر أبو يوسف عن جعفر بن برقان أنه قال: «كتب إلينا عمر بن عبدالعزيز: لا تدعن في سجونكم أحداً من المسلمين في وثاق لا يستطيع أن يصلي قائماً، ولا تبيتن في قيد إلا رجلاً مطلوباً بدم، وأجروا عليهم من الصدقة ما يصلحهم في طعامهم وأدمهم والسلام»[3]، وهذه تعتبر من مستحدثات عمر بن عبدالعزيز[4].

ولم يقف اهتمام عمر بالمسجونين عند حد إطعامهم، وتفقد أحوالهم، بل أمر لهم بالكساء صيفاً وشتاء، فيروي موسى بن عبيدة، أن عمر بن عبدالعزيز كتب «أن ينظر في أمر السجون وأن يستوثق من أهل الذعارات، وكتب لهم برزق الصيف والشتاء. قال موسى: فرأيتهم يرزقون عندنا شهراً بشهر، ويكسون كسوة في الشتاء وكسوة في الصيف»[5].

هذا بالإضافة إلى ما سأذكره لاحقاً عن فرضه العطاء لهم مع بقية الرعية.
وهكذا شمل عمر بن عبدالعزيز بإصلاحاته وعدله ورأفته المسجونين

---

(١) ابن سعد: **الطبقات ٥/٣٧٧**.
(٢) المصدر السابق ٥/٣٥٧.
(٣) أبو يوسف: الخراج، ص ١٦٢.
(٤) الدميري: **حياة الحيوان ١/٦٨؛ والعيون والحدائق وأخبار الحقائق**: لمؤلف مجهول (ط. ليدن) ١٨٧١م، ص ٦٣.
(٥) ابن سعد: **الطبقات ٥/٣٥٦**.

جميعاً، ولم يتشدد إلا مع أهل الذعارات والدم فقط من جهة تقييدهم بالوثاق، وقد بين ذلك لعامله على المدينة أبـي بكر بن حزم الذي قال: «كتب عمر بن عبدالعزيز، أن أحبس أهل الذعارات في وثاق وأهل الدم. فكتبت إليه أسأله: كيف يصلون من الحديد؟ فكتب إلى عمر لو شاء الله لابتلاهم بأشد من الحديد، يصلون كيف تيسر على أحدهم وهم في عذر، فأما الوثاق فإني وجدت أبا بكر رحمه الله كتب أن يبعث إليه برجال في وثاق منهم قيس بن مكشوح المرادي وغيره»[1].

(و) موقف عمر من الفرق الخارجة على الدولة الأموية:

كان من العلامات البارزة في تاريخ بني أمية خروج عدد من الفرق عن طاعة ولي الأمر الأموي لاختلافهم وإياه في الرأي. وقد ترتب على ذلك صدام بين تلك الفرق وخلفاء بني أمية، كاد ـ في بعض الأحيان ـ أن يودي بالخلافة الأموية، غير أن عمر بن عبدالعزيز حين ولي الأمر لجأ إلى أسلوب اختلف فيه مع سلفه من بني أمية، وهو محاولة إعادتهم إلى صفوف جماعة المسلمين عن طريق الحجة والإقناع.

والفرق التي كانت موجودة على عهده هي: الخوارج، والقدرية، والشيعة، وكان له مع كل واحدة منها جولة اختلفت في الشكل وإن اتفقت في الجوهر على النحو التالي:

١ ـ الخوارج:

عمد عمر بن عبدالعزيز ألا يحارب الخوارج كما فعل من سبقه إلا بعد أن يلقمهم الحجة، فلا يكون هو البادىء بالعداء، بل يدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فيروي الطبري، أنه في سنة مائة للهجرة حين خرج شوذب، واسمه بسطام، من بني يشكر في ثمانين رجلاً كان أكثرهم من ربيعة في منطقة جوخى[2]، كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عامله على الكوفة

---

(١) المصدر السابق ٣٥٧/٥.

(٢) جوخى: اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد، وهو بين خانقين وخوزستان، ياقوت: معجم البلدان ٢/ ١٧٩.

عبدالحميد بن عبدالرحمن يأمره ألا يحركهم، إلا أن يسفكوا دماً، أو يفسدوا في الأرض، وفي نفس الوقت وصل بسطام كتاب من عمر بن عبدالعزيز يذكر له فيه «بلغني أنك خرجت غضباً لله ولنبيه، ولست بأولى بذلك مني، فهلم أناظرك، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا» فكتب إليه بسطام: «قد أنصفت، وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك، ويناظرانك»[1]. ولخص ابن خلدون هذه المناظرة فقال: «فبعث إليه عاصم الحبشي مولى بني شيبان، ورجلاً من بني يشكر، فقدما عليه بخناصرة، فسألهما ما أخرجكم؟ وما الذي نقمتم؟ فقال عاصم: ما نقمنا سيرتك، إنك لتتحرى العدل، والإحسان، فأخبرنا عن قيامك بهذا الأمر، مشورة من الناس، أم غلبت عليه؟ قال عمر: ما سألته، ولا غلبت عليه، وعهد إلى رجل قبلي فقمت ولم ينكر أحد، ومذهبكم الرضا لكل من عدل، وإن أنا خالفت الحق فلا طاعة لي عليكم، قالا: فقد خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم، فتبرأ منهم والعنهم. فقال عمر: أنتم تريدون الآخرة وقد أخطأتم طريقها. وإن الله لم يشرع اللعن، وقد قال إبراهيم: ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾[2]، وقال: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[3] وبقي تسمية أعمالهم مظالم ذماً، ولو كان لعن أهل الذنوب فريضة لوجب عليكم لعن فرعون أنتم لا تلعنونه وهو أخبث الخلق، فكيف ألعن أهل بيتي وهم مصلون صائمون؟ ولم يكفروا بظلمهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإيمان والشريعة، فمن عمل بها قبل منه ومن أحدث حدثاً فرض عليه الحد فقالا: فإن النبي صلى الله عليه وسلم، دعا إلى التوحيد والإقرار بما نزل عليه، فقال عمر: وليس أحد ينكر ما نزل عليه، ولا يقول لا أعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن القوم أسرفوا على أنفسهم، قال عاصم: فابرأ منهم، ورد أحكامهم. قال عمر: أتعلمان أن أبا بكر سبى أهل الردة، وإن عمر ردها

---

(١) **تاريخ** ٦/٥٥٥؛ ابن الأثير: **الكامل** ٥/٤٥؛ الأربلي: **الذهب المسبوك**، ص ٢٥.

(٢) آية ٣٦ من سورة إبراهيم.

(٣) آية ٩٠ من سورة الأنعام.

بالفدية، ولم يبرأ من أبـي بكر، وأنتم لا تبرؤون من واحد منهما، (قال فأخبروني عن أهل النهر وهم أسلافكم هل تعلمون أن أهل الكوفة خرجوا فلم يسفكوا دماً ولم يأخذوا مالاً وأن من خرج إليهم من أهل البصرة اعترضوا وقتلوا عبدالله بن خباب)[1]، وجاريته حاملاً، ولم يتبرأ من لم يقتل ممن قتل، واستعرض، ولا أنتم تتبرؤون من واحد منهما، وكيف ينفعكم ذلك مع علمكم باختلاف أعمالكم؟ ولا يسعني أنا البراءة من أهل بيتي، والدين واحد فاتقوا الله ولا تقبلوا المردود، وتردوا المقبول، وقد أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من شهد شهادة الإسلام، وعصم ماله ودمه، وأنتم تقتلونه ويأمن عندكم سائر الأديان وتحرمون دماءهم وأموالهم، فقال اليشكري: من استأمن على قوم وأموالهم فعدل فيها، ثم صيرها بعده إلى رجل غير مأمون، أتراه أدى الحق الذي لزمه، فكيف تسلم هذا الأمر بعدك إلى يزيد مع علمك أنه لا يعدل فيه؟ فقال: إنما ولاه غيري، والمسلمون أولى بذلك بعدي، قال: فهو حق ممن فعله، وولاه، قال: أنظراني ثلاثاً، ثم جاءه عاصم فرجع عن رأي الخوارج، وقال له اليشكري: اعرض عليهم ما قلت، وأسمع حجتهم، وأقام عاصم عند عمر، وأمر له بالعطاء، وتوفي عمر لأيام قلائل»[2].

ويبدو أن سياسة اللين والرفق هذه السياسة التي استعملها عمر مع الخوارج لم تعجب بعض أصحابه، فأشاروا عليه باستعمال الرعب والتغيير معهم، لكن عمر ظل يرفق بهم حتى أخذ عليهم، ورضوا منه، فلما خرجوا ضرب عمر ركبة رجل يليه من أصحابه وقال: يا فلان، إذا قدرت على دواء تشفي به صاحبك دون الكي فلا تكوينه أبداً[3].

(١) صوب هذا النص من **العيون والحدائق**، ص ٤٥.

(٢) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨): **تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر** (ط. بيروت) ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ٣/١٦٢ ـ ١٦٣؛ وانظر ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٠٨ ـ ١١١؛ وابن الأثير: **الكامل** ٥/٤٥ ـ ٤٨؛ **والعيون والحدائق**، ص ٤٣ ـ ٤٦.

(٣) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٦٢.

وهكذا كانت السياسة التي اتبعها عمر إزاء الخوارج من عوامل الاستقرار والهدوء، وسواد الأمن في الدولة على عهده، وكانت حجة الخوارج في مسلكهم وعدم قتالهم عمر بن عبدالعزيز لعدله، وحسن سيرته في حكمه[1].

٢ ـ القـــدريـــة:

وكذلك استعمل عمر هذه السياسة مع القدرية، فأرسل إلى عامله على البصرة عدي بن أرطاة يقول: «أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فاستتب القدرية، مما دخلوا فيه فإن تابوا فخل سبيلهم، وإلا فانفهم من ديار المسلمين»[2]، كما قام بالكتابة لبعضهم[3]، ومناظرة البعض الآخر، فيذكر أبو زرعة عن عمرو بن مهاجر أنه قال: «أقبل ـ غيلان وهو مولى لآل عثمان بن عفان ـ وصالح بن سويد إلى عمر بن عبدالعزيز، فلقيا مزاحماً ـ مولى عمر بن عبدالعزيز ـ فسألاه أن يجعلهما في حرس عمر، فذكرهما لعمر، فأدخلهما عليه فكلمهما فسره رغبتهما في ذلك. فقال: أجلسهما يا عمرو وامنعهما من حمل السيف. قال عمرو: ففعلت: فبلغه أنهما ينطقان في القدر، فدعاهما، فقال: أعلـم الله نافذ في عباده أو منتقض؟ قالا: بل نافذ يا أمير المؤمنين. قال: ففيم الكلام. فخرجا، ثم بلغه أنهما قد أسرفا، فقال: ما هذا الأمر الذي تنطقان فيه؟ قالا: نقول ما قال الله في كتابه: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً. . .﴾ إلى ﴿. . . وإما كفوراً﴾[4] ثم سكت، فقال عمر: إقرأ، فقرأ حتى بلغ: ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾[5]، فقال عمر: كيف ترى؟ . . . تأخذ الفروع، وتدع الأصول ثم أخرجهما، فلما كان عند مرضه بلغه أنهما قد أسرفا، فأرسل إليهما وهو مغضب، فقال: ألم يكن في سابق علم الله ـ حين أمر إبليس بالسجود ـ أنه لا يسجد؟ قال عمرو: فأومأت إليهما برأسي، قولا:

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٤؛ الدياربكري: **تاريخ الخميس** ٢/٣١٦.

(٢) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٦٨.

(٣) انظر نص هذا الكتاب في المصدر السابق، ص ٦٨ ـ ٦٩.

(٤) الآيات ١ ـ ٣ من سورة الإنسان.

(٥) آية ٣١ من سورة الإنسان.

نعم. فأمر بإخراجهما، والكتاب إلى الأجناد بخلاف ما قالا.

فمات عمر قبل أن تنفذ تلك الكتب»[1].

٣ ـ الشيعـــة:

كما وجه دعوة المناظرة هذه إلى الشيعة، فيذكر الأزدي عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال: «قد ناظرت الناس وكلمتهم وإني لأحب أن أكلم الشيعة، فشخص إليه أبو جعفر[2] بن علي عليه السلام، ومعه زرارة بن أعين فقال: أخبرني عن مقعدك هذا الذي قعدته، أبإرث من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا، قال: فبوصية منه؟ قال: لا، فبأجماع من المسلمين أو لأحد ولاية منك؟، قال: لا، فلما نهض أبو جعفر قال له زرارة: ما تقول فيه؟ قال: هو خير ممن كان قبله وفلان خير منه»[3].

وهكذا عم السلام والاستقرار، والطمأنينة، والهدوء لأول مرة في تاريخ الدولة الأموية ـ دون سفك لدم أو لجوء لعنف، وذلك عن طريق الحجة والإقناع النابعين من التمسك بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ـ أرجاء الدولة الإسلامية بقيادة عمر بن عبدالعزيز.

ثانياً: إصلاحاته المالية

(أ) الصـــدقـات:

ولقد كان إصلاح عمر لأساليب جباية الصدقات وإنفاقها من الأعمال ذات الأهمية البالغة التي تذكر له، حيث رغب أن يرسيها على أسسها الشرعية السليمة، لذلك وجب أن نفرد لها جانباً من البحث باعتبارها واحدة من إصلاحاته المهمة.

---

(١) **تاريخ** ١/٣٧١ ـ ٣٧٢.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين المتوفى سنة ١١٧هـ. انظر ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، ٢/١٠٨ ـ ١١٢.

(٣) يزيد بن محمد بن اياس الأزدي (ت٣٣٤هـ): **تاريخ الموصل**، تحقيق: علي حبيبة (ط. القاهرة) ١٣٨٧هـ، ص ٥.

فقد كان من نتيجة عزم عمر الأكيد على الرجوع إلى الكتاب والسنة في كل أمور دولته، وإماتة كل بدعة، وإحياء كل سنة، أنه «أخذ الصدقة من حقها وأعطاها في حقها، وأعطى العاملين بقدر عمالتهم عليها مثل ما يعطى مثلهم، فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أقمت فريضة من فرائضه»[1]، وهذا النص يشير إشارة واضحة إلى أن هذا الركن الإسلامي لم يكن مطبقاً كما كان يعمل به أيام رسول الله وخلفائه الراشدين، ولكي يعيده إلى حالته الأولى، اتخذ عمر بن عبدالعزيز عدداً من الخطوات على النحو التالي:

فالخطوة الأولى: كانت تحقيق السنة المؤكدة، وما جرى عليه العمل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، قال محمد بن عبدالرحمن الأنصاري: «لما استخلف عمر بن عبدالعزيز أرسل إلى المدينة يلتمس كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقات، وكتاب عمر بن الخطاب، فوجد عند آل عمرو بن حزم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمرو بن حزم في الصدقات، ووجد عند آل عمر كتاب عمر في الصدقات مثل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فنسخا له، قال: فحدثني عمرو بن هرم: أنه طلب إلى محمد بن عبدالرحمن أن ينسخه ما في ذينك الكتابين، فنسخ له ما في هذا الكتاب من صدقة الإبل، والبقر، والغنم، والذهب، والورق، والتمر، أو الثمر، والحب، والزبيب...»[2].

كما طلب من ابن شهاب الزهري أن يكتب له أهل الصدقة الذين يطيب لهم أخذها، ومن تحرم عليه. فكتب إليه الزهري: «هذه منازل الصدقات ومواضعها إن شاء الله، وهي ثمانية أسهم: فسهم للفقراء، وسهم للمساكين، وسهم للعاملين عليها، وسهم للمؤلفة قلوبهم، وسهم في الرقاب، وسهم للغارمين، وسهم في سبيل الله، وسهم لابن السبيل»، ثم فصل له كيف توزع هذه الأسهم على أصحابها، من حصيلة الزكاة في كتاب طويل[3].

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٧٥.

(٢) أبو عبيد: **الأموال**، ص ٤٤٧.

(٣) رواه أبو عبيد في **الأموال**، ص ٦٩٠ ـ ٦٩٢.

ثم جاءت الخطوة التالية التي اتبعها عمر بن عبدالعزيز بالنسبة لمنهجه في تطبيق الزكاة، حين بين لعماله كيفية جباية الزكاة من أصحابها، وفق ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكتب إليهم «أن صدقوا الناس على مياههم وبأفنيتهم»[١]. لكي لا يشق عليهم، وذلك تنفيذاً لأمر رسول الله الذي قال يوم فتح مكة: (لا جلب، ولا جنب، ولا شغار في الإسلام ولا تؤخذ صدقات المسلمين إلا على مياههم وبأفنيتهم). قال أبو عبيد: قوله لا جلب يفسر تفسيرين، يقال: إنه في رهان الخيل: أن لا يجلب عليها، ويقال: هو في الماشية، يقول: لا ينبغي للمصدق أن يقيم بموضع ثم يرسل إلى أهل المياه ليجلبوا إليه مواشيهم، فيصدقها، ولكن ليأتهم على مياههم، حتى يصدقها هناك: وهو تأويل قوله على مياههم وبأفنيتهم»[٢].

زكـاة الأنعـام:

روى أبو عبيد عن ابن شهاب الزهري أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى عماله بشأن صدقة الجواميس، أن تؤخذ صدقتها كما تؤخذ صدقة البقر[٣]، وأن لا تؤخذ الصدقة من البقر العوامل، استناداً إلى ما رواه أبو عبيد عن يزيد بن أبـي حبيب[٤]، كما كتب إليهم أيضاً أن يأخذوا الصدقة من الإبل التي تعمل في الريف[٥].

وتنفيذاً لتعليمات عمر لعماله بشأن الصدقة في المواشي التي بينها لهم، يروي يحيى بن سعيد: «أن مما كان عمال عمر بن عبدالعزيز يصنعون بالمدينة في أخذ الصدقة: أن يفرق المال ثلاث فرق، ثم يختار صاحبه ثلثاً، ثم يأخذ صاحب الصدقة حاجته من الثلث الثاني»[٦].

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٩٧.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٩٦ ــ ٤٩٧.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٧٦.
(٤) المصدر السابق، ص ٤٧٠.
(٥) المصدر السابق، ص ٤٦٥ ــ ٤٦٦.
(٦) المصدر السابق، ص ٤٩٧.

كما أرسل إلى عماله أن لا يأخذوا من الخيل صدقة[1].

زكاة الزروع والثمار:

وفيما يتعلق بصدقات ما تخرج الأرض من الحب والثمار، فإن عمر إزاء اختلاف العلماء على تعداد أصناف ما يؤخذ منه الصدقة، حيث زاد بعضهم وأنقص البعض الآخر، كان يرى أن الصدقة تجب في الحنطة، والشعير، والثمر، والزبيب، والسلت، والزيتون، والذرة، وأمر أن يؤخذ من القطاني على نحو ما يؤخذ من القمح والشعير. والسلت والقطاني هي صنوف الحبوب والبقول كالعدس، والحمص، وغيرها، ولهذا بينها لعماله، وأمرهم بأخذ الزكاة من جميع هذه الأصناف[2].

أما بالنسبة لزكاة الثمار في أرض الخراج التي في يد المسلم، فقال ميمون بن مهران: «سألت عمر بن عبدالعزيز عن المسلم يكون له أرض خراج، قال: خذ الخراج من ها هنا ــ وأشار بيده إلى الأرض ــ وخذ الزكاة من ها هنا ــ وأشار بيده إلى الزرع»[3]، ويؤيد هذا رواية أخرى يرويها يحيى بن آدم. فيقول: «سألت حسن بن صالح عن مسلم له أرض خراج فقال: عليه الخراج عن أرضه، وعليه فيما أخرجت الزكاة العشر أو نصف العشر، ثم قال سمعت هذا عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال: عليه العشر والخراج»[4].

رأيه في زكاة العسل:

كما أمر عماله بأخذ الصدقة من العسل؛ روى أنه كتب إلى عماله على مكة والطائف يقول: إن في الخلايا صدقة فخذوها منها قال: «والخلايا الكواثر»[5].

---

(١) المصدر السابق، ص ٦٠٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٦٧ ــ ٥٧٠.

(٣) يحيى بن آدم: **الخراج**، ص ١٦١.

(٤) المصدر السابق، ص ١٦٢.

(٥) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ): **فتوح البلدان**، تحقيق رضوان محمد رضوان (ط. بيروت) ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م، ص ٦٩.

ويؤيد هذا ما رواه أبو عبيد من أن عمر بن عبدالعزيز كان يرى في العسل العشر[1]، إلا أنه عدل عن رأيه هذا، وأرسل إلى عماله يقول كما يروي عبدالله بن أبي بكر: «جاء كتاب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي أن لا تأخذ من الخيل، ولا من العسل صدقة»[2]، ويبدو أن سبب ذلك يرجع إلى الرواية التالية: عن نافع أنه قال: بعثني عمر على اليمن فأردت أن آخذ من العسل العشر، فقال مغيرة بن حكيم الصنعاني:

ليس فيه شيء. فكتبت إلى عمر فقال: صدق وهو عدل رضى»[3].

زكاة المعادن:

كما وضع عمر الصدقة على المعادن، فيروي ابن سعد أنه كتب: «أن لا يؤخذ من المعادن الخمس، وتؤخذ منها الصدقة»[4]، وقد صوب هذا القاسم بن محمد إذ قال: «أحسن عمر بن عبدالعزيز حين أخذ من المعادن الصدقة، هكذا كان الأمر الأول»[5]، والقاسم بن محمد غني عن التعريف، فهو أحد الفقهاء السبعة في المدينة وشيخ عمر بن عبدالعزيز وقد سبقت الإشارة إليه.

زكاة ما يخرج من البحر:

أما بالنسبة لصدقة ما يخرج من البحر، فيروي أبو عبيد عن عبدالرحمن بن مهدي أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى عامله في عمان «أن لا يأخذ من السمك شيئاً حتى يبلغ مائتي درهم، قال عبدالرحمن. وأعلمه إلا قال: فإذا بلغ مائتي درهم فخذ منه الزكاة.

قال أبو عبيد: يذهب عمر ـ فيما يرى ـ إلى أن ما أخرج البحر بمنزلة

---

(١) **الأموال**، ص ٥٩٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٦٠٠.
(٣) المصدر السابق، ص ٦٠٠.
(٤) **الطبقات** ٥/٣٥٢.
(٥) المصدر السابق ٥/٣٥٢.

ما أخرج البر من المعادن، وكان رأيه في المعادن الزكاة. وقد ذكرنا ذلك عنه. فشبهه به، وليس الناس في السمك على هذا، ولا نعلم أحداً يعمل به»[1].

ويكون بهذا هو أول من وضع الزكاة على ما يخرج من البحر، وهذا دليل على أنه من الأئمة المجتهدين.

ومن أجل تنمية صيد الأسماك لصالح الصياد والرعية، سمح عمر بن عبدالعزيز بمؤاجرة بحيرة في أرض العراق كان يجتمع فيها السمك، كما سمح للناس ببيع صيد الآجام وسماه الحبس[2].

صدقة الورق والذهب:

وأما بالنسبة لصدقة الورق، والذهب، وعروض التجارة، وهي القسم الثاني من الأموال المزكاة ولكنها أموال باطنة كما عرفها الماوردي[3] فقد نظم عمر جباية الصدقة من التجار إذ أرسل إلى عماله يقول: «لا تأخذوا من أرباح التجار شيئاً حتى يحول عليها الحول»[4]، وفي رواية أخرى عن حميد قال: «كتب عمر بن عبدالعزيز: أيما رجل أفاد مالاً فلا زكاة عليه حتى يحول عليه الحول»[5]، ويفسر أبو عبيد عمل عمر هذا فيقول: «أفلست ترى أن عمر استأنف بالربح حولاً ولم يضمه إلى أصل المال ثم يزكيه معاً؟ فإذا كان لا يرى أن يضم نماء المال إليه ــ وهو منه ــ فالفائدة من ذلك أبعد»[6].

كما بين عمر لعماله كيفية ومقدار ما يجب على كل مسلم أن يدفعه على ماله، وكذلك الذمي، فيذكر أبو عبيد عن رزيق بن حيان الدمشقي ــ وكان على جواز مصر في زمن الوليد وسليمان ابني عبدالملك، وفي زمن عمر بن

---

(١) **الأموال**، ص ٤٣٤.

(٢) أبو يوسف: الخراج، ص ٩٤ ــ ٩٥.

(٣) **الأحكام السلطانية**، ص ١١٩.

(٤) أبو عبيد: **الأموال**، ص ٥٠٩.

(٥) المصدر السابق، هامش ص ٥٠٩.

(٦) المصدر السابق، ص ٥٠٩ ــ ٥١٠.

عبدالعزيز ــ ان عمر بن عبدالعزيز كتب إليه «أن انظر من مر بك من المسلمين، فخذ مما ظهر من أموالهم مما يديرون في التجارات من كل أربعين ديناراً، ديناراً. وما نقص فبحساب ذلك، حتى تبلغ عشرين ديناراً. فإذا نقصت ثلث دينار فدعها»[1]، وفي رواية أخرى عن رزيق هذا «أن عمر بن عبدالعزيز كتب إليه أن انظر من مر بك من المسلمين، فخذ مما ظهر من أموالهم مما يديرون من التجارات من كل أربعين ديناراً ديناراً، فما نقص فبحساب ذلك حتى يبلغ عشرين ديناراً فإن نقصت ثلث دينار فدعها، ولا تأخذ منها شيئاً، ومن مر بك من أهل الذمة فخذ مما يديرون من التجارات من كل عشرين ديناراً ديناراً، فما نقص فبحساب ذلك حتى يبلغ عشرة دنانير، فإن نقصت ثلث دينار فدعها، ولا تأخذ منها شيئاً، واكتب لهم بما تأخذ منهم كتاباً إلى مثله من الحول»[2].

ولتسهيل عملية التجارة بما يعود بفائدة على جميع الرعية مسلمها وذميها، أصدر أمره بتسهيل طريقيها البحري والبري، إذ قال: «وأما البحر فأنا نرى سبيله سبيل البر قال: ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله﴾[3] فأذن فيه أن يتجر فيه من شاء، وأرى أن لا نحول بين أحد من الناس وبينه، فإن البر والبحر لله جميعاً، سخرهما لعباده يبتغون فيهما من فضله، فكيف نحول بين عباد الله وبين معايشهم؟»[4]، وهكذا وبعد فتحه لطريق البحر أمام التجار لكسب رزقهم، سهل لهم أيضاً طريق البر برفعه المكوس التي كانت تجبى من الناس بغير حقها، فقال: «وأما المكس فإنه النجس الذي نهى الله عنه، فقال: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[5] غير أنهم كنوه باسم آخر»[6].

---

(١) المصدر السابق، ص ٥١٥ ــ ٥١٦.
(٢) الإمام مالك: **الموطأ** ١/٢٥٥.
(٣) آية ١٢ من سورة الجاثية.
(٤) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٨٢.
(٥) آية ٨٥، من سورة هود.
(٦) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٨٣.

كما أمر بفتح الجسور والمعابر أمام الناس، لينتقلوا حيث شاءوا دون تقييد لحريتهم من قبل موظفي هذه المعابر، والجسور، فيروي ابن سعد أن عمر بن عبدالعزيز كتب يقول: «إني ظننت أن جعل العمال على الجسور والمعابر أن يأخذوا الصدقة على وجهها، فتعدى عمال السوء غير ما أمروا به، وقد رأيت أن أجعل في كل مدينة رجلاً يأخذ الزكاة من أهلها فخلوا سبل الناس في الجسور والمعابر»[1].

أخذه الزكاة من كل شيء أمر به الشارع الحكيم ورسوله الكريم:

فيروي أبو عبيد أن عمر بن عبدالعزيز كان إذا أعطى الرجل عمالته أخذ منها الزكاة، وإذا رد المظالم أخذ منها الزكاة، وكان يأخذ الزكاة من الأعطية إذا خرجت لأصحابها[2].

صدقة الفطر وتعجيل صرفها:

وعلى ما نهج عليه عمر من إعادة الأمة الإسلامية إلى عهد الخلفاء الراشدين، فقد نظم أمر زكاة الفطر فكان «يأخذ من أهل الديوان صدقة الفطر نصف درهم»[3]، ويستعجل صرفها لمستحقيها، لتؤدي الغرض الذي وضعت من أجله، وهي مساعدة أولئك الفقراء المحتاجين القادمين على العيد من مغبة السؤال في ذلك اليوم، وليفرحوا به كسائر إخوانهم، ولهذا لما أرسل إليه أحد عماله يقول: «أن الناس لما سمعوا بولايتك تسارعوا إلى أداء زكاة الفطر فقد اجتمع من ذلك شيء كثير، ولم أحب أن أحدث فيها شيئاً حتى تكتب إلي برأيك. فكتب إليه عمر بقبض كتابه يقول: لعمري ما وجدوني وإياك على ما ظنوا، وما حبسك إياها إلى اليوم فأخرجها حين تنظر في كتابي»[4].

---

(١) **الطبقات** ٥/٣٧٨.

(٢) **الأموال**، ص ٥٢٩.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٨٢.

(٤) البسوي: **المعرفة والتاريخ** ١/٥٩٢؛ ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٨٥ ـ ٨٦.

وقد اتخذ عمر أسلوباً جديداً مع من يرفض دفع زكاة ماله، بعدم أخذها منه مع المسلمين، فأصاب هذا الأسلوب الهدف الذي وضع من أجله، وهو إحراج ذلك المانع مما يضطره إلى دفعها من تلقاء نفسه بعد ذلك، روى مالك: «أنه بلغه أن عاملاً لعمر بن عبدالعزيز كتب إليه يذكر أن رجلاً منع زكاة ماله، فكتب إليه عمر: أن دعه ولا تأخذ منه زكاة مع المسلمين، قال فبلغ ذلك الرجل فاشتد عليه، وأدى بعد ذلك زكاة ماله، فكتب عامل عمر إليه يذكر له ذلك، فكتب إليه عمر: أن خذها منه»[1].

مصارف الزكاة أو الصدقة:

أما الخطوة الثالثة في خطة عمر بن عبدالعزيز التي سار عليها في إصلاحه لشؤون الزكاة، فهي صرفها في مصارفها المحددة في القرآن الكريم، وهي ثمانية، قال تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل فريضة من الله»[2]، وليتم ذلك بدقة فقد نظم عمر بيت المال، يقول إسحاق بن يحيى: «قدمت على عمر بن عبدالعزيز في خلافته فوجدته قد جعل للخمس بيت مال على حدة، وللصدقة بيت مال على حدة، وللفيء بيت مال على حدة»[3]، وهكذا أفرد عمر للزكاة بيت مال منفصلاً، لكي تصرف جميعها وفق ما أنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم.

ولقد كان من رأي عمر في بادىء الأمر صرف بعض هذه الزكاة في المدينة التي تجمع منها وإرسال القسم الآخر إليه، إلا أنه عدل عن رأيه هذا في السنة التالية، ورأى أن تصرف جميعها في نفس الإقليم، أو المدينة التي جمعت منها، روى أبو عبيد أنه أمر عماله أن: «... ضعوا شطر الصدقة... ـ يعني في

---

(١) **الموطأ** ١/٢٧٠.

(٢) الآية ٦٠ من سورة التوبة.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٤٠٠.

مواضعها ــ وابعثوا إلي بشطرها قال: ثم كتب في العام المقبل: أن ضعوها كلها»[1].

وقد أراد عمر بهذا أن تعم الزكاة بنفعها جميع أهلها المصروفة لهم وتغنيهم عن مغبة السؤال والحاجة، وقد حققت هدفها بشكل واضح للجميع لأنه كان مناقضاً لما يتخيله البعض من أن إصلاحات عمر المالية سوف تفقر الدولة كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد.

صرفه سهم الغارمين:

كما أرسل عمر إلى عماله: «أن اقضوا على الغارمين فكتب إليه: إنا نجد الرجل له المسكن والخادم، والفرس، والأثاث، فكتب عمر:

أنه لا بد للمرء المسلم من المسكن يسكنه، وخادم يكفيه مهنته، وفرس يجاهد عليه عدوه، ومن أن يكون له الأثاث في بيته: نعم فاقضوا عنه، فانه غارم. قال أبو عبيد: أفلا ترى عمر إنما اشترط في ذلك ما يكون فيه الكفاف الذي لا غناء به عنه، فأرخص فيه ولم يجعل له ما وراء ذلك؟»[2].

وعن أبي العلاء بياع المشاجب قال: «قرىء علينا كتاب عمر بن عبدالعزيز، رحمه الله، في مسجد الكوفة، وأنا أسمع: من كانت عليه أمانة لا يقدر على أدائها فأعطوه من مال الله، ومن تزوج امرأة فلم يقدر أن يسوق إليها صداقها فأعطوه من مال الله»[3].

وهذا يوضح أيضاً أنه عد من أراد الزواج ولم يستطع ذلك لفقره من الغارمين، فأمر عماله بتزويجه.

والأمثلة على دفعه لهذا السم إلى أصحابه كثيرة:

---

(١) **الأموال**، ص ٧٠٨.

(٢) المصدر السابق ٦٦٦ ــ ٦٦٧.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٧٤.

قال محمد بن سهل بن أبـي حثمة: «قضى عني عمر بن عبدالعزيز ـ وهو خليفة ـ خمسين ومائتي دينار من صدقات بني كلاب وكتب بها»[1].

وقال عيسى بن أبـي عطاء: «شهدت عمر بن عبدالعزيز قضى عن غارم خمسة وسبعين ديناراً من سهم الغارمين»[2].

كما روى يعقوب بن عمر بن قتادة أنه: «وفد عاصم بن عمر بن قتادة، وبشير بن محمد بن عبدالله بن زيد بن عبدربه على عمر بن عبدالعزيز في خلافته، فدخلا عليه بخناصرة فذكرا ديناً عليهما، فقضى عن كل واحد منهما أربعمائة دينار، فخرج الصك يعطيان من صدقة كلب مما عزل في بيت المال.

... وكان ذلك العزل قدم به لم يوجد أحد منهم يقضي عنه دين، فأدخل فضله بيت المال عزلا، لأن يقضىٰ به عن الديان فهذا وجهه»[3].

وهذا دليل على حرص عمر على صرف هذا السهم في وجهته الصحيحة التي أمر بها الله سبحانه وتعالى.

صرفه أسهم الزكاة الباقية في مواضعها:

وكما حرص عمر على صرف سهم الغارمين في وجهته الصحيحة، حرص أيضاً على صرف كل أسهم الزكاة وفق ما نص عليه القرآن الكريم، والسنة الشريفة، والأمثلة على ذلك كثيرة: فمثلاً، كتب إلى عامله على البصرة عدي بن أرطاة الفزاري «أما بعد، فإني كنت كتبت إلى عمرو بن عبدالله أن يقسم ما وجد بعمان من عشور التمر، والحب في فقراء أهلها، ومن سقط إليها من أهل البادية ومن أضافته إليها الحاجة والمسكنة وانقطاع السبيل، فكتب إلى أنه سأل عاملك قبله عن ذلك الطعام والتمر، فذكر أنه قد باعه، وحمل إليك ثمنه، فاردد إلى عمر، مما كان حمل إليك عاملك على عمان من ثمن الثمر والحب، ليضعه في المواضع التي أمرته بها، ويصرفه فيها إن شاء الله والسلام»[4].

---

(١) المصدر السابق، ٥/ ٣٥٠.

(٢) المصدر السابق، ٥/ ٣٤٩.

(٣) المصدر السابق، ٥/ ٣٤٩.

(٤) البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ٨٨.

كما اتخذ للفقراء والمساكين وابن السبيل داراً للطعام، وحرم على أهل بيته أن يأخذوا منه شيئاً، رغم أن حالتهم كانت قد وصلت بهم إلى مستوى هؤلاء الفقراء والمساكين، قال وهيب بن الورد: «بلغنا أن عمر بن عبدالعزيز اتخذ دار الطعام للمساكين والفقراء وابن السبيل. قال: وتقدم إلى أهله: إياكم أن تصيبوا من هذه الدار شيئاً من طعامها، فإنما هو للفقراء والمساكين وابن السبيل. فجاء يوماً فإذا مولاة له معها صحفة فيها غرفة من لبن فقال لها: ما هذا؟ قالت: زوجتك فلانة حامل كما قد علمت واشتهت غرفة من لبن، والمرأة إذا كانت حاملاً فاشتهت شيئاً فلم تؤت به تخوفت على ما في بطنها أن يسقط، فأخذت هذه الغرفة من هذه الدار، فأخذ عمر بيدها فتوجه بها إلى زوجته وهو عالي الصوت وهو يقول: إن لم يمسك ما في بطنها إلا طعام المساكين والفقراء فلا أمسكه الله. فدخل على زوجته فقالت له: مالك؟ قال: تزعم هذه أنه لا يمسك ما في بطنك إلا طعام المساكين والفقراء، فإن لم يمسكه إلا ذلك فلا أمسكه الله. قالت زوجته: رديه ويحك، والله لا أذوقه. قال: فردته»[1].

كما أنه فرق على فقراء البصرة لكل إنسان ثلاثة دراهم، وأعطى الزمني خمسين خمسين من زكاة الفطر[2]، وهذا لا يعني أنه اختص فقراء البصرة فقط بل كان فعله كذلك مع الفقراء في سائر الأمصار، مما يدل على مدى تفهمه ودراسته لحالة الزمن، وما يحتاجه من مال ليستطيع العيش به كباقي أفراد الأمة بسبب عجزه الدائم.

ولم ينس عمر المسافرين من الأفراد، بل وضع لهم الفنادق، والطعام لهم، ولدوابهم، ووضع لهم المرشدين ليدلوا ضالهم، ويقووا منقطعهم، ويبلغوه مأمنه دون مقابل وهذا العمل يعتبر من مستحدثات عمر بن عبدالعزيز التي لم يسبقه إليها أحد من الخلفاء الذين جاؤوا من قبله[3]، يروي الطبري أنه «كتب عمر

---

(١) ابن سعد: **الطبقات**، ٥/٣٧٨ ــ ٣٧٩.

(٢) الطبري: **تاريخ**، ٦/٥٦٩ ــ ٥٧٠.

(٣) الدميري: **حياة الحيوان**، ١/٦٨؛ **العيون والحدائق**، ص ٦٣.

إلى عامله سليمان بن أبي السرى، أن اعمل خانات في بلادك، فمن مر بك من المسلمين، فأقروهم يوماً وليلة، وتعهدوا دوابهم، فمن كانت به علة فأقروه يومين وليلتين، فإن كان منقطعاً به فقووه بما يصل به إلى بلده»[1]، وبهذا يكون عمر قد عمم الرخاء والعدل والراحة حتى على المسافرين، وصرف سهم ابن السبيل كما أمر به الله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

وقد أدخل أحد الباحثين إقامة الخانات على أنها نوع من الضمان الاجتماعي الذي أوجده عمر بن عبدالعزيز[2]، ولكني أرى أنه قد تجاوز مفهوم الضمان الاجتماعي، لأن هذه الخانات قد جعلت لمن يتصادف مروره على هذا الطريق ودون إلزام أو التزام.

والضمان في مفهوم الوقت الحالي: هو أن يضمن للشخص أن يحيا في مجتمعه حياة كريمة. وعملية الضمان هذه غير واردة شرعاً، وإنما هناك تكافل وتعاون، لكن ضمان لا يضمن البشر ولكن الذي يضمن هو الله وحده سبحانه وتعالى.

(ب) الخراج:

ومن المجالات التي كانت موضع اهتمام عمر بنِ عبدالعزيز إبان خلافته: الخراج، وذلك باعتباره من أهم موارد بيت المال؛ فما أن تولى مسؤولية الدولة الإسلامية حتى بعث إلى عماله في الأمصار يوجه نظرهم إلى ما لاحظه عن التعامل في الأرض من أكثر من جماعة من رعايا الدولة، فالذمي حين يسلم كانت أرضه تنتقل معه قبل عمر بن عبدالعزيز، وأشراف العرب، وسادتهم أكثروا من شراء الأرض الخراجية، وغير ذلك، وكل فريق كان يحاول أن يبرر تصرفه تبريراً شرعياً، فأراد عمر بن عبدالعزيز أن يبين للناس الرأي الذي كان يعتقد أنه مطابق للشرع، وما جرى عليه السلف الصالح خصوصاً، وأنه كان

---

(١) **تاريخ**، ٦/٥٦٧؛ وانظر ابن سعد: **الطبقات**، ٥/٣٤٥؛ وابن الأثير: **الكامل**، ٥/٦٠.

(٢) عمادالدين خليل: ملامح الانقلاب الإسلامي،

يترتب على التعامل في الأرض آثار تتصل بموارد بيت المال، وتؤثر على حجمها.

ولقد عالج عمر بن عبدالعزيز في هذا الصدد نوعين من التعامل في الأرض:

النوع الأول الخاص بشراء أشراف العرب وساداتهم للأرض الخراجية، بأن أرسل إلى عماله يقول: «ونرى أن لا تباع عمارة الأرض، فإنما يشتري المشتري لنفسه، ويقطع لنفسه، فإنما يصيب من ذلك خراب الأرض، وظلم أهلها، وأما من كان من عرب أهل الأرض في غير أرضه وجزيته جارية عليه في أرضه فليس عليه إلا ذلك، وعامل أرضه أولى بتبعته»[1].

كما أكد ذلك في رسالة أخرى أرسلها إلى عامله على الجزيرة ميمون بن مهران الذي قال: «كتب إلى عمر بن عبدالعزيز: أما بعد فحل بين أهل الأرض وبين بيع ما في أيديهم، فإنهم إنما يبيعون في «المسلمين»[2]، وليضمن لقراره هذا التنفيذ، أصدر أمراً آخر ألحقه بالأول، جاء فيه «أن لا يباع لأهل الذمة آلة»[3]، يعني آلة الزراعة، وذلك ضماناً لبقاء الأرض فيئاً عاماً للمسلمين، كما أن هذا قد ساعد بطريق غير مباشر على تنشيط الزراعة لأن توفر الآلات الزراعية بين المسلمين يزيد من قدرتهم الزراعية ومن إنتاجهم.

واستمراراً لبقاء أراضي الخراج في أيدي ذراري أصحابها بعد وفاتهم، أرسل لعماله يقول: «. . . ثم إن مواريث أهل الأرض إنما هي لأوليائهم، أو لأهل أرضهم الذين يخرجون الخراج، فنرى أن لا يؤخذ منهم شيء، إلا أن يكون عاملاً فيبعثه الإمام في عمله بالذي يرى عليه من الحق والسلام»[4].

ثم منع المسلمين من تملك الأراضي الخراجية اعتباراً من عام ١٠٠هـ «وكتب أن من اشترى شيئاً بعد سنة مائة فإن بيعه مردود وسمى سنة مائة سنة

---

(١) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٨٣.
(٢) أبو عبيد: **الأموال**، ص ١٢٢.
(٣) المصدر السابق، ص ١٢٢.
(٤) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٨٣.

المدة فسماها المسلمون بعده بذلك فأمضى ذلك في بقية ولايته»[1]، كما أنه لم يعف تلك الأراضي الخراجية التي صارت بأيدي المسلمين بشكل أو بآخر من دفع الخراج عنها، وبالتالي دفع العشر عما تنتج، فيروي عن ميمون بن مهران قال: «سألت عمر بن عبدالعزيز: العربي ـ أو قال: المسلم ـ تكون في يده أرض خراج فيطلب منه العشر. فيقول: إنما على الخراج؟ فقال: الخراج على الأرض، والعشر على الحب»[2]، قال يحيى بن آدم: «وسألت شريكاً عن المسلم يكون له أرض خراج فيؤدي خراجها: أعليه أن يزكي ما حصل له من الثمرة بعد الخراج؟ قال: نعم إذا بلغ خمسة أوسق. ثم قال: حدثني عمرو بن ميمون بن مهران عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال ذلك أو أمر به، قال شريك: لعل عمر لا يكون قال هذا حتى سأل عنه أو بلغه فيه فإنه كان ممن يقتدى به»[3].

وبهذا أصبح المسلمون الذين يمتلكون أراضي خراجية يدفعون فوق الخراج المقرر على الأرض زكاة ما تخرج هذه الأرض. ويؤيد هذا ما روى عن ابن أبي عبلة العقيلي قال: كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عبدالله بن عوف ـ أو ابن عوف شك أبو عبيد ـ عامله على فلسطين. فيمن كانت بيده أرض بجزيتها من المسلمين أن يقبض منها جزيتها، ثم يؤخذ منها زكاة ما بقي بعد الجزية قال ابن أبي عبلة: أنا ابتليت بذلك ومني أخذ»[4].

أما الصنف الثاني وما كان يترتب على اعتناق الذمي للإسلام وانتقال أرضه معه، فقد عالج عمر هذا النوع بأن أرسل إلى عماله يقول: «من أسلم من أهل الأرض فله ما أسلم عليه من أهل أو مال. فأما داره وأرضه فإنها كائنة

---

(١) عبدالقادر بدران (ت ١٣٤٦هـ): **تهذيب تاريخ دمشق الكبير**، (ط. بيروت)، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ١/ ١٨٥.

(٢) أبو عبيد: **الأموال**، ص ١١٤؛ وانظر أيضاً يحيى بن آدم: **الخراج**، ص ١٦٠ ـ ١٦١.

(٣) **الخراج**، ص ١٦١.

(٤) أبو عبيد: **الأموال**، ص ١١٤.

في فيء الله عز وجل على المسلمين»[1]، وقد أوضح سبب هذا في رسالته الموجهة إلى عامله على الكوفة، وكان قد «طلب أناس من أهل السواد إلى عبدالحميد، فكتب لهم إلى عمر بن عبدالعزيز في أرضين في أيديهم، أن يرفع عنها الجزية، ويضع عليها الصدقة. فكتب إليه عمر: أما بعد، فإني لا أعلم شيئاً هو أنفع لنائبة المسلمين، ومادتهم من هذه الأرض التي جعلها الله فيئاً لهم، فانظر من كان منهم له بها أرض أو مسكن، فأجر على كل جدول منها ما كان يجري قبل ذلك، ومن لم يكن له بها أرض ومسكن فارددها إلى أهلها»[2].

وبهذا حافظ عمر بن عبدالعزيز على الأرض الخراجية من الضياع بهذين الإجرائين، وحفظ بها فيء المسلمين لعامتهم أجمعين[3]، مما ترتب على ذلك منع تجميع الأطيان في أيدي أشخاص بذواتهم.

ولم تقتصر إصلاحات عمر بالنسبة للأرض الخراجية على ما سبق، وإنما حث عماله على الاهتمام بعمارتها، وقد أوضح لهم بعض الأساليب التي تساعد على تنمية الزراعة فيها، كما ذكر لهم الأساليب التي يجب عليهم اتباعها في جمع الخراج، وأمرهم بالتزام العدل فيها، بحيث لا تحمل الخربة على الأرض العامرة دونما نظر إلى ما قد يسببه ذلك من نقص في إيراد بيت المال، وجه عمر إلى أحد عماله رسالة جاء فيها: «أن أنظر الأرض ولا تحمل خراباً على عامر، ولا عامراً على خراب، وانظر الخراب فإن أطاق شيئاً، فخذ منه ما أطاق، وأصلحه حتى يعمر، ولا تأخذ من عامر لا يعتمل شيئاً، وما أجدب من العامر من الخراج فخذه في رفق وتسكين لأهل الأرض. وآمرك أن لا تأخذ في الخراج إلا وزن سبعة ليس فيها تبر ولا أجور الضرابين...»[4].

---

(١) يحيى بن آدم: الخراج، ص ٤٧، ٥٨.
(٢) المصدر السابق، ص ٥٨ ـ ٥٩.
(٣) كما فعل جده عمر بن الخطاب من قبل، انظر مثلاً المصدر السابق، ص ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٣.
(٤) أبو يوسف: الخراج، ص ٩٣.

ويبدو أنه أمر لأهل الذمة بمساعدات مالية تساعدهم على الزراعة، فكتب إلى عامله على الكوفة عبدالحميد بن زيد بن عبدالرحمن بن عمر بن الخطاب الذي كان قد أخبره بوجود فائض لديه في بيت المال يأمره بقوله: «قو أهل الذمة، فإنا لا نريدهم لسنة ولا لسنتين»[1].

ومن الجدير بالذكر أن عمر بن عبدالعزيز مع تضييقه على المسلمين من اقتناء الأراضي الخراجية، منعاً لتقلصها حفاظاً على فيء المسلمين، إلا أنه شجعهم على امتلاك الأراضي، وزراعتها بطرق متعددة نذكر منها:

أولاً: تلك الأراضي التي ينحسر عنها الماء، سواء بتدخل الناس، أو نتيجة لاختلاف منسوب الماء في الأنهار، فقد ذكر أن عمر بن عبدالعزيز قال: «من غلب الماء على شيء فهو له»[2].

ثانياً: إباحته الجزائر للناس، إذ يروى عن أبي المليح أنه قال: «كتب عمر بن عبدالعزيز بإباحة الجزائر وقال: إنما هو شيء أنبته الله فليس أحد أحق به من أحد»[3].

ثالثاً: أمره عماله أن يجروا للناس ما أحيوه، قال رزيق بن حكيم: قرأت كتاب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي أن أجر لهم ما أحيوا ببنيان أو حرث»[4].

رابعاً: تشجيعهم زراعة أراضي الصوافي المعطلة، ولهذا كتب إلى عماله يقول: «انظر ما قبلكم من أرض الصافية فاعطوها بالمزارعة بالنصف، وما لم تزرع فاعطوها بالثلث، فإن لم تزرع فأعطوها حتى تبلغ العشر، فإن لم يزرعها أحد فامنحها، فإن لم يزرع فأنفق عليها من بيت مال المسلمين، ولا تبتزن قبلك أرضاً»[5].

---

(١) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٨.
(٢) يحيى بن آدم: **الخراج**، ص ٨٨.
(٣) ابن سعد: **الطبقات ٥/٣٧٦**.
(٤) يحيى بن آدم: **الخراج**، ص ٨٨.
(٥) المصدر السابق، ص ٥٩.

ولمساعدة الناس على الزراعة والحياة في الأماكن الزراعية سمح لهم بحفر الآبار والأنهار، فمثلاً، عند ما كتب إليه عامله على البصرة عدي بن أرطأة يستأذنه بحفر نهر للناس فيها، وكذلك أمر الناس من أهلها أن يكتبوا له في هذا الصدد فكتب إليه وكيع بن أبي سعود التميمي يقول: انك ان لم تحفر لنا نهراً فليست البصرة لنا بدار، أرسل عمر إلى عامله عدي بإذنه في حفر النهر فحفر نهراً سمي بنهر عدي[1].

وهكذا استطاع عمر بسياسته الحكيمة المحافظة على الأراضي الخراجية، وعمارتها من جهة، ثم زيادة رقعة الأراضي المزروعة من جهة ثانية، وبذلك ازدادت واردات بيت المال.

(ج) الغاء رسم عبور الجسور:

وفي مجال آخر، عمل عمر على أن يخفف عن الناس بعض الأعباء المالية التي فرضت عليهم بغير حق، ومن ذلك أنه كانت قد جرت العادة في الدولة الأموية أن تجبى رسوم من كل من يعبر أحد الجسور المقامة في الأمصار، ولم يكن عمر راضياً عن ذلك ولا موافقاً عليه، فلما استخلف أبطل جباية هذا الرسم، روى ابن سعد عن يزيد بن الأصم أنه قال: «كنت جالساً عند سليمان بن عبدالملك فجاء رجل يقال له أيوب، وكان على جسر منبج[2]، يحمل مالاً مما يؤخذ على الجسر، فقال عمر بن عبدالعزيز: هذا رجل مترف يحمل مال سوء! فلما قدم عمر (يعني استخلف) خلى سبل الناس من الجسور والمعابر»[3].

(د) عمر والعطاء:

روى أبو يوسف عن عمر بن ذر قال: «لم تكن همة عمر بن عبدالعزيز إلا رد المظالم والقسم في الناس»[4]، لقد نظر عمر إلى الرعية المسلمة على أنهم

---

(١) البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ٣٦٣.
(٢) منبج: مدينة واسعة بينها وبين حلب عشرة فراسخ؛ ياقوت: **معجم البلدان**. ٥/٢٠٦.
(٣) **الطبقات** ٥/٣٧٨.
(٤) **الخراج**، ص ١٧.

سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، فالتقوى هي أساس التفاضل، فقط بين أصناف الناس التي يتألف منها المجتمع الإسلامي، ولهذا لم يسمح لأحد بتفضيل مسلمي مصر على مصر آخر، روى أبو زرعة الدمشقي أن عثمان بن سعد العذري ذكر أهل العراق عند عمر بن عبدالعزيز فقال عمر: لا تفرقوا بين الناس[1]، ولهذا أصدر أمره بالتسوية بينهم في العطاء، قال عمرو بن عثمان: «حضرت قسمتين قسمهما عمر بن عبدالعزيز على جميع الناس كلهم سوى بينهم»[2]، ويورد ابن سعد رواية أخرى تفصل هذه المساواة وتبينها بوضوح فيقول: «إن عمر بن عبدالعزيز جعل العرب والموالي في الرزق والكسوة والمعونة والعطاء سواء، غير أنه جعل فريضة المولى المعتق خمسة وعشرين ديناراً»[3]، ويؤيد هذا ما قاله إسماعيل بن سالم: «أتانا كتاب عمر بن عبدالعزيز ونحن بهراة[4] في صدقة كان أمر بها، فكتب أن اجعلوها في العرب والموالي أولى العتاقة»[5].

وبهذا أمات عمر بن عبدالعزيز تلك البدعة التي ابتدعها الخلفاء الأمويون وهي تفضيل العرب على الموالى بالعطاء، وحرمان الموالى منه ودليل هذا التفضيل ما تبينه لنا الرواية التالية التي تقول: «أن الجراح بن عبدالله والى عمر على خراسان أوفد وفداً (إلى عمر بن عبدالعزيز)؛ رجلين من العرب، ورجلاً من الموالى من بني ضبة، يكنى أبا الصيداء واسمه صالح بن طريف، كان فاضلاً في دينه. وقال بعضهم: المولى سعيد أخو خالد أو يزيد النحوي، فتكلم العربيان والآخر جالس، فقال له عمر: أما أنت من الوفد؟ قال: بلى، قال: فما يمنعك من الكلام! قال: يا أمير المؤمنين، عشرون ألفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج»[6].

---

(١) **تاريخ** ٣٨٦/١.
(٢) ابن سعد: **الطبقات** ٣٤٥/٥.
(٣) المصدر السابق ٣٧٥/٥.
(٤) هراة: مدينة عظيمة بخراسان؛ ياقوت: **معجم البلدان** ٣٩٦/٥.
(٥) أبو عبيد: **الأموال**، ص ٣٠٠ ــ ٣٠١.
(٦) الطبري: **تاريخ** ٥٥٩/٦.

كما أن عمر فرض لرجال ألفين ألفين شرف العطاء[1]، هذا بالإضافة إلى أنه كان يأمر عماله بإخراج العطاء للناس كل في مصره، فإن كان خراجهم لا يسد عطاءهم أرسل هو المال إليهم ليستوعب كل الناس في ذلك المصر، وقد روى الطبري في هذا الصدد: «وكتب إلى عقبة بن زرعة الطائي وكان قد ولاه الخراج بعد القشيري . . . ليس من ثغور المسلمين ثغر أهم إلي، ولا أعظم من ثغر خراسان، فاستوعب الخراج، وأحرزه في غير ظلم، فإن يك كفافاً لأعطياتهم فسبيل ذلك، وإلا فاكتب إليّ حتى أحمل إليك الأموال، فتوفر لهم أعطياتهم قال: فقدم عقبة فوجد خراجهم يفضل عن أعطياتهم، فكتب إلى عمر فأعلمه، فكتب إليه عمر: أن أقسم الفضل في أهل الحاجة»[2].

وإذا كان عمر قد اتبع منهج الخلفاء الراشدين في المساواة بين الناس في العطاء، فإن أبا عبيد قد ذكر في هذا الصدد عنه أنه كتب إلى يزيد بن الحصين يقول: «مر للجند بالفريضة: وعليك بأهل الحاضرة وإياك والأعراب، فإنهم لا يحضرون محاضر المسلمين، ولا يشهدون مشاهدهم»[3]، وقد فسر أبو عبيد هذا فقال: «ليس وجه هذا عندنا أن يكونوا لم يروا لهم في الفيء حقاً ولكنهم أرادوا أن لا فريضة لهم راتبة تجري عليهم من المال فأهل الحاضرة الذين يجامعون المسلمين على أمورهم، ويعينونهم على عدوهم بأبدانهم أو بأموالهم، أو بتكثير سوادهم بأنفسهم، وهم مع هذا أهل المعرفة بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمعونة على إقامة الحدود، وحضور الأعياد والجمع وتعليم الخير، فكل هذه الخلال قد خص الله بها أهل الحاضرة دون غيرهم: فلهذا نرى أنهم آثروهم الأعطية الجارية دون من سواهم»[4]، وواضح من النص أن ثمة فروقاً بين ما كان يعطى لأهل البادية وما كان يعطى لأهل الحضر، ولكن ذلك لم يكن جزافاً بل رتبة عمر على الأسباب التي أوردها

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٤٦.

(٢) **تاريخ** ٦/٥٦٨ ـ ٥٦٩.

(٣) **الأموال**، ص ٢٩٠.

(٤) المصدر السابق، ٢٩١.

أبو عبيد، فكأن العطاء في نظر عمر إذا كان أساسه المساواة فرضاً، فإن الفرق في التبعات والالتزامات كان لها دخل في قيمة العطاء، وهذا لا يقلل من مبدأ المساواة في شيء، لأن هنا عنصر العدالة يساوي الذي اتبعه في توزيع العطاء ويتناظر مع مبدأ المساواة الذي اتبعه فرضاً وأصلاً في توزيع العطاء.

وقد عمل عمر بن عبدالعزيز على أن يوصل العطاء لأهله متخطياً لكل الذرائع التي قد تكون سبباً لمنع وصول العطاء لذويه، فيروي أبو عبيد، أن عمر بن عبدالعزيز كان إذا استوجب الرجل عطاءه ثم مات أعطاه لورثته[1]، كما يورد رواية ثانية عن كتاب عمر لأحد ولاته يفصل هذا فيقول: «انظر في أهل الدواوين ممن كان عمل على عطائه سنة كاملة وغرم ما نابه من الحمائل، أو قال: الجعائل... وأجزأ بعوثه، ثم يقبض بعدما يؤمر للناس بأعطياتهم، فمر لأهله بعطائه حقاً واجباً، وانظر من كان اكتتب في شيء من البعوث فخرج له عطاؤه، فتجهز به ثم أدركه أجله، فلا تغرموا أهله شيئاً، إنما أخذ حقه»[2].

كما كتب إلى عامله على المدينة «من كان غائباً قريب الغيبة فاعط أهل ديوانه، ومن كان منقطع الغيبة فاعزل عطاءه إلى أن يقدم، أو يأتي نعيه، أو يوكل عندك بوكالة بينة على حياته. فادفعه إلى وكيله»[3].

ولم يترك عمر المسجونين دون عطاء، فيقول ابن حزم: «كنا نخرج ديوان أهل السجون فيخرجون إلى أعطيتهم بكتاب عمر بن عبدالعزيز»[4].

كما لم ينس عمر بن عبدالعزيز أبناء المقاتلين الذين وقعوا في أسر العدو في القسطنطينية من العطاء، وأرسل إلى هؤلاء الأسرى يخبرهم بذلك فقال: «أما بعد، فانكم تعدون أنفسكم أسارى، معاذ الله! بل أنتم الحبساء في سبيل الله، واعلموا أني لست أقسم شيئاً بين رعيتي إلا خصصت أهليكم بأوفر نصيب

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٣١ ــ ٣٣٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٣٢.
(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٤٨.
(٤) المصدر السابق ٥/٣٤٨.

وأطيبه! وإني قد بعثت إليكم خمسة دنانير خمسة دنانير، ولولا أني خشيت أن زدتكم أن يحبسه طاغية الروم عنكم لزدتكم! . . .»[1].

وقد حبس عمر العطاء عن التجار، فقد ورد كتاب عمر لأحد ولاته يقول: «افرض للناس إلا التجار»[2]، وكانت له وجهة نظر أوضحتها رواية ربيعة بن عطاء بن يعقوب مولى ابن سباع الخزاعي الذي قال: «جلست إلى سليمان بن يسار فذكرت له كتاب أبي بكر بن حزم الذي جاءه، من عمر بن عبدالعزيز أن لا يفرض لتاجر فقال: أصاب عمر، التاجر مشغول بتجارته عما يصلح المسلمين»[3].

كما منع الناس من الأخذ لموتاهم، وأمرهم برفع كل مولود ليفرض له، وقد روى ابن سعد عن سعيد بن مسلم بن بانك في هذا الصدد أنه قال: «سمعت عمر بن عبدالعزيز يقول وهو خليفة: أنه لا يحل لكم أن تأخذوا لموتاكم فارفعوهم إلينا، واكتبوا لنا كل منفوس نفوض له»[4].

كما أبطل عادة أسنها معاوية بن أبي سفيان برفع المنفوس من العطاء والفرض للفطيم، قال أبو عبيد: «كان الناس في زمن عمر بن الخطاب إذا ولد المولود، فرض له في عشرة، فإذا بلغ أن يفترض ألحق به. فلما كان معاوية أفرد المولود، وجعل ذلك للفطيم. فلم يزل كذلك حتى قطع عمر بن عبدالعزيز ذلك كله إلا لمن شاء»[5]، ويؤيد هذا رواية ابن سعد عن محمد بن عمر الذي قال: «ذهبت بي حاضنتي إلى أبي بكر بن حزم فوضع في يدي ديناراً وأنا منفوس، وولدت سنة المائة، ثم كان قابل فأعطينا ديناراً آخر، فكانا دينارين»[6]، كما فرض للفطيم عشرة دنانير[7].

---

(١) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٤٠.
(٢) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٤٥ ـ ٣٤٦.
(٣) المصدر السابق ٥/٣٤٦.
(٤) المصدر السابق ٥/٣٤٦.
(٥) **الأموال**، ص ٣٠٦.
(٦) **الطبقات** ٥/٣٤٦.
(٧) المصدر السابق ٥/٣٤٧.

وجعل سن التدوين في ديوان الفريضة خمس عشرة سنة، فقد ذكر ابن سعد عن نافع عن ابن عمر قال: «عرضني رسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني، فلما كان يوم الخندق عرضني وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني قال نافع: فقدمت على عمر بن عبدالعزيز وهو يومئذ خليفة فحدثته بهذا الحديث فقال: إن هذا الحد بين الكبير والصغير. وكتب إلى عماله أن يفرضوا لابن خمس عشرة، ويلحقوا ما دون ذلك في العيال»[1].

كما أرسل إلي من حبس عطاؤه من العلماء ليرجعه إليه فكتب إلى ابن سيرين والحسن البصري يقول: «أرد عليكما ما حبس عنكما من أعطيتكما، فقال ابن سيرين: إن فعل ذلك بأهل البصرة فعلت، وأما غير ذلك فلا. فكتب عمر: إن المال لا يسع. قال وقبل الحسن»[2].

(هـ) عمر والأسرى:

أما بالنسبة للأسرى من المشركين فقد جاء بشأنهم في الحكم الشرعي ما قاله أبو عبيد في كتابه الأموال: «وقد رخص بعضهم في مفاداة نساء المشركين بالمال وكلهم يرى أن يفادىٰ الرجال والنساء بعضهم ببعض»[3].

وهذا ما ذهب إليه عمر بن عبدالعزيز الذي كان يكره قتل الأسرى، ويرى أن يسترقوا، أو يعتقوا[4]، ولهذا كان يقبل بفداء الأسرى من المشركين وغيرهم مقابل المال ما دام ذلك في مصلحة المسلمين، فيروي ابن سعد أن عمر جيء إليه بأسير أسره مسلمة بن عبدالملك، وأن أهله طلبوا أن يفتدوه بمائة مثقال فرضى عمر، ورده إليهم، وفداه بمائة مثقال[5].

---

(١) المصدر السابق ٥/٣٥٠.
(٢) المصدر السابق ٥/٣٤٨.
(٣) **الأموال**، ص ١٦٥.
(٤) **الطبقات** ٥/٣٥٤.
(٥) المصدر السابق ٥/٣٥٤.

ويروي ابن سعد أيضاً عن يزيد بن بشر عن أبيه أنه قال: «أصاب المسلمون في غزوهم الصائفة غلاماً من أبناء الروم صغيراً، فبعث أهله في فدائه، فشاور فيه عمر فاختلفوا عليه فقال: ما عليكم أن نفديه صغيراً ولعل الله أن يمكن منه كبيراً، ففدوه بمال عظيم ثم أخذ أسيراً في آخر خلافة هشام فقتل»[1].

ولم يؤثر عن عمر أنه قتل أحداً من الأسرى سوى أسير خزرى لجرأته وتحديه، يروي أبوعبيد «أن عمر بن عبدالعزيز أتى بأسير من الخزر، فقال عمر: لأقتلنك فقال الأسير إذن لا ينقص من عدد الخزر شيء. فقتله عمر. قال: ولم يقتل أسيراً في خلافته غيره»[2].

أما بالنسبة للأسرى من المسلمين، فقد جاء في الحكم الشرعي في حقهم ما ذكره أبو عبيد «أن ذراريهم ونساءهم مثل رجالهم في الفداء، يحق على الإمام والمسلمين فكاكهم، واستنقاذهم من أيدي المشركين بكل وجه وجدوا إليه سبيلا، إن كان ذلك برجال أو مال، وهو شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم، على المهاجرين والأنصار»[3].

وضمن نطاق هذا التشريع الإسلامي سار عمر بن عبدالعزيز، فيذكر ابن سعد: أن عمر بن عبدالعزيز فدى رجلاً من العدو بمائة ألف درهم[4]، هذا ولم يستثني عمر في افتدائه للأسرى أحداً سواء كان امرأة أو رجلاً أو عبداً أو حتى ذمياً وفي هذا الصدد يروي ابن سعد عن ربيعة ابن عطاء قال: «كتب عمر بن عبدالعزيز معي وبعث بمال إلى ساحل عدن أن أفتدي الرجل والمرأة والعبد والذمي»[5].

---

(١) المصدر السابق ٥/٣٩٤.
(٢) **الأموال**، ص ١٧٦ ـ ١٧٧.
(٣) المصدر السابق، ص ١٦٦.
(٤) **الطبقات** ٥/٣٥٠.
(٥) المصدر السابق ٥/٣٥٣.

وحتى الفارين إلى أراضي العدو طوعاً افتداهم عمر، ذكر أبو عبيد عن صالح بن جبير قال: «إن عمر بن عبدالعزيز أعطى رجلاً مالاً يخرج به لفداء الأسارى. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، إن جنودنا سافروا إلى العدو طوعاً، أفنفتديهم؟ قال: نعم. قال: وعبيداً فروا طوعاً وإماء؟ فقال: افدوهم، قال: ولم يذكر له صنف من الناس من جند المسلمين يومئذ إلا أمر بفدائهم»[1].

هذا وقد خص أسرى القسطنطينية بالمزيد من عنايته، يروي ابن عبدالحكم عن مالك بن أنس، أنه قال: «قدم ابن زرارة على عمر بن عبدالعزيز قال: جئتك من عند قوم أحوج الناس إلى معروفك وصلتك. قال: كلا يا ابن زرارة إلا ما كان من أهل القسطنطينية»[2].

وكان عمر قد كتب إليهم ليطمئنهم على أنه لم ينسهم، بل إنه فرض لأهليهم كما فرض للناس، وأنه بعث إليهم من يفتديهم، بالإضافة إلى مبلغ خمسة دنانير لكل واحد منهم، قال بكر بن خنيس: «كتب عمر إلى الأسارى بالقسطنطينية: أما بعد، فإنكم تعدون أنفسكم أسارى، معاذ الله، بل أنتم الحبساء في سبيل الله، واعلموا أني لست أقسم شيئاً بين رعيتي إلا خصصت أهليكم بأوفر نصيب وأطيبه، وإني قد بعثت إليكم بخمسة دنانير ولولا أني خشيت إن زدتكم أن يحبسه طاغية الروم عنكم لزدتكم، وقد بعثت إليكم فلان بن فلان يفادي صغيركم وكبيركم، وذكركم وأنثاكم، وحاكمكم ومملوككم بما سئل به وأبشروا ثم أبشروا، والسلام عليكم[3].

ومن إصلاحاته المالية أيضاً أنه منع عماله من تقاضي أكثر من راتب واحد لقاء قيامهم بالعمل، ذلك أن عمر قد لاحظ أن بعض عماله يتقاضون من بيت المال رواتبهم المقررة، ثم نصيباً من العطاء، وهذا غير جائز على أساس أن مصدر المال سواء الراتب أو العطاء واحد، وهو بيت المال، وأن ما أجري عليه

(١) الأموال، ص ١٦٩.
(٢) سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص ١٢١.
(٣) المصدر السابق، ص ١٤٠.

راتباً هو لقاء عمل يعيش منه، فالعطاء هنا يصبح زائداً لا مبرر له، ولا يوجد ما يقابله من عمل كي يدفعه بيت المال، ولهذا كتب إلى أحد عماله يقول: «أما بعد، فلا تخرجن لأحد من العمال رزقاً في العامة والخاصة فإنه ليس لأحد أن يأخذ رزقاً من مكانين في الخاصة والعامة، ومن كان أخذ من ذلك شيئاً فاقبضه منه، ثم أرجعه إلى مكانه الذي قبض منه والسلام»[1].

ولو نظرنا إلى هذا الموضوع بنظرة أهل عصرنا هذا لأمكن القول بأن هدف عمر عدم تكون فئة غنية على حساب الفئات الأخرى من الرعية، وبهذا يجري التنافس على الحصول على الوظائف الحكومية، بأية وسيلة لمثل هذا الكسب الكبير ولكي لا تتجمع الأموال في أيدي فئة دون أخرى، وبهذا الإجراء يرد أرزاق هذه الفئة من العطاء على عامة الناس فيرتفع مستواها.

نتائج إصلاحات عمر:

ولا شك في أن هذه الإصلاحات التي قام بها عمر بن عبدالعزيز قد حققت النتائج الطيبة التي انعكس أثرها ـ وعادت بالخير ـ على أفراد المجتمع في الدولة الإسلامية، حيث انتشر بينهم العدل والرخاء والطمأنينة، وخاصة بين الفقراء والمساكين منهم؛ فقد كان عمر يشعر بما يعانونه في حياتهم من عناء لكونهم مستضعفين لا سند لهم يدافع عنهم، ولأن صوتهم قد لا يصل إلى الخليفة، فكان من خطواته الأولى نحو إصلاح أحوالهم، أنه أمر صاحب بيت الضرب بدمشق فقال: «إن من أتاك من فقراء المسلمين بدينار ناقص فأبد له بوازن»[2].

وقال الأوزاعي: «كتب عمر بن عبدالعزيز إلى خزان بيوت الأموال: إذا أتاكم الضعيف بالدينار لا ينفق عنه، فأبدلوه من بيت المال»[3]، وقد أورد الماوردي سبب إقدام عمر على هذا الإجراء أن «عمر بن الخطاب رضي الله عنه

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٧٧.

(٢) المصدر السابق ٥/٣٧٥.

(٣) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٩٠.

قسط الخراج على أهل السواد وما فتح من نواحي المشرق والمغرب ورقاً وعيناً، وكانت الدراهم والدنانير مضروبة على وزن كسرى وقيصر، وكان أهل البلدان يؤدون ما في أيديهم من المال عدداً، ولا ينظرون في فضل بعض الأوزان على بعض، ثم فسد الناس فصار أرباب الخراج يؤدون الطبرية التي هي أربعة دوانق، وتمسكوا بالوافي الذي وزنه وزن المثقال، فلما ولي زياد العراق طالب بأداء الوافي وألزمهم الكسور، وجار فيه عمال بني أمية، إلى أن ولي عبدالملك بن مروان، فنظر بين الوزنين، وقدر وزن الدراهم على نصف وخمس المثقال وترك المثقال على حاله، ثم إن الحجاج من بعده أعاد المطالبة بالكسور حتى أسقطها عمر بن عبدالعزيز» وواضح من ظاهر النصين أن عمر قد اختص الفقراء دون سواهم في عملية استبدال النقود الناقصة الوزن بأخرى سليمة الوزن، ولكنه لا يعقل أن شخصاً مثله بورعه وعدله والتزامه بالكتاب والسنة يخص فئة دون أخرى من الأمة الإسلامية بتعويضها عن الناقص في أوزان أموالها، ولكن الأقرب إلى العقل أن ذلك الأمر كان عاماً لكل الناس، ولكن تخصيص الفقراء جاء نتيجة لعلمه وخبرته بأن وقوع النقود الناقصة الوزن في يد الفقراء يتم نتيجة لجهل أفرادها من ناحية بأوزان النقود لقلة تعاملهم بها، ثم لأنهم باستمرار وبكل زمان يكونون ضحايا الجشعين من الأغنياء في مثل هذه الأمور، وفوق ذلك فإن فروق الوزن في دينار يمتلكه فقير يؤثر على حياته أكثر ما يؤثره ذلك على حياة الغني، من ذلك كان التخصيص.

وكان اهتمام عمر بالفقراء شاملاً جميع أمصار الدولة، ولذلك أمر صاحب البريد أن يحمل رسائل عامة الناس إليه، بالإضافة إلى رسائل عماله ليتمكن أولئك الفقراء من إيصال شكاواهم إلى أمير المؤمنين. قال ابن عبدالحكم: «وكان بريد عمر بن عبدالعزيز لا يعطيه أحد من الناس إذا خرج كتاباً إلا حمله، فخرج بريد من مصر فدفعت إليه فرتونة السوداء، مولاة ذي أصبح كتاباً تذكر فيه أن حائطاً لها قصيراً، وأنه يقتحم عليها فيه فيسرق دجاجها فكتب:

---

(١) الأحكام السلطانية، ص ٨٠ ـ ٨١.

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح، بلغني كتابك وما ذكرت من قصر حائطك، وأنه يدخل عليك فيه فيسرق دجاجك، فقد كتبت لك كتاباً إلى أيوب بن شرحبيل ـ وكان أيوب عامله على صلاة مصر وحربها ـ آمره أن يبني لك ذلك حتى يحصنه لك مما تخافين إن شاء الله، والسلام.

وكتب إلى أيوب بن شرحبيل: من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى ابن شرحبيل، أما بعد، فإن فرتونة مولاة ذي أصبح كتبت إلي تذكر قصر حائطها، وأنه يسرق منه دجاجها، وتسأل تحصينه لها. فإذا جاءك كتابي هذا فاركب أنت بنفسك إليه حتى تحصنه لها. فلما جاء الكتاب إلى أيوب ركب ببدنة حتى أتى الجيزة[1] يسأل عن فرتونة، حتى وقع عليها، وإذا هي سوداء مسكينة، فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين، وحصنه لها»[2].

وقد ضرب عمر بذلك مثلاً في دقة الإجراءات، وإشعار الناس بمدى اهتمام الخليفة بشؤونهم الخاصة بطمأنتهم مباشرة بواسطة الرسائل الجوابية إليهم، ومن جهة أخرى فإن حمل عامله مسؤولية الذهاب بشخصه والإشراف على تنفيذ أمر الخليفة ليكون مثلاً أمام الناس بأن عين عمر معهم عن طريق عماله. وبهذا تحقق لعمر هدفه، وهو: إيصال صوت الفقراء في الأمصار إليه، فيأخذ لكل ذي حق حقه، وبذلك يتحرك جهاز الدولة ليؤدي دوره في خدمة كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية، ولا غرابة في اهتمام عمر بالفقراء، ذلك أن جده ومثله الأعلى عمر ابن الخطاب كان هو الآخر يهتم بالفقراء وقصصه معهم كثيرة ومشهورة.

ولم يقتصر عمر بن عبدالعزيز في رعايته للفقراء على النظر في شكاواهم، والتحقيق فيما يرفعون إليه من ظلامات، أو شكاوى، وإنما كان يجعل لهم من تفكيره في كل ما يعرض عليه أو يفكر فيه جانباً كبيراً، فمثلاً، عمل على تمكينهم من الحج كي يؤدوا الركن الخامس من أركان الإسلام، مثل القادرين من

---

(١) الجيزة: بليدة في غربي فسطاط مصر. ياقوت: **معجم البلدان ٢/ ٢٠٠**.
(٢) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٦ ـ ٥٧.

المسلمين، كتب إلى عامله على الكوفة يقول: «. . . وانظر من أراد من الذرية أن يحج، فعجل له مائة يحج بها، والسلام»[1].

كما أرسل إلى عامله على اليمن يقول: «أقعد على طريق الحاج قوماً ترضاهم وترضى دينهم وأمانتهم يقوون الضعيف، ويغنون الفقير»[2].

وهذا دليل على أن أمره لم يكن يخص بلداً دون بلد، وإنما عممه على سائر البلدان ليشمل كل فقراء المسلمين.

على أنه ـ وهو الفقيه المحدث ـ كان يلتزم بمبدأ الأولويات في النفقة ويجعل لفقراء الأمة أسبقية على ما عداهم من أبواب نفقة يمكن إرجاؤها أو الاستغناء عنها. من ذلك ما رواه ابن الجوزي عن ميسر بن أبي الفرات قال: «كتبت الحجبة إلى عمر بن عبدالعزيز أن يأمر للبيت بكسوة كما كان يفعل من كان قبله، فكتب إليهم: إني رأيت أن أجعل ذلك في أكباد جائعة، فإنه أولى بذلك من البيت»[3].

ومن ذلك أيضاً أنه كان «إذا كثر عنده أرقاء الخمس فرقه بين كل مقعدين وبين كل زمنين غلاماً يخدمهما، ولكل أعمى غلاماً يقوده»[4]، هذا إلى جانب دور الطعام والخانات التي ذكرتها آنفاً.

ولا شك أن عمر بن عبدالعزيز في هذا الموقف وأشباهه كان يتصرف بحكم الوازع الديني، وأداء للأمانة على خير وجه، وبذلك حظي الفقراء على عهده بنصيب وافر من اهتمامه واهتمام عماله، فتحسن حالهم حتى كانت الصدقات لا تجد من يأخذها.

قال يحيى بن سعيد الأنصاري: «بعثني عمر بن عبدالعزيز على صدقات

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٦.
(٢) المصدر السابق، ص ٥٦.
(٣) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٧٦.
(٤) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٤٨.

افريقية فاقتضيتها. وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيراً ولم نجد من يأخذها مني. قد أغنى عمر الناس فاشتريت بها رقاباً فأعتقتهم وولاؤهم للمسلمين»[1].

وهذا سليمان بن داود الخولاني يقول: إن «عبدة بن أبي لبابة بعث معه بخمسين ومائة درهم، فأمره أن يفرقها في فقراء الأنصار قال: فأتيت عبدالعزيز بن سلمة الماجشون، فسألته عنهم، فقال: والله ما أعلم أن فيهم محتاجاً، لقد أغناهم عمر بن عبدالعزيز، فزع إليهم حين ولي فلم يترك فيهم أحداً إلا ألحقه»[2] أي ألحقه بالديوان.

وقال عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب: «إنما ولي عمر بن عبدالعزيز سنتين ونصفاً، ثلاثين شهراً، لا والله ما مات عمر حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم، فيقول إجعلوا هذا حيث ترون للفقراء... فلا يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيهم فلا يجده... فيرجع بماله قد أغنى عمر بن عبدالعزيز الناس»[3].

ويذكر الليث بن سعد: «أن عمر بن عبدالعزيز قدم عليه بعض أهل المدينة، فجعل يسأله عن أهل المدينة. فقال: ما فعل المساكين الذين كانوا يجلسون في مكان كذا وكذا؟. قال: قد قاموا منه يا أمير المؤمنين... وأغناهم الله، وكان من أولئك المساكين من يبيع كبب الخيط للمسافرين، فالتمس ذلك منهم بعد فقالوا: قد أغنانا الله عن بيعه بما يعطينا عمر...»[4].

□ □ □

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٩.

(٢) أبو زرعة الدمشقي: **تاريخ** ٥٠٢/١؛ وانظر ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣ / ورقة ١٤٦/ب.

(٣) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣ / ورقة ١٤٧ أ؛ وانظر البسوي: **المعرفة والتاريخ** ٥٨٧/١؛ وابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٧٦.

(٤) البسوي: **المعرفة والتاريخ** ٥٨١/١؛ وابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٧٦ ــ ٧٧.



المبحث الرابع

دوره في نشر الإســلام

تمهيــد:

لم يكن عمر بن عبدالعزيز أقل رغبة ممن سبقه من خلفاء بني أمية في نشر الإسلام، ولكنه بطبيعته المتدينة المتفقهة الملتزمة بالكتاب والسنة، كـان يختلف عن غيره من خلفاء بني أمية في نشر الإسلام، ذلك أنه كان يتحرك بدوافع ذات جذورعقديه خالصة، تتصل أساساً فيما سبق أن ذكرناه عن شخصيته من حيث إصراره على الالتزام بالكتاب والسنة، ومن حيث خشيته من الله سبحانـه وتعالى. في كل ما يفعل، وإيماناً منه بمسؤولية كراع في رعيته، وانطلاقاً من هذا، فقد أخذ ينظر إلى من في الثغور الإسلامية من جند المسلمين ويدقق في أحوالهم القتالية والمعيشية قبل أن يتخذ الإجراء المطلوب. لقد أوردت المصادر المعتمدة بأن عمر بن عبدالعزيز كتب «إلى عبدالرحمن بن نعيم يأمره بإقفال من وراء النهر[١] من المسلمين بذراريهم. قال: فأبوا وقالوا: لا يسعنا مرو[٢] فكتب إلى عمر بذلك، فكتب إليه عمـر: اللهم إني قضيت الذي علـي، فلا تغـزو بالمسلمين، فحسبهم الذي قد فتح الله عليهم»[٣].

---

(١) ما وراء النهر يراد به ما وراء نهر جيجون بخراسان فما كان في شرقيه يقال له بلاد الهياطلة وفي الإسلام سموه ما وراء النهر، وما كان في غربيه فهو خراسان وولاية خوارزم ليست من خراسان وإنما هي اقليم برأسه، ياقوت: معجم البلدان ٥/٤٥.

(٢) مرو: هي أشهر مدن خراسان وقصبتها، المصدر السابق ٥/١١٢.

(٣) **تاريخ ٦/٥٦٨.**

وهذا النص يؤكد على مدى حرص عمر بن عبدالعزيز على الرعية فهو لم يغفل أمر جنده حيث كانوا على حدود الدولة يخفف عنهم بعض ما يواجهون من متاعب نتيجة للظروف التي كانوا يواجهونها، سواء كانت طبيعية، أي من فعل عوامل الطبيعة أو نتيجة لاشتداد مقاومة أعداء الإسلام، وكأنما أراد أن يقوم بترتيب بيته من الداخل قبل أن يبدأ بأي محاولة لعرض الإسلام على أهل دار الحرب، من حول الدولة الإسلامية، ففي الشمال مثلاً كان للدولة الأموية منذ عهد سليمان بن عبدالملك جيش يحاول اقتحام أسوار القسطنطينية، وبلغ من سوء حاله درجة لم يجد عمر بن عبدالعزيز بدٌ من أن يسحبه حفاظاً على أرواح جنود المسلمين، وكان أول عمل قام به فور انتهائه من دفن سليمان بن عبدالملك «أن دعا بدواة وقرطاس، فكتب بيده ثلاثة كتب لم يسعه فيما بينه وبين الله عز وجل أن يؤخرها، فأمضاها من فوره، فأخذ الناس في كتابته إياها هنالك في همزة يقولون: ما هذه العجلة؟ أما كان يصبر إلى أن يرجع إلى منزله؟ هذا حب السلطان. هذا الذي يكره ما دخل فيه، ولم يكن بعمر عجلة ولا محبة لما صار إليه، ولكنه حاسب نفسه، ورأى أن تأخير ذلك لا يسعه:

كتب بقفل مسلمة بن عبدالملك من القسطنطينية، وقد كان سليمان أغزاه إياها براً وبحراً، وأشفى على فتحها، ثم خدع عنها حتى أحرزوا طعامهم، وحوائجهم، ثم أغلقوها دونه بعد الإشفاء عليها، فبلغ ذلك سليمان، فغضب مما فعل به فحلف أن لا يقفله منها ما دام حياً، فاشتد عليهم المقام، وجاعوا حتى أكلوا الدواب من الجهد والجوع، حتى ينتحي الرجل عن دابته، فتقطع بالسيوف، فبلغ رأس الدابة كذا وكذا درهماً. ولج سليمان في أمرهم. فكان ذلك يغم عمر فلما ولى رأى أنه لا يسعه فيما بينه وبين الله عز وجل أن يلي شيئاً من أمور المسلمين ثم يؤخر قفلهم ساعة، فذلك الذي حمله على تعجيل الكتاب»[1]، كما أرسل إليهم الطعام الكثير والخيول العتاق التي بلغت خمسمائة

(١) ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص ٣١ ــ ٣٢.

فرس وحث الناس على مساعدتهم[1].

وبعد سحبه هـذا الجيش، أخذ عمـر يرتب استعـداداً لأي طارىء عسكري، فقد كان يعلم مدى تلهف الروم وغيرهم على الانتقام من المسلمين، ولذلك اهتم بترتيب أمر الثغور من حيث العناية بها وتجديدها وتزويدها بما تحتاجه من المرابطين والمجاهدين، من ذلك ما يرويه لنـا البلاذري فيقـول: «وشخص عمر بن عبدالعزيز حتى نزل قرىٰ المصيصة[2]، وأراد هدمها وهدم الحصون بينها وبين إنطاكية[3]، وقال: أكره أن يحاصر الروم أهلها، فأعلمه الناس أنها إنما عمرت ليدفع من بها من الروم عن أنطاكية، وأنه ان أخر بها لم يكن للعدو ناحية دون أنطاكية، فأمسك وبنى لأهلها مسجداً من ناحية كفربيا[4] واتخذ فيه صهريجاً، وكان اسمه عليه مكتوباً»[5].

أما طرندة[6]، فنظراً لتوغلها في أرض الروم، كانت تأتيها صيفاً طالعة من جند الجزيرة فيمكثون بها إلى حلول الشتاء، وتساقط الثلوج، فإذا كان ذلك قفلوا، فلما تولى عمـر رحل أهلهـا عنها وهم كـارهون لـذلك، لاشفـاقه عليهم من العدو، فحملوا معهم كل شيء ولم يدعوا للعدو شيئاً يستفيد منه حتى خوابـي الخل والزيت كسروها، ثم أنزلهم عمـر ملطية[7]، وأخـرب

---

(1) الطبري: **تاريخ** ٦/٥٥٣؛ ابن الأثير: **الكامل** ٥/٤٣؛ ابن كثير: **البداية والنهـاية** ٩/١٨٤.

(2) المصيصة: هي مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس؛ ياقوت: **معجم البلدان** ٥/١٤٥.

(3) أنطاكية: هي قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها، المصدر السابق ١/٢٦٦.

(4) كفربيا: هي مدينة بإزاء المصيصة على شاطىء جيحان، نفس المصدر السابق ٤/٤٦٨.

(5) **فتوح البلدان**، ص ١٧٠.

(6) طرندة: كان المسلمون قد نزلوا طرنده بعد أن غزاها عبدالله بن عبدالملك سنة ٨٣هـ وبنوا بها مساكن، وهي من ملطية على ثلاث مراحل داخلية في بلاد الروم وملطية يومئذ خراب، ياقوت: **معجم البلدان** ٤/٣٢.

(7) ملطية: هي بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام، المصدر السابق ٥/١٩٢.

طرنده ثم ولىٰ على ملطية جعونة بن الحارث أحد بني عامر بن صعصعة، وملطية هذه كانت تبعد عن طرنده ثلاث مراحل[1].

أما اللاذقية، فقد أغارت سفن الروم على ساحلها، فهدموا مدينتها وسبوا أهلها، وكان ذلك في سنة مائة للهجرة، في خلافة عمر بن عبدالعزيز، فأمر عمر ببنائها، وتحصينها، ووجه إلى طاغية الروم في فداء من أسر من المسلمين، ولم يمت عمر بن عبدالعزيز حتى حرز مدينة اللاذقية وفرغ منها[2].

بهذه الجهود والأعمال اطمأن عمر إلى سلامة ثغور الدولة الإسلامية فأخذ يعد الشواتي[3] والصوائف[4] لإرسالها إلى دار الحرب وأعداء الإسلام، وهذا يدحض قول من يقول أنه لم يكن أقل من خلفاء بني أمية رغبة في نشر الإسلام، وأنه جرى على نفس سنتهم، فأرسل الشواتي والصوائف على الجهات الشمالية من دار الخلافة.

لم يكن أقل من خلفاء بني أمية رغبة في نشر الإسلام، وأنه جرى على نفس سنتهم، فأرسل الشواتي والصوائف على الجهات الشمالية من دار الخلافة.

ففي سنة مائة للهجرة أغزى عمر بن عبدالعزيز الوليد بن هشام المعيطي، وعمرو بن قيس الكندي من أهل حمص الصائفة[5].

وكتب إلى عامله هناك يقول: «إذا دخلت الصائفة فلا تتركن أحداً يدخل في أثرهم إلا في قوة وجماعة من الرجال والخيل والعدد»[6].

كما أرسل معهم الترياق، ورخص لهم بنصب المنجنيق على الحصون وبالتدخين على العدو[7].

---

(١) البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ١٨٩ ــ ١٩٠؛ وانظر ياقوت: **معجم البلدان** ٤/٣٢.

(٢) البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ١٣٩.

(٣) الشواتي: جمع شاتية وهي الحملة العسكرية التي تخرج للغزو شتاء.

(٤) الصوائف: جمع صائفة، وهي الحملة العسكرية التي تخرج للغزو صيفاً.

(٥) الطبري: **تاريخ** ٦/٥٥٦؛ ابن الأثير: **الكامل** ٥/٥٥؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٨٨.

(٦) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٥٣.

(٧) المصدر السابق ٥/٣٤٢؛ أبو زرعة الدمشقي: **تاريخ** ١/٣٥٣.

ولم تشغل الجهة الشمالية للدولة الإسلامية عمر عن الجهة الشرقية من دولته فقد وجه عامله على خراسان، الجراح بن عبدالله الحكمي، عبدالله بن معمر اليشكري إلى ما وراء النهر، فأوغل في بلاد العدو، وهم بدخول الصين لكن الترك أحاطت به حتى افتدى منهم، وسار إلى الشاش[1]، كما غزا عامله عمرو بن مسلم أخو قتيبة بن مسلم على السند بعض بلاد الهند فظفر[2].

وإذا كان إرسال الجيوش لعرض الإسلام ونشره قد اتفق المؤرخون والكتاب عموماً على إيجابيته بالنسبة لنشر الدعوة، فإن مما لا يقل عن ذلك إيجابية ما بذله عمر بن عبدالعزيز من جهود للحفاظ على بلاد الإسلام، والذود عنها، ورد كل محاولة للاعتداء عليها، وهذه هي الأخرى تحسب لعمر بن عبدالعزيز رداً على من ادعوا أنه أوقف نشر الإسلام عن طريق الغزو، على أن الحفاظ على القائم لا يتم إلا إذا كان لديه من الجند المستعدين للقتال ما يرهب به أعداء الله وأعداء الإسلام، ولا شك أنه لم يغب عن بال عمر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾[1].

ومن جهوده في رد محاولات أعداء الإسلام النيل من الدولة الإسلامية، أنه حدث أن أغار الترك على أذربيجان[4] وقتلوا بعض المسلمين هناك، فوجه عمر إليهم حاتم بن النعمان الباهلي الذي تمكن من رد العدوان ومعاقبة المعتدين ولم يفلت منهم إلا اليسير، حتى أنه أرسل منهم إلى عمر بن عبدالعزيز وهو في خناصرة خمسين أسيراً وكان ذلك في عام تسعة وتسعين للهجرة[5].

---

(١) البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ٤١٥، الشاش: إقليم بما وراء النهر، متاخم لبلاد الترك، ياقوت: **معجم البلدان** ٣/٣٠٩.

(٢) ابن الأثير: **الكامل** ٥/٥٤ ـ ٥٥.

(٣) الآية ٦٠ من سورة الأنفال.

(٤) أذربيجان: حدها من برذعة مشرقاً إلى أرزنجان مغرباً، ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم، والجبل، والطرم، وهو إقليم واسع. ومن مشهور مدائنها تبريز وهي قصبتها وأكبر مدنها، ياقوت: **معجم البلدان** ١/١٢٨.

(٥) الطبري: **تاريخ** ٦/٥٥٣ ـ ٥٥٤؛ اليعقوبي: **تاريخ** ٢/٣٠٢؛ ابن الأثير: **الكامل** ٥/٤٣.

مما سلف يظهر أن عمر بن عبدالعزيز ما تقاعس وما توانى عن محاولاته لنشر الإسلام والدعوة إليه أو درء لأعداء الإسلام ولكنه يتميز عن سائر خلفاء بني أمية أجمعين أنه ما كان يجند رجلاً، ولا يستعمل مقاتلاً إلا إذا اطمأن إلى فقهه في الدين والتزامه بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله عن أصول الدعوة والجهاد في الإسلام، ومعاملة أهل البلاد المفتوحة.

وقد أورد المؤرخون في هذا الصدد كثيراً من الشواهد التي توضح جهود عمر في هذا الصدد ومنها:

ما رواه ابن سعد عن صفوان بن عمرو قال: «جاءنا كتاب عمر بن عبدالعزيز ـ وهو خليفة إلى عامله ـ أن لا تقاتلن حصناً من حصون الروم ولا جماعة من جماعاتهم حتى تدعوهم إلى الإسلام، فإن قبلوا فاكفف عنهم، وإن أبوا فالجزية، وفإن أبو فانبذ إليهم على سواء»[1].

وكان عمر قد أوضح ذلك في رسالته المطولة إلى عماله جاء فيها: «. . . وأما من كان اليوم محارباً فليدع إلى الإسلام قبل أن يقاتل، فإن أسلم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وله ما أسلم عليه من أهل ومال وإن كان من أهل الكتاب فأعطىٰ الجزية وأمسك بيديه فإنا نقبل ذلك منه»[2].

ولو ألقينا نظرة على وصاياه إلى قواد جنده حين يوجههم لقتال الأعداء سنجد فيها تطابقاً كاملاً مع وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده إلى قادة الفتح الإسلامي في الجزيرة العربية والعراق وفارس والشام ومصر، ولا عجب في ذلك، فعهد عمر بن عبدالعزيز هو امتداد لذلك العصر الذهبي في الإسلام[3].

ذلك أنه في عام مائة هجرية «كتب عمر بن عبدالعزيز إلى ملوك السند

---

(١) **الطبقات** ٥/٣٥٥.

(٢) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٧٩.

(٣) انظر هذه الوصايا عند ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٦٩؛ ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز** ص ٧١ ـ ٧٣؛ الطبري: **تاريخ** ٦/٥٧٢.

يدعوهم إلى الإسلام على أن يملكهم بلادهم، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وقد كانت سيرته بلغتهم، فأسلم جيشبه بن ذاهر[1]، والملوك تسموا له بأسماء العرب. . . وبقي ملوك السند مسلمين على بلادهم أيام عمر ويزيد بن عبدالملك. . .»[2].

هذا وقد أورد ابن تغري بردي جواب ملك الهند والسند على رسالة عمر بن عبدالعزيز هذه، فقال: «كتب ملك الهند إلى عمر بن عبدالعزيز من ملك الهند والسند، ملك الأملاك الذي هو ابن ألف ملك وتحته ابنة ألف ملك، والذي في مملكته نهران ينبتان العود والكافور والأكرة التي يوجد ريحها من اثني عشر فرسخاً، والذي في مربطه ألف فيل وتحت يده ألف ملك، إلى ملك العرب:

أما بعد، فإن الله قد هداني إلى الإسلام فابعث إلي رجلاً يعلمني الإسلام والقرآن وشرائع الإسلام، وقد أهديت لك هدية من المسك والعنبر والند والكافور فاقبلها، فإنما أنا أخوك في الإسلام، والسلام»[3].

كما أرسل عمر برسائل إلى ملوك ما وراء النهر يدعوهم فيها إلى الإسلام فأسلم بعضهم[4].

أما أليون قيصر الروم فقد بعث إليه عمر وفداً برئاسة عبدالأعلى بن أبي عمره لدعوته إلى الإسلام[5].

ولم يكتف عمر بهذا، فقد قام بتشجيع غير المسلمين على الدخول في الإسلام عن طريق إعطائهم الأموال لتألفة قلوبهم، وذلك اتباعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيذكر ابن سعد عن «عيسى بن أبي عطاء رجل من أهل

---

(١) في رواية البلاذري أن اسمه هو جليشة بن داهر،راجع: **فتوح البلدان**، ص ٤٢٨.

(٢) ابن الأثير: **الكامل**، ٥/٥٤ ـ ٥٥؛ وانظر البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ٤٢٩.

(٣) **النجوم الزاهرة**، ٢/٢٤٠.

(٤) البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ٤١٥.

(٥) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣/ ورقة ١٦٣ أ؛ ابن كثير: **البداية والنهاية**، ٩/٢٠٥.

الشام كان على ديوان أهل المدينة عن عمر بن عبدالعزيز أنه ربما أعطى المال من يستألف على الإسلام»[1].

كذلك ذكر عن عمر بن عبدالعزيز أنه أعطى بطريقاً ألف دينار استألفه على الإسلام[2].

كما كان لتصحيح الوضع الخاص بأهل الذمة الذين أسلموا بوضع الجزية عنهم أثر واضح في زيادة إقبال الذميين على الدخول في الإسلام برغم كل ما ترتب على ذلك بالنسبة لبيت المال مثل ما فعل مع واليه على خراسان الجراح بن عبدالله الحكمي حيث أرسل إليه يقول: «انظر من صلى قبلك إلى القبلة، فضع عنه الجزية»[3]، ثم أرسل بدعوة أهل الذمة إلى الدخول في الإسلام، فمثلاً أرسل إلى عامله الجراح بن عبدالله الحكمي يأمره بدعوة أهل الجزية إلى الدخول في الإسلام، فإن أسلموا قبل إسلامهم، وأن يضع الجزية عنهم، ثم كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين[4].

وقد ترتب على هذه الدعوة دخول عشرات الألوف من الناس في الإسلام طائعين ففي خراسان أسلم نحو من أربعة آلاف ذمي على يد واليه الجراح بن عبدالله[5]، أما في المغرب فقد أسلم عامة البربر على يد والي عمر على المغرب إسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر[6].

وكان ذلك دليلاً على بعد نظر عمر في الاهتمام بالدعوة إلى الإسلام عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة، إذ كانت نتائجها لا تقل عن نتائج غيرها إيجابية بل تتعدىٰ ذلك إلى أنه قد كسب مسلمين جدداً دون أن يتكلف شهيداً، أو نفقة لإعداد جيوش.

---

(١) **الطبقات**، ٥/٣٥٠.
(٢) المصدر السابق، ٥/٣٥٠.
(٣) الطبري: **تاريخ**، ٥/٥٥٩.
(٤) ابن سعد: **االطبقات** ٥/٣٨٦.
(٥) المصدر السابق، ٥/٣٨٦.
(٦) البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

وبهذا يكون الإسلام قد انتشر على عهد عمر بن عبدالعزيز بالحكمة والموعظة الحسنة، والاستمرار في أسلوب الجهاد الواعي على أيدي مجاهدين ثقفهم وعلمهم واطمأن إلى دينهم وإخلاصهم لله ورسوله.

واستمراراً في سياسته التي التزم بها من حيث إحساسه بمسؤوليته عن رعيته لم يكن يكتفي من الناس بالإسلام، بل كان يتابع عملية دخولهم فيه بتفقيههم فيه وتعليمهم إياه، حتى يحسن إسلامهم ويقوم الدين فيهم على أساس سليم قوي. ذلك أنه كان يرسل إلى من يدخلون في الإسلام الفقهاء والعلماء ليقوموا على هذا التفقيه في الدين، ومن ذلك ما يرويه أبو عبيد[1] وغيره من المؤرخين فيقول: «بعث عمر بن عبدالعزيز يزيد بن أبـي مالك الدمشقي[2]، والحارث بن يمجد الأشعري[3]، يفقهان الناس في البدو. وأجرى عليهما رزقاً. فأما يزيد فقبل، وأما الحارث فأبـى أن يقبل، فكتب إلى عمر بن عبدالعزيز بذلك. فكتب عمر: إنا لا نعلم بما صنع يزيد بأساً. وأكثر الله فينا مثل الحارث بن يمجد».

ولم يكن يزيد والحارث هما فقط اللذان أرسلا لهذا الغرض بل وجه عمر عنايته إلى أفريقية بسبب الظروف السياسية التي اكتنفت الحكم الإسلامي فيها في الفترة التي سبقت توليه الخلافة وما جرى بين البربر والمسلمين من معارك طاحنة فخصها بعدد من فقهاء التابعين لتفقيه أهلها، ونشر الإسلام بينهم:

أولهم: عبدالله بن يزيد المعافري الأفريقي الحبلي أبو عبدالرحمن روى عن

---

(١) **الأموال**، ٣٣٣ ــ ٣٣٤؛ وانظر ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٣٧.

(٢) هو يزيد بن عبدالرحمن بن أبـي مالك هانىء الهمداني الدمشقي العلامة القاضي روى عن أبيه وأنس بن مالك وروى عنه الأوزاعي كان من فقهاء الشام وثقة الكثيرون من أئمة الحديث توفي سنة ١٣٠هـ؛ انظر ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ٤/٢/٢٢٧؛ والذهبي: **سير أعلام النبلاء** ٥/٤٣٧ ــ ٤٣٨؛ وابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١١/٣٤٥ ــ ٣٤٦.

(٣) هو الحارث بن يمجد الأشعري قاضي حمص روى عن عبدالله بن عمر وروى عنه عبدالرحمن بن يزيد بن جابر؛ انظر ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ١/٢/٩٤.

أبـي أيوب الأنصاري، وعبدالله بن عمرو بن العاص وغيرهما، وروى عنه جماعة.

وكان صالحاً فاضلاً ثقة، سكن القيروان[1] وبث فيها علماً كثيراً، توفي سنة ١٠٠هـ[2].

وثانيهم: إسماعيل بن عبيد الأنصاري مولى لهم المعروف بتاجر الله، روى عن العبادلة ابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو بن العاص، روى عنه بكر بـن سوادة الجذامي وكثير من أهل أفريقية.

كان فاضلاً عالماً فقيهاً ناسكاً كثير الصدقات، والمعروف، توفي سنة ١٠٧هـ[3].

وثالثهم: عبدالرحمن بن رافع التنوخي، أبوالجهم المصري قاضي افريقية. روى عن عبدالله بن عمرو وغيره من الصحابة، وروى عنه عبدالرحمن بن أنعم الافريقي كان عـدلاً في أحكـامـه ثقـة في نفسـه، تـوفي بـالقيـروان سنـة ١١٣هـ[4].

والرابع: جعثل بن هاعان بن عمير الرعيني ثم القتباني، أبو سعيد المصري. روى عن أبـي تميم عبدالله بن مالك الجيشاني، وروى عنه عبيدالله بن زحر الأفريقي وبكر بن سوادة الجذامي.

كان فقيهاً عالماً ثقة قارئاً، توفي حوالي عام ١١٥هـ[5].

---

(١) القيروان: مدينة عظيمة بأفريقية، مصرت في الإسلام في أيام معاوية رضي الله عنه؛ ياقوت: **معجم البلدان** ٤/٤٢٠.

(٢) ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديـل** ٢/٢/١٩٧؛ عبدالرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ (ت ٦٩٦هـ): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق إبراهيم شبوح، (ط. مصر) ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م، ١/١٨٠؛ ابن حجر: **تهذيب التهـذيب** ٦/٨١ ــ ٨٢.

(٣) الدباغ: **معالم الإيمان** ١/١٩١.

(٤) البخاري: **التاريـخ الكبير** ٥/٢٨٠؛ ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعـديل** ٢/٢/٢٣٢؛ الدباغ: **معالـم الإيمان** ١/١٩٨؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيـب** ٦/١٦٨.

(٥) علي بن هبة الله بن علي المعروف بابن ماكولا (ت ٤٧٥هـ): **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، (ط. حيـدرآباد) بـين سنتي ١٣٨١هـ ــ ١٣٨٦هـ، ٢/١٠٧: **معالم الإيمـان** ١/٢٠٢؛ ابن حجـر: **تهـذيب التهذيب** ٢/٧٩.

أما الخامس: فهو إسماعيل بن عبيدالله بن أبـي المهاجر المخـزومي مولاهم الدمشقي، أبو عبدالحميـد، روى عن أنس، والسائب بن يـزيد، وفضالة بن عبيد، وغيرهم وروى عنه الأوزاعي وغيره كان صدوقاً ثقة صالحاً فاضلاً مأموناً زاهداً أسلم عامة البربر في ولايته، لأنه كان حسن السيرة حريصاً على إسلامهم، توفي في القيروان سنة **١٣٢**هـ[١].

وسادسهم: حبان بن أبـي جبلة القرشي مولى بني عبدالدار المصري روى عن العبادلة إلا ابن الزبير وغيرهم، وروى عنه ابن أنعم. كان ثقة فاضلاً، سكن القيروان وانتفع به أهلها، وتوفي فيها سنة ١٢٢هـ وقيل سنة **١٢٥**هـ[٢].

وأما سابعهم فهو: أبو ثمامة، بكر بن سوادة الجذامي المصري روى عن عبدالله بن عمرو وغيره، وروى عنه جماعة من التابعين من بينهم سعيد بن المسيب والزهري.

كـان من فقهاء التابعين وصلحائهم وثقة أئمة الحديث. سكن القيروان، وتوفي في أفريقية، ويقال غرق في بحار الأندلس، وذلك في عام ١٢٨هـ[٣].

وثامنهم: أبو مسعود، سعد بن مسعود التجيني الكندي المصري، روى عن أبـي الدرداء وغيره، وروى عنه عبيدالله بن زحر. كان فقيهاً عالماً صالحاً مشهوراً بالدين والفضل لا تأخذه في الله لومة لائم، سكن القيروان وبث فيها علماً كثيراً وتوفي بها[٤].

---

(١) البخاري: **التاريخ الكبيـر** ٣/٣٦٦؛ الدباغ: **معالم الإيمـان** ١/٢٠٣؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١/٣١٧ ــ ٣١٨.

(٢) ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ١/٢/٢٤٨؛ ابن ماكولا: **الإكمـال** ٢/٣٠٨؛ الدباغ: **معالم الإيمـان** ١/٢٠٩؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٢/١٧١.

(٣) ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديـل** ١/١/٣٨٦؛ الدباغ: **معالم الإيمـان** ١/٢١١ ــ ٢١٣؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١/٤٨٤.

(٤) ابن أبـي حـاتم: **الجـرح والتعـديل**، ٢/١/٩٤ ــ ٩٥؛ الـدباغ: **معالـم الإيمان** ١/١٨٥ ــ ١٨٧.

وتاسعهم: موهب بن حيى المعافري.

روى عن ابن عباس، وروى عنه عبدالرحمن بن زياد بن أنعم وغيره.

كان فاضلاً سكن القيروان، وبث بها علماً كثيراً وبها توفي[1].

أما عاشرهم فهو: طلق بن جعبان الفارسي، ويقال ابن جابان.

روى عن عبدالرحمن بن أبي أمية، وعن أبي سلمة بن عبدالرحمن، وروى عنه موسى بن علي بن رباح.

كان فقيهاً عالماً. وهو أحد العشرة التابعين الذين أرسلهم عمر بن عبدالعزيز ليفقهوا أهل القيروان[2].

كما أن عمر بن عبدالعزيز حينما لم يرسل فقهاء إلى الأمصار كان لا يضن عليها بالكتب التي يعلمهم من خلالها شرع الله وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أكد مالك بن أنس هذا فيما نقل عنه ابن عبدالبر[3]، قال مالك:

«كان عمر بن عبدالعزيز يكتب إلى الأمصار يعلمهم السنن والفقه، ويكتب إلى المدينة يسألهم عما مضى، وأن يعملوا بما عندهم».

وسبق ذكر بعض هذه الرسائل، وسيأتي ذكر بعضها الآخر في ثنايا البحث إن شاء الله.

يضاف إلى ذلك أنه أمر عماله أن يجروا على طلبه العلم الرزق، وأن يفرغوهم[4]. تنفيذاً لما جاء في كتاب الله عز وجل من تخصيص طائفة من المسلمين ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

---

(١) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٤/١/٤١٥؛ الدباغ: **معالم الإيمان** ١/٢١٣.

(٢) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٢/١/٤٩١؛ ابن ماكولا: **الإكمال** ٢/١٠٨؛ الدباغ: **معالم الإيمان** ١/٢١٥.

(٣) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي وآخرين، (ط. المغرب) ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٧م، ١/٨٠ ــ ٨١.

(٤) الكتاني: **التراتيب الإدارية** ١/٣٩٥.

وهكذا عمل عمر بن عبدالعزيز جاهداً على نشر الإسلام بالوسائل المختلفة وعلى أساس من تفقيهم في الدين وتعليمهم إياه سواء بالقدوة الحسنة أو بالدعوة أو بالكتب أو بالدعاة الفقهاء.

□□□

الفصل الثالث
سياسة عمر بن عبد العزيز في ردّ المظالم

ويشتمل على:

المبحث الأول: المظالم قبل خلافة عمر بن عبدالعزيز.

المبحث الثاني: سياسة عمر بن عبدالعزيز في رد المظالم.



المبحث الأول

المظالم قبل خلافة عمر بن عبدالعزيز

الظلم آفة اجتماعية خطيرة، وتفشيه في المجتمع يؤدي إلى إلحاق الأضرار الجسيمة به، فالظلم من الوقائع الملموسة على مر العصور، فهو قديم قدم الإنسان على الأرض، وهو أصل النقم ويعد انطلاقة لما هو شر وباطل، ومن أجل هذا اجتمعت آراء الناس في كل العصور على مقت الظلم وإنكاره. وللظلم دوافع نفسية متعددة: كحب الانتقام، وحب الذات، والرئاسة، والتسلط والغضب، والحسد، والطمع، والبخل... إلخ.

والإنسان إذا ما فقد الطمأنينة والعدل، ولازمه الشعور بالظلم، ووقوع الحيف عليه، يجعله قليل العطاء، يشحذ تفكيره في رد ظلم الآخرين عنه، وبهذا يكون الظلم هو أحد أسباب تفكك المجتمعات، وانتشار الحقد والكراهية بين أفرادها، ولهذا نزلت الرسالات السماوية بمنعه، وتهديد مقترفيه بالعذاب الأليم.

ومن الظلم جاءت المظالم التي شمر عمر بن عبدالعزيز عن ساعديه لردها، وتخليص الأمة الإسلامية من شرورها وآثارها التي أصابت الكثيرين؛ وهذا هو ما أتصدى لبحثه وتفصيله في الفصل التالي:

معنى المظـالم:

المظالم من باب ظلم. والظلم: وضع الشيء في غير موضعه. ومن أمثال العرب في الشبه: من أشبه أباه فما ظَلَم؛ قال الأصمعي: ما ظَلَم، أي ما وضع

الشبه في غير موضعه. وفي المثل: من استرعى الذئب فقد ظَلَم، وفي حديث ابن زمل: لزموا الطريق فلم يَظْلِمُوه، أي: لم يعدلوا عنه؛ يقال: أخذ في طريق فما ظَلَم يميناً ولا شمالاً؛ وأصل الظُّلم الجور ومجاوزة الحد، ومنه حديث الوضوء: فمن زاد أو نقص فقد أساء. وظَلَم، أي أساء الأدب بتركه السنة والتأدب بأدب الشرع، وظَلَمَ نفسه بما نقصها من الثواب بترداد المرات في الوضوء. وفي التنزيل العزيز: الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بِظُلْمٍ؛ قال ابن عباس وجماعة أهل التفسير: لم يخلطوا إيمانهم بشرك، وروى ذلك عن حذيفة وابن مسعود وسلمان، وتأولوا فيه قول الله عز وجل: إن الشرك لَظُلْمٌ عظيم، والظُّلم: الميل عن القصد، والعرب تقول: إلزم هذا الصوب ولا تَظْلِمْ عنه، أي لا تجر عنه. وقوله عز وجل: إن الشرك لَظُلمٌ عظيم، يعني أن الله تعالى هو المحيي المميت الرزاق المنعم وحده لا شريك له، فإذا أشرك به غيره فذلك أعظم الظُّلم، لأنه جعل النعمة لغير ربها. يقال: ظَلَمَه يَظْلِمُه ظَلْماً وظُلْماً ومَظْلِمةً، فالظُّلْمُ مصدر حقيقي، والظُّلمُ الاسم يقوم مقام المصدر، وهو ظالمٌ وظلوم؛ والظُّلمُ الاسم، وظَلَمَهُ حقه وتَظَلَّمه إياه، وتَظَلَّم منه: شكا من ظُلْمِه. والمُتَظَلِّمُ: الذي يشكو رجلاً ظَلَمَهُ.

وتَظَلَّمني فلان، أي ظَلَمني مالي.

ويقال: تَظَلَّم فلان إلى الحاكم من فلان فظَلَّمَه تَظْليماً، أي: أنصفه من ظالِمِه، وأعانه عليه.

وأظلَّم وانْظَلَم: احتمل الظُّلْمَ. وظَلَّمه: أنبأه أنه ظالم أو نسبه إلى الظُّلم.

والظُلامةُ؛ ما تُظْلَمُهُ، وهي المَظْلِمَةُ. قال سيبويه: أما المَظْلِمةُ فهي اسم ما أخذ منك. وأردت ظِلامَهُ ومُظالَمته، أي ظُلمه.

والظُّلامةُ والظَّلِيمَةُ والمَظْلِمَةُ: ما تطلبه عند الظالم، وهو اسم ما أخذ منك.

ويقال: ظُلِم فلان فاظَّلَم، معناه أنه احتمل الظُّلْمُ بطيب نفسه وهو قادر على الامتناع منه.

وتَظَالَم القوم: ظَلَمَ بعضهم بعضاً. ويقال: أَظْلَمُ من حية، لأنها تأتي الجحر لم تحتفره فتسكنه.

وظَالَمُه مُظالمةً، وظلاماً: ظَلَمَهُ.

ظَلَّمَهُ: رماه بالظلم ونسبه إليه. وأنصفه من ظالمه.

وتظالموا: ظلم بعضهم بعضاً.

الظَّلِيمةُ: ما أخذ منك ظُلماً. (ج) ظلائم.

المَظْلِمَةُ: الظُّلامة. (ج) مظالم.

قال الزمخشري: فلان يُظْلَم فيظلِّم: يحتمل الظُّلم.

قال زهير: ويظلم أحياناً فيظلم.

وعند فلان ظُلامتي ومَظلِمتي: حقي الذي ظلمته، وَتَظَلَّمني حقي، وتظلّمتُ منه إلى الوالي[٢].

ولأن في الظلم جوراً ومجاوزة للحد وعدواناً على الغير، فقد ورد النهي عنه والتحذير منه كثيراً جداً في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية الصحيحة واقترن ذلك بالوعيد الشديد من الله سبحانه وتعالى لمن يقترف الظلم ويقصده بالعذاب الأليم، وسوء المصير في الدنيا والآخرة، وسوف أكتفي هنا بتقديم بعض الأمثلة التي تضمنت ذلك في القرآن والحديث:

يقول الله تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾[٢]. وقال أيضاً: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾[٣]. ثم قال: ﴿إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾[٤]. ﴿والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً﴾[٥].

---

(١) راجع: **أساس البلاغة** للزمخشري (مادة ظلم)، ص ٢٩٠؛ **ولسان العرب** لابن منظور (مادة ظلم)، ١٢/٣٧٣ ــ ٣٧٥؛ **والمعجم الوسيط** لإبراهيم مصطفى وآخرين (مادة ظلم)، ٢/٥٨٣.

(٢) سورة لقمان آية رقم ١٣.

(٣) سورة النساء آية رقم ٤٠.

(٤) سورة الكهف آية رقم ٢٩.

(٥) سورة الإنسان آية رقم ٣١.

أما في الحديث الشريف، فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، فيما يروى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي، إن حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»(1).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً: «إتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»(2).

وقال: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين»(3).

وقال: «إن الله يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته»(4).

نشـأتهـا:

نستطيع أن نجزم أن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ظهر مع بدء الخليقة، فيما رواه لنا رب العباد في كتابه المنزل عن قصة هابيل وقابيل(5). ومع استمرار الحياة تعددت صور الظلم وتنوعت، وهذا ما جعل ملوك الفرس يرون الجلوس للمظالم من قواعد الملك وقوانين العدل الذي لا يعم الصلاح إلا بمراعاته، ولا يتم التناصف إلا بمباشرته(6). وكانت قريش في الجاهلية حين انتشرت فيهم الرئاسة، وكثر فيهم الزعماء، ورأوا من التجاذب والتغالب ما لم يكفهم عنه سلطان قاهر، عقدوا حلفاً على رد المظالم وإنصاف المظلوم من الظالم، وكان سببه ما ذكره الزبير بن بكار: أن رجلاً من اليمن من بني زبيد، جاء مكة معتمراً ومعه بضاعة، فاشتراها منه رجل من بني سهم، وقيل إنه العاص بن وائل،

---

(1) النووي: **رياض الصالحين**، تحقيق عبدالله أحمد أبو زينة (ط. بيروت)، ١٣٩٠هـ، ص ٦٠.

(2) المصدر السابق، ص ٩٩.

(3) المصدر السابق، ص ٩٩.

(4) المصدر السابق، ص ٩٩.

(5) سورة المائدة الآيات ٢٧ ــ ٣١.

(6) الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص ٧٨.

فأنكر على الرجل حقه فسأله ماله أو متاعه فامتنع عليه، فقام على الحجر وأنشد بأعلى صوته:

يــال قصي لمــظلوم بضــاعـتـه ببطن مكـة نـائي الـدار والنفــر
وأشعث محـرم لم تقض حـرمتـه بين المقام وبين الحجر والحجـر
أقــائم من بني سـهم بــذمـتهـم أو ذاهب في ضـلال مال معتمـر

ثم باع قيس بن شيبة السلمي متاعاً على أبـي بن خلف فلواه وذهب بحقه، فاستجار برجل من بني جمح فلم يجره، فقال قيس من الرجز:

يـال قصي كيف هذا في الحـرم وحــرمـة البيت وأحــلاف الكـرم
أظـلم لا يـمنــع عنـي مـن ظـلم

فأجابه العباس بن مرداس السلمي:

إن كـان جارك لم تنفعـك ذمتـه وقـد شربت بكـأس الذل أنفـاسا
فأت البيوت وكن من أهلها صدداً لا تلق تـأديبهم فحشاً ولا بـأسـا
ومن يكن بفنــاء البيت معتصمــاً يلق ابن حرب ويلق المرء عباسا
قــومي قـريش بــأخــلاق مكملة بالمجد والحزم ما عاشا وما ساسا
ســاق الحجيج وهـذا نـاشـر فلج والمجد يورث أخمـاسـاً وأسـداسا

فقام أبو سفيان والعباس بن عبدالمطلب فردا عليه ماله، ونتيجة لذلك اجتمعت بطون قريش فتحالفوا في دار عبدالله بن جدعان على رد المظالم بمكة، وألا يظلم أحد إلا منعوه، وأخذوا للمظلوم حقه، وكان منهم يومئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وهو ابن خمس وعشرين سنة، فعقدوا حلف الفضول في دار عبدالله بن جدعان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن هذا الحلف بعد بعثته: (لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلف الفضول ما لو دعيت إليه لأجبت، وما أحب أن لي به حمر النعم)[1].

---

(١) المصدر السابق، ص ٧٨.

وقال بعض قريش في هذا الحلف:

تيم بني مرة إن سألت وهاشماً وزهرة الخير في دار ابن جدعان
متحالفين على الندى ما غردت ورقاء في فنن من جذع كتمان

وهذا وإن كان فعلاً جاهلياً دعتهم إليه السياسة فقد صار بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم له وما قاله في تأكيد أمره حكماً شرعياً وفعلاً نبوياً[1].

في عصر النبي والخلفاء الراشدين:

وحين قامت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة أورد الماوردي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نظر المظالم في الشرب الذي تنازعه الزبير بن العوام رضي الله عنه ورجل من الأنصار فحضره بنفسه فقال للزبير: «اسق أنت يا زبير ثم الأنصاري. فقال الأنصاري: إنه لابن عمتك يا رسول الله فغضب من قوله، وقال: يا زبير أجره على بطنه حتى يبلغ الماء إلى الكعبين»[2].

«ولم ينتدب للمظالم من الخلفاء الأربعة أحد، لأنهم في الصدر الأول مع ظهور الدين عليهم بين من يقوده التناصف إلى الحق أو يزجره الوعظ عن الظلم، وإنما كانت المنازعات تجري بينهم في أمور مشتبهة يوضحها حكم القضاء، فإن تجور من جفاه أعرابهم متجور ثناه الوعظ أن يدبر، وقاده العنف أن يحسن، فاقتصر خلفاء السلف على فصل التشاجر بينهم بالحكم والقضاء تعييناً للحق في جهته. لانقيادهم إلى التزامه، واحتجاج علي رضي الله عنه حين تأخرت إمامته، واختلط الناس فيها وتجوروا إلى فصل صرامة في السياسة وزيادة تيقظ في الوصول إلى غوامض الأحكام فكان أول من سلك هذه الطريقة واستقل بها ولم يخرج فيها إلى نظر المظالم المحض لاستغنائه عنه»[3].

على أنه برغم رأي الماوردي وما فيه من صحة بدرجة كبيرة، فإن ثمة

(١) المصدر السابق، ص ٧٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٧٧.
(٣) المصدر السابق، ص ٧٨.

إشارات في كتب التاريخ التي تحدثت عن الصدر الأول للإسلام على عهد الراشدين من خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذكرت أنه «كان عمر بن الخطاب يكتب أموال عماله إذا ولاهم، ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك، وربما أخذه منهم، فكتب إلى عمرو بن العاص: أنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم يكن حين وليت مصر، فكتب إليه عمرو: أن أرضنا أرض مزدرع ومتجر، فنحن نضيف فضلاً عما نحتاج إليه لنفقتنا، فكتب إليه: إني قد خبرت من عمال السوء ما كفى وكتابك إلى كتاب من قد أقلقه الأخذ بالحق، وقد سؤت بك ظناً وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك، فأطلعه طلعة، وأخرج إليه ما يطالبك به، واعفه من الغلظة عليك، فإنه برح الخفاء، فقاسمه ماله»[1].

على أن هذه الإشارة لما حدث على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد سبقها نظير لها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أخذ من عامله على الصدقة ما أعطاه الناس له من هدايا وقال له: «أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً، والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة»[2].

على أن هذه المقاسمة كانت نتيجة لما استقر في نفس عمر من أن ولاة عمرو بن العاص من ناحية كانوا يظلمون الناس، عندما قال له: «وقد علمت أنه لم يمنعك من ذلك إلا أن عمالك عمال السوء وما توالس عليك وتلفف اتخذوك كهفاً»[3].

---

(١) البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ٢٢٠ ــ ٢٢١. وفي رواية ابن عبدالحكم أن عمر بن الخطاب أرسل إليه يقول: أما بعد فإنكم معشر العمال قعدتم على عيون الأموال فجبيتم الحرام وأكلتم الحرام وأورثتم الحرام وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة الأنصاري ليقاسمك مالك فاحضره مالك والسلام»؛ انظر عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم (ت ٢٥٧هـ): **فتوح مصر وأخبارها**، (ط. ليدن) ١٩٢٠م، ص ١٤٦.

(٢) النووي: **رياض الصالحين**، ص ١٠٠.

(٣) المقريزي: **الخطط**، ٧٨/١.

وكما مر علينا أن الجزء الذي أخذه عمر بن الخطاب من عماله أودعه بيت مال المسلمين، باعتبار أن بيت مال المسلمين ملك للجميع، ثم ما كان ليعرف عمر بن الخطاب أصحاب هذا القدر الذي أخذه منهم عمرو وغير عمرو من ولاته، ومن هذه الزاوية يمكن اعتبار هذه المقاسمة نوعاً من الفصل في المظالم التي نتجت عن إرهاق الرعية، أو الأخذ منها بغير حق، بدليل قول عمرو بن العاص جواباً على رسالة عمر بن الخطاب حيث قال: «فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يستبطئني في الخراج، ويزعم أني أحيد عن الحق وأنكث عن الطريق، وأني والله ما أرغب عن صالح ما تعلم، ولكن أهل الأرض استنظروني إلى أن تدرك غلتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق خيراً من أن نخرق بهم فيصيروا إلى بيع ما لا غنى بهم عنه والسلام»[1].

وإذا كان عمر بن الخطاب قد أودع ما أخذه من أموال من ولاته بعد مقاسمتهم في بيت مال المسلمين فإنما فعل مثل ما فعله رسول الله مع عماله على الصدقة، كما أن عمر بن عبدالعزيز حفيد عمر بن الخطاب والذي ترسم خطاه في حياته قد أودع هو الآخر بعض ماله الخاص ببيت مال المسلمين حين دخلته مظنة أن يكون هذا المال فيه مظلمة، فقد «باع ما كان له من المزارع من عبد أو أمة أو بهيمة أو آلة، وباع ما كان من متاع أو مركب أو لباس أو عطر. . . فبلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار ثم جعلها في سبيل الله»[2].

وبهذه المناسبة، نستطيع أن نضرب عرض الحائط الراوية التي جاءت في بعض المصادر عن تسليم عثمان بن عفان رضي الله عنه خمس خراج أفريقية إلى بعض أقاربه، سواء كان عبدالله بن سعد بن أبي السرج، أو مروان بن الحكم[3]، لأن سند هذه الرواية مطعون فيه، ذلك أن رواتها هم الواقدي عن أسامة بن زيد الليثي عن ابن كعب، ومعروف عن الواقدي أنه كذوب بين

---

(١) المصدر السابق، ١/٧٩.

(٢) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٢٤.

(٣) الطبري: **تاريخ** ٤/٢٥٣، ٢٥٦؛ وانظر ابن الأثير: **الكامل** ٣/٩١.

رجال الحديث[1]، وكذلك أسامة بن زيد الليثي وهو منكر الحديث[2].

في العصر الأموي قبل خلافة عمر:

وحين قامت الدولة الأموية كان قد مضى على انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه ثلاثون عاماً، وخلال هذه الفترة انتقل إلى الرفيق الأعلى. عدد من كبار الصحابة، وذوي التأثير الحسن في المجتمع الإسلامي، من أمثال أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وخلال هذه الفترة كذلك فتح الله على المسلمين أملاك الفرس، وكثيراً من أملاك الروم، وترتب على ذلك تغير جذري في المجتمع الإسلامي، حيث انتقل كثير من المسلمين إلى البلاد المفتوحة واختلطوا بأهلها، وعرفوا طرائق حياتهم وأسلوب التعامل فيما بينهم، كما أفاء الله على المسلمين نتيجة لتلك الفتوح غنى وجاهاً لا شك أثرا في الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية.

ورغم أن ذلك كان له تأثير عميق على حياة المسلمين فإنهم لم ينحرفوا عن كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولقد ظهر هذا التحول بصورة بارزة على عهد معاوية بن أبي سفيان الذي أخذ في مظاهر حكمه كثيراً مما كان معمولاً به في بلاد آل ساسان وفي أرض القياصرة، وكان له في ذلك منطقه الخاص وحجته التي أدلى بها أيام ولايته على الشام حين سأله عمر بن الخطاب وكان قد «تلقاه معاوية في موكب عظيم، فلما دنا منه قال له عمر: أنت صاحب الموكب العظيم؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين. قال: مع ما يبلغني من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك! قال: مع ما يبلغك من ذلك. قال: ولم تفعل هذا؟ قال: نحن بأرض جواسيس العدو بها كثيرة. فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت. فقال عمر لمعاوية

---

(١) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٤/١/٢٠ ـ ٢١؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٩/٣٦٣؛ وانظر الذهبي: **ميزان الاعتدال** ٣/٦٦٢ ـ ٦٦٣.

(٢) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ١/١/٢٨٤ ـ ٢٨٥؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١/٢٠٨ ـ ٢٠٩؛ وانظر الذهبي: **ميزان الاعتدال** ١/١٧٤.

ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، إن كان ما قلت حقاً إنه لرأي أريب، وإن كان باطلاً إنه لخدعة أديب. قال: فمرني يا أمير المؤمنين، قال: لا آمرك ولا أنهاك»[1].

كما أخذ المسلمون في الإقبال على اقتناء الأرض بطرق شتى من شراء وإحياء موات وإقطاع، وقد صاحب كثيراً من ذلك أمور وتصرفات تدخل في باب المظالم، كما سيأتي، وركنت بذلك جماعات من العرب إلى بذل كل الجهد، وقصر الهمة على فلاحة الأرض، والعناية بها وما كان يحتاجه ذلك من استخدام عمال لفلاحتها والعناية بها، وما صاحب ذلك من بعض التصرفات التي تؤخذ على ملاك الأرض الجدد، وهذا مما أعاد إلى أذهان البعض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ترك السيف والركون إلى الأرض، وأثر ذلك على المسلمين عن أبي أمامة الباهلي قال ورأى سكة وشيئاً من آلة الحرث فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل»[2]، ويضاف إلى ما سلف أن بعض الخلفاء كانوا بحاجة إلى المال لتوطيد أمور دولتهم، كما عمل بعض عمال بني أمية على مداهنة الخلفاء من أجل إبقائهم في مناصبهم. ولو عن طريق ظلم الرعية والتعسف بها، كل هذه الظروف التي اكتنفت الدولة الإسلامية على عهد بني أمية كانت ولا شك من العوامل التي تهيء مناخاً يمكن أن يقع فيه شيء من المظالم، فيذكر الماوردي «ثم انتشر الأمر بعده (يعني بعد علي رضي الله عنه) حتى تجاهر الناس بالظلم، والتغالب، ولم يكفهم زواجر العظة عن التمانع والتجاذب، فاحتاجوا في ردع المتغلبين، وأنصاف المغلوبين إلى نظر المظالم الذي يمتزج به قوة السلطنة بنصف القضاء، فكان أول من أفرد للظلامات يوم يتصفح فيه قصص المتظلمين من غير مباشرة للنظر عبدالملك بن مروان، فكان إذا وقف منها على مشكل، أو احتاج فيها إلى حكم منفذ رده إلى قاضيه أبي إدريس الأودي فنفذ فيه أحكامه لرهبة التجارب من عبدالملك بن مروان في علمه بالحال ووقوفه على

---

(١) ابن عبدالبر: **الاستيعاب** ٣/٣٩٧.

(٢) ابن حجر: **فتح الباري** ٥/٤.

السبب، فكان أبو إدريس هو المباشر، وعبدالملك هو الآمر، ثم زاد من جور الولاة وظلم العتاة ما لم يكفهم عنه إلا أقوى الأيدي وأنفذ الأوامر، فكان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله أول من ندب نفسه للنظر في المظالم فردها، وراعى السنن العادلة وأعادها، ورد مظالم بني أمية على أهلها حتى قيل له ــ وقد شدد عليهم فيها وأغلظ ــ إنا نخاف عليك من ردها العواقب، فقال: كل يوم أتقيه وأخافه دون يوم القيامة لأوقيته»[1].

ويؤيد هذا حديث أبي يوسف لهارون الرشيد حين تكلم عن تقبيل السواد فيقول: «ولتصير مع الوالي الذي وليته قوماً من الجند من أهل الديوان في أعناقهم بيعة على النصح لك، فإن من نصحك أن لا تظلم رعيتك. وتأمر بإجراء أرزاقهم عليهم من ديوانهم شهراً بشهر، ولا تجري عليهم من الخراج درهماً فيما سواه، فإن قال أهل الخراج، نحن نجري على والينا وحده من عندنا، لم يقبل ذلك منهم، ولم يحملوه، فإنه قد بلغني: أنه قد يكون في حاشية العامل والوالي جماعة: منهم من له به حرمة، ومنهم من له إليه وسيلة، ليسوا بأبرار ولا صالحين، ويستعين بهم ويوجههم في أعماله يقتضي بذلك الذمامات، فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه، ولا ينصفون من يعاملونه، إنما مذهبهم أخذ شيء من الخراج كان، أو من أموال الرعية، ثم أنهم يأخذون ذلك فيما يبلغني بالعسف والظلم والتعدي، ثم لا يزال الوالي ومن معه قد نزل بقرية يأخذ أهلها من نزله بما لا يقدرون عليه، ولا يجب عليهم حتى يكلفوا ذلك فيجحف بهم...»[2].

ومهما يكن من أمر فإن ذكر ما وقع من مظالم على عهد مؤسسي الدولة الأموية معاوية بن أبي سفيان تمثل الدليل على ما ذهبنا إليه ــ وهو وقوع المظالم على عهد الخلفاء الأمويين ــ والمثل الواضح هو ما جمعه ولاته من بعض

(١) **الأحكام السلطانية**، ص ٧٨؛ وانظر أبي يعلى محمد بن الحسن الفراء (ت ٤٥٨هـ): **الأحكام السلطانية**، تحقيق محمد حامد الفقي، (ط. مصر ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦م، ص ٧٥.

(٢) **الخراج**، ص ١١٦.

الأراضي الكسراوية المفتوحة من هدايا النيروز والمهرجان[١]، مما لم يكن للمسلمين فيه حق ونعتمد في ذلك على ما أورده الجهشياري الذي ذكر أنه:

«كان لمعاوية كاتب يقال له: عبدالرحمن بن دراج ــ وكان له أخ يقال له: عبيدالله بن دراج، وكانا موليبه ــ فقلده الخراج للعراق، عن تقليد المغيرة الحرب بها، وطالب أهل السواد أن يهدوا له في النيروز والمهرجان، ففعلوا، فبلغ ذلك عشرة آلاف ألف درهم في سنة»[٢].

ولم تكن عادة أخذ هدايا النيروز والمهرجان موجودة في عهد الخلفاء الراشدين. حتى ان عثمان بن عفان كتب إلى واليه سعيد بن العاص ينهاه عن أخذ هدايا النيروز والمهرجان، وبهذه المناسبة يذكر لنا الصولي أن أول من أحدث هدايا النيروز والمهرجان هو الوليد بن عتبة بن أبي معيط عامل عثمان بن عفان على الكوفة[٣].

---

(١) قال عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) «كان من حق الملك هدايا المهرجان والنيروز» . والعلة في ذلك أنهما فصلا السنة.

فالمهرجان دخول الشتاء وفصل البرد، والنيروز إذن بدخول فصل الحر. إلا أن في النيروز أحوالاً ليست في المهرجان: فمنها استقبال السنة، وافتتاح الخراج، وتولية العمال والاستبدال، وضرب الدراهم والدنانير، وتذكية بيوت النيران، وصب الماء وتقريب القربان وإشادة البنيان، وما أشبه ذلك.

فهذه فضيلة النيروز على المهرجان؛ **كتاب التاج في أخلاق الملوك**: تحقيق فوزي عطوي (ط. بيروت) ١٩٧٠م، ص ١٤٨، ١٤٩.

وقال أحمد بن عبدالوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ): «أما النيروز فهو أعظم أعيادهم وأجلها. يقال: أن أول من اتخذه جمشيد ــ أحد ملوك الفرس الأول ــ ومدته عندهم ستة أيام، أولها اليوم الأول من شهر أفريدون ماه، الذي هو أول شهور سنتهم... وأما المهرجان، فوقوعه في السادس عشر من مهرماه من شهور الفرس ومهرماه، هو الشهر السابع من سنتهم»؛ نهاية الأرب في فنون الأدب، (ط. القاهرة) ١٣٧٤هـ ــ ١٩٥٥م، ١/١٨٥ ــ ١٨٧.

(٢) محمد بن عبدوس الجهشياري (ت ٣٣١هـ): **الوزراء والكتاب**، حققه مصطفى السقا وآخرين، (ط. القاهرة) ١٣٥٧هـ ــ ١٩٣٨م، ص ٢٤.

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥هـ): **أدب الكتاب**، بتحقيق محمد بهجة الأثري، (ط. القاهرة) ١٣٤١، ص ٢٢٠.

ولكن الطبري يذكر أن بداية إحداث هدايا النيروز والمهرجان هو عام ٣١هـ، حين سار الأحنف من مرو الروذ[١] إلى بلخ[٢] فحاصرهم، فصالحه أهلها على أربعمائة ألف فرضي منهم بذلك، واستعمل ابن عمه، وهو أسيد بن المتشمس ليأخذ منهم ما صالحوه عليه، ومضى إلى خوارزم فأقام حتى هجم عليه الشتاء، ثم انصرف إلى بلخ وقد قبض أسيد صلحها ووافق وهو يجبيهم المهرجان، فأهدوا إليه هدايا من آنية الذهب والفضة، ودنانير ودراهم، ومتاع وثياب، فقال لهم: ما صالحناكم على هذا؟ فقالوا: لا، ولكن هذا الشيء نصنعه في هذا اليوم لمن ولينا نستعطفه به، قال: وما هذا اليوم؟ قالوا: المهرجان قال: ما أدري ما هذا؟ وإني لأكره أن أرده، ولعله من حقي ولكن أقبضه وأعزله حتى أنظر فيه، فقبضه، وقدم الأحنف فأخبره، فسألهم عنه، فقالوا له مثل ما قالوا لابن عمه، فقال: آتي به الأمير، فحمله إلى ابن عامر أمير البصرة فأخبره عنه فقال: اقبضه يا أبا بحر، فهو لك؟ قال: لا حاجة لي فيه، فأخذه ابن عامر. قال الحسن البصري: فضمه القرشي وكان مضماً[٣].

ويبدو أن الولاة استمروا في قبضها من الرعية مع الخراج حتى أصبحت جزءاً من الخراج يطالب به وإلى تلك المناطق، وإن أبطأ في دفعها عزل، وهذا ما جرى في عام ٤٣هـ لقيس بن الهيثم الذي عزل عن خراسان «وكان السبب في ذلك: أن ابن عامر استبطأ قيس بن الهيثم بالخراج، فأراد أن يعزله فقال له ابن خازم: ولني خراسان فأكفيكها، وأكفيك قيس بن الهيثم. فكتب له عهده أوهم بذلك، فبلغ قيساً أن ابن عامر وجد عليه لاستخفافه به، وإمساكه عن الهدية، وأنه ولى ابن خازم، فخاف ابن خازم أن يشاغبه، ويحاسبه، فترك

---

(١) مرو الروذ: هي مدينة قريبة من مرو الشاهجان أشهر مدن خراسان بينهما خمسة أيام ياقوت: **معجم البلدان** ٥/١١٢.

(٢) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان. المصدر السابق، ١/٤٧٩.

(٣) **تاريخ** ٤/٣١٣ ـ ٣١٤؛ وانظر ابن الأثير: **الكامل** ٣/١٢٦ ـ ١٢٧.

خراسان»[1] وهذا ما جعل معاوية بن أبي سفيان يأمر أهل السواد بدفعها إلى واليه عبيدالله بن دراج كما ذكرت سابقاً.

أنواع المظالم:

وقد تناول الفقهاء ــ في كتب الأحكام ــ، المظالم التي يجب على ولاة الأمر في المسلمين أن يعملوا على ردها والقضاء عليها تماماً، ليأمن الناس على حياتهم وأعراضهم وأموالهم، ويعيشوا في طمأنينة وسلام، وقسموها أنواعاً كما يلي:

«**الأول**: النظر في تعدي الولاة على الرعية، فيتصفح أحوالهم. ليقويهم ان أنصفوا. ويكفهم إن عسفوا. ويستبدل بهم إن لم ينصفوا.

الثاني: أجور العمال فيما يجتبونه من الأموال. فيرجع فيه إلى القوانين العادلة في دواوين الأئمة، فيحمل الناس عليها. وينظر فيما استزادوه، فإن رفعوه إلى بيت الأموال أمر برده، وإن أخذوه لأنفسهم استرجعه لأربابه.

الثالث: كتاب الدواوين. لأنهم أمناء المسلمين على بيوت الأموال فيما يستوفونه، ويوفونه، فيتصفح أحوالهم فيما وكل إليه من زيادة أو نقصان.

الرابع: تظلم المسترزقة من نقص أرزاقهم، أو تأخرها عنهم، وإجحاف النظار بهم، فيرجع إلى ديوانه في فرض العطاء العادل، فيجريه عليهم، وينظر فيما نقصوه أو منعوه من قبل، فإن أخذه ولاة أمورهم استرجعه لهم، وإن لم يأخذوه قضاهم من بيت المال.

الخامس: رد الغصوب. وهي ضربان:

* الضرب الأول: غصوب سلطانية قد تغلب عليها ولاة الجور، كالأملاك المقبوضة عن أربابها، تعدياً على أهلها.

فإن علم به والي المظالم عند تصفح الأمور أمر برده قبل التظلم إليه. وإن لم يعلم به فهو موقوف على تظلم أربابه.

---

(1) الطبري: **تاريخ** ٢٠٩/٥؛ ابن الأثير: **الكامل** ٤٣٨/٣، وفيه رواية أخرى عن سبب عزل قيس عن خراسان.

ويجوز أن يرجع فيه عند تظلمهم إلى ديوان السلطنة، فإن وجد فيه ذكر قبضها عن مالكها عمل عليه، وأمر بردها إليه، ويرجع فيه إلى بينة تشهد به، وكان ما وجده في الديوان كافياً.

* الضرب الثاني: ما تغلب عليه ذوو الأيدي القوية، وتصرفوا فيه تصرف المالكين بالقهر والغلبة، فهو موقوف على تظلم أربابه، ولا ينتزع من أحدهم إلا بأحد أربعة أمور:

إما باعتراف الغاصب،

وإما بعلم والي المظالم. فيجوز له أن يحكم عليه بعلمه، على اختلاف فيه.

وإما ببينة تشهد على الغاصب بغصبه، أو تشهد للمغصوب منه بملكه، وإما بتظاهر الأخبار التي ينتفي عنها التواطؤ.

السادس: مشارفة الوقوف. وهي ضربان: عامة وخاصة.

أما العامة، فيبدأ بتصفحها، وإن لم يكن فيها متظلم، ليجريها على سبلها، ويمضيها على شروط واقفيها، إذا عرفها من أحد ثلاثة أوجه:

إما من دواوين الحكام المندوبين لحراسة الأحكام،

وإما من دواوين السلطنة، على ما جرى فيها من معاملة، أو ثبت لها من ذكر وتسمية.

وإما من كتب فيها قديمه يقع في النفس صحتها. وإن لم يشهد بها.

وأما الوقوف الخاصة: فإن نظره فيها موقوف على تظلم أهلها عند التنازع فيها، لوقوفها على خصوم متعينين. فيعمل عند التشاجر فيها على ما ثبت به الحقوق عند الحكام.

ولا يجوز أن يرجع فيها إلى ديوان السلطنة، ولا إلى ما يثبت من ذكرها في الكتب القديمة، إذا لم يشهد بها شهود معدلون.

السابع: تنفيذ ما وقف من أحكام القضاة، لضعفهم عن إنفاده،

وعجزهم عن المحكوم عليه لتعززه، وقوة يده، أو لعلو قدره، وعظم خطره. فيكون ناظر المظالم أقوى يداً وأنفذ أمراً، فينفذ الحكم على ما توجه عليه، بانتزاع ما في يده، أو بإلزامه الخروج مما في ذمته.

الثامن: النظر فيما عجز عنه الناظرون في الحسبة من المصالح العامة. كالمجاهرة بمنكر ضعف عن دفعه، والتعدي في طريق عجز عن منعه، والتحيف في حق لم يقدر على ردعه، فيأخذهم بحق الله تعالى في جميعه. ويأمر بحملهم على موجبه.

التاسع: مراعاة العبادات الظاهرة كالجمع، والأعياد، والحج، والجهاد. من تقصير فيها، أو إخلال بشروطها. فإن حقوق الله تعالى أولى أن تستوفى، وفروضه أحق أن تؤدى.

العاشر: النظر بين المتشاجرين، والحكم بين المتنازعين، فلا يخرج في النظر بينهم عن موجب الحق ومقتضاه، ولا يجوز أن يحكم بينهم بما لا يحكم الحكام والقضاة. وربما اشتبه حكم المظالم على الناظرين فيها، فيجورون في أحكامهم، ويخرجون إلى الحد الذي لا يسوغ منها»[1].

صور ونماذج منها:

وبعد أن بينا أنواع المظالم، نورد صوراً ونماذج للمظالم التي حدثت على عهد الدولة الأموية والتي بت عمر بن عبدالعزيز فيها وأزالها، مطبقاً بذلك العدل الإسلامي في أجلى مظاهره: فإذا كان من واجبات ناظر المظالم أن ينظر في تعدي الولاة على الرعية، ويتصفح أحوال هؤلاء الولاة، فإن أنصفوا قواهم وإن عسفوا استبدل غيرهم بهم، فإن عمر قام فور تسلمه السلطة بإراحة الرعية من بعض العمال الظالمين الذين طالما توددوا للخلفاء على حساب ظلم الرعية بغية أن يحظوا لديهم، ويؤثروا، فيروي ابن عبدالحكم أن عمر بن عبدالعزيز دعا

---

(١) أبو يعلى: **الأحكام السلطانية**، ص ٧٦ ــ ٧٩؛ وانظر الماوردي: **الأحكام السلطانية** ص ٨٠ ــ ٨٣.

بدواة وقرطاس فور انتهائه من دفن سليمان مباشرة، وكتب ثلاثة كتب حمل أحدها عزل أسامة بن زيد التنوخي عن خراج مصر[1].

كما حمل الكتاب الآخر عزل محمد بن يزيد، مولى ريحانة بنت أبي العاص الذي ولاه سليمان بن عبدالملك على أفريقية في عام سبعة وتسعين للهجرة[2].

«وكان عامل سوء يظهر التأله والنفاذ لكل ما أمر به السلطان مما جل أو صغر من السيرة بالجور. والمخالفة للحق، وكان في هذا يكثر الذكر والتسبيح ويأمر بالقوم فيكونوا بين يديه يعذبون، وهو يقول: سبحان الله والحمد لله، شد يا غلام موضع كذا وكذا، لبعض مواضع العذاب، وهو يقول: لا إله إلا الله والله أكبر، شد يا غلام موضع كذا وكذا، فكانت حالته تلك شر الحالات»[3].

ومن صور المظالم التي أسقطها عمر بن عبدالعزيز، وأراح الناس منها ما يعرف بكسور الدراهم، وقصة ذلك: أن «عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسط الخراج على أهل السواد وما فتح من نواحي المشرق والمغرب ورقاً وعيناً، وكانت الدراهم والدنانير مضروبة على وزن كسرى وقيصر، وكان أهل البلدان يؤدون ما في أيديهم من المال عدداً ولا ينظرون في فضل بعض الأوزان على بعض، ثم فسد الناس فصار أرباب الخراج يؤدون الطبرية التي هي أربعة دوانق، وتمسكوا بالوافي الذي وزنه وزن المثقال، فلما ولي زياد العراق، طالب بأداء الوافي وألزمهم الكسور، وجاز فيه عمال بني أمية، إلى أن ولي عبدالملك بن مروان، فنظر بين الوزنين وقدر وزن الدراهم على نصف وخمس المثقال، وترك المثقال على حاله، ثم إن الحجاج من بعده أعاد المطالبة بالكسور حتى أسقطها عمر بن عبدالعزيز»[4].

كذلك منع عمر التفرقة في المعاملة بين العرب والموالي، لأن الإسلام قد

---

(١) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٣١ ــ ٣٢.

(٢) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣١٨.

(٣) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٣٢ ــ ٣٣.

(٤) الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص ٨٠ ــ ٨١.

سوى بين الجميع، ويفصح النص الآتي عن ذلك بجلاء: أرسل والي عمر على خراسان الجراح بن عبدالله الحكمي وفداً يتكون من «رجلين من العرب، ورجل من الموالي من بني ضبة... وكان فاضلاً في دينه. (إلى الخليفة)... فتكلم العربيان والآخر جالس، فقال له عمر: أما أنت من الوفد؟ قال: بلى قال فما يمنعك من الكلام؟ قال: يا أمير المؤمنين، عشرون ألفاً من الموالي يغزون بلا عطاء أو رزق، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج وأميرنا عصبي جاف، يقوم على منبرنا فيقول: أتيتكم حفياً، وأنا اليوم عصبي! والله لرجل من قومي أحب إلي من مائة من غيرهم. وبلغ من جفائه أن كم درعة يبلغ درعه، وهو بعد سيف من سيوف الحجاج، قد عمل بالظلم والعدوان فقال عمر: إذن مثلك فليوفد»[1].

كما قام عمر برد الغصوب التي أخذت من أصحابها بالقوة، وذلك حين بلغه تظلم أصحابها، ومثال هذا ما روى من أنه «خرج ذات يوم إلى الصلاة، فصادفه رجل ورد من اليمن متظلماً فقال:

تدعون حيران مظلوماً ببابكم فقد أتاك بعيد الدار مظلوم

فقال ما ظلامتك؟ فقال: غصبني الوليد بن عبدالملك ضيعتي، فقال يا مزاحم ائتني بدفتر الصوافي. فوجد فيه أصفى عبدالله الوليد بن عبدالملك ضيعة فلان، فقال: أخرجها من الدفتر، وليكتب برد ضيعته إليه، ويطلق له ضعف نفقته»[2].

ومثل آخر يرويه البلاذري عن مسلمة بن محارب قال:

«لما ولي محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف الثقفي اليمن أساء السيرة وظلم الرعية، وأخذ أراضي الناس بغير حقها، فكان مما اغتصبه الحرجة، قال: وضرب على أهل اليمن خراجاً جعله وظيفة عليهم، فلما ولى عمر بن عبدالعزيز كتب إلى عامله يأمره بإلغاء تلك الوظيفة، والاقتصار على

---

(١) الطبري: تاريخ ٥٥٩/٦.

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٨٢.

العشر، وقال: والله لأن تأتيني من اليمن حفنة كتم أحب إلي من إقرار هذه الوظيفة»[1].

وفي إحدى الرسائل التي بعثها عمر إلى عماله، أمر فيها بمنع أمور منكرة كانت قد انتشرت في بعض الأمصار، وقد جاء فيها:

«أما بعد، فإنه ذكر لي أن نساء من أهل السفه، والجفاء يخرجن إلى الأسواق عند موت الميت ناشرات رؤوسهن، ينحن نياحة أهل الجاهلية ولعمري ما رخص للنساء في وضع خمرهن مذ أمرن أن يضربن بهن على جيوبهن، فانه عن هذه النياحة نهياً شديداً، وتقدم إلى صاحب شرطكم فلا يقرن نوحاً في دار ولا طريق، فإن الله قد أمر المؤمنين عند مصائبهم بخير الأمرين في الدنيا والآخرة. فقال: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾[2].

كما أمر بمنع دخول أحد الحمامات دون لبس الازار[3]. ولقد وجه عمر اهتماماً خاصاً نحو العبادات الظاهرة، كالجمع، والأعياد، والحج، والجهاد حتى لا يكون تقصير فيها، أو إخلال بشروطها. بما أن حقوق الله تعالى أولى أن تستوفى، وفروضه أحق أن تؤدى، فأرسل إلى عماله يقول: «من عبدالله عمر أمير المؤمنين، إلى أمراء الأجناد، أما بعد، فإن عرى الدين، وقوام الإسلام، الإيمان بالله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة. وحافظ على أوقات الصلوات، فإن وقتها الهجيرة بالظهر، وصلاة العصر والشمس بيضاء نقية لم يدخلها صفرة. وصلاة المغرب لفطر الصائم، ولا تصلين العشاء حتى يذهب شفق الأفق وهو البياض، فإذا ذهب فصلها فيما بين ثلث الليل، وما عجلتها بعد ذهاب بياض الأفق فهو أحسن وأصوب، فإن من تمامها وإصابة وقتها انتظار ما وصفت لك في

---

(١) فتوح البلدان، ص ٨٤.

(٢) الآيتان ١٥٦، ١٥٧ من سورة البقرة، وانظر ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٨٩ ــ ٩٠.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٥٧.

كتابي هذا منها ثم صل صلاة الفجر بغلس، وحافظ على ذلك، فإن المحافظة عليها حق، واصبر نفسك على ذلك، واجتنب الأشغال عند حضور الصلوات، واكتب بذلك إلى عمالك بالمدائن والقرى وحيث ما كانوا. فـ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا﴾[1] و«﴿إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾[2]، فإنه من يضيع الصلاة فهو لما سواها من شرائع الإسلام أشد تضييعاً. ثم أكثر تعاهد شرائع الإسلام ومر أهل العلم والفقه من جندك، فلينشروا ما علمهم الله من ذلك، وليتحدثوا به في مساجدهم والسلام عليك»[3].

واكتفى بذكر تلك النماذج مما صنع أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز في هذا المجال، فإن في المبحث التالي تفصيلاً أكثر، وبياناً أوضح، لرد المظالم الذي تحمل عبئه منذ أول يوم في خلافته حتى لحق بربه، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

□ □ □

(١) آية ١٠٢ من سورة النساء.
(٢) آية ٤٥ من سورة العنكبوت.
(٣) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٦٧ ــ ٦٨.



المبحث الثـاني

سياسة عمر بن عبدالعزيز في رد المظالم

تمهيـــد:

بعد أن درسنا كيف تكونت شخصية عمر بن عبدالعزيز، ومنابع العلم والخير فيها، ووجدنا كيف أجمع الكتاب على أنه قد بلغ منزلة ساووه فيها بالخلفاء الراشدين، وعدوه الخليفة الخامس بينهم، وكيف أن فترة حكمه على قصرها قد أخذت من الشهرة مكاناً بارزاً في مصادر البحث الفقهي والتاريخي والسياسي، كل ذلك لو أمعنا فيه النظر لوجدنا أن الأساس الذي قامت عليه هذه الشهرة يرجع إلى عاملين هما زهده، ورده للمظالم.

أما العامل الأول، فيتصل بشخصه هو، وأخذه نفسه بالشدة، وزهده بالدنيا، وإقباله على الآخرة حتى اشتهر بأنه الخليفة الزاهد، إذ كان مؤمناً، بأن الله سبحانه وتعالى قد قلده الجليل من الأمر الذي ثوابه أعظم الثواب، وعقابه هو أشد العقاب. فكان يؤمن بأنه الراعي المسؤول عن الأمة كلها.

وعلم أيضاً أن رعايته للأمة الإسلامية هي في إقامة الحق فيها ولاه الله وقلده إياه. ونتيجة لذلك كان إذا عرض عليه أمران، أحدهما للدنيا، والآخر للآخرة اختار أمر الآخرة، وذلك ليقينه أنه محاسب يوم القيامة على كل كبيرة وصغيرة، فكان يخشى أن يلقى الله وهو سالك سبيل الظالمين، فأراد أن يعد لذلك اليوم عدته، فزهد في دنياه وأقبل على آخرته حتى عرف بالخليفة الزاهد.

أما العامل الثاني: فهو رده للمظالم، وحزمه في ذلك، بحيث شمل رد

المظالم كل رعايا الدولة الإسلامية، ابتداء من شخصه هو، وانتهاء بأهل الذمة والموالي، فانتصف للحق حيثما وجده، وحارب الظلم أين لاقاه، دون أن يعبأ بما يواجهه من صعوبات في ذلك، من أبناء البيت الأموي الذين أخذوا بهذا الإجراء الحازم الذي مارسه منذ اليوم الأول لخلافته، بل لا أكون مبالغة إذا قلت بأن عمر بن عبدالعزيز قد بدأ عمله هذا قبل توليه الخلافة، وقد رأينا ذلك جلياً واضحاً أثناء ولايته على المدينة، من إيوائه لأولئك المضطهدين والمظلومين من قبل الحجاج، وقد أدى به ذلك إلى عزله، كما ظهرت في جرأته بنصحه الوليد بن عبدالملك بمنع ولاته من القيام بحد أو قطع إلا بعد الرجوع إليه، لمنع ذلك العسف الذي كان يسومه الحجاج أهل العراق، ثم تحايل الحجاج لإحباط مثل هذا الإجراء الذي أحرجه[1]. ثم ظهر واضحاً في وعظه سليمان بن عبدالملك وما أجراه الله على يده من خير، فيروى عن مكي بن إبراهيم أنه قال: «كنا عند عبدالعزيز بن أبي رواد في المسجد، فارتفعت سحابة فجاءت برعد وبرق وصواعق، ففزع القوم فتفرقنا، فلما سكنت عدناً، فقال عبدالعزيز: خرج سليمان بن عبدالملك يوماً إلى بعض البوادي، فأصابهم نحواً من هذا، ففزع سليمان، ونادى: يا عمر، يا عمر، وكانوا ـ يعني بني أمية ـ إذا أصابتهم شدة فزعوا إلى عمر بن عبدالعزيز، فإذا عمر ينادي هأنذا. قال: ألا ترى؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنما هذا صوت نعمة، فكيف لو سمعت صوت عذاب، فقال: خذ هذه المائة ألف درهم، وتصدق بها. فقال عمر: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: وما هو؟ قال: قوم صحبوك في مظالم لهم لم يصلوا إليك. قال: فجلس سليمان فرد المظالم»[2].

وانطلاقاً من ذلك، أعلنها عمر بن عبدالعزيز على الملأ وبأعلى صوته من فوق المنبر في صدر ولايته قائلاً: «أيها الناس، إلحقوا ببلادكم. فإني أنساكم عندي وأذكركم ببلادكم، وإني قد استعملت عليكم رجالاً لا أقول هم

---

(١) انظر ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١١٤.

(٢) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٤٢ ـ ٤٣.

خياركم، ولكنهم خير ممن هو شر منهم، ألا فمن ظلمه إمامه مظلمة فلا إذن له علي، ومن لا ، فلا أينه، ألا وإني منعت نفسي وأهل بيتي هذا المال فإن ضننت به عليكم إني إذن لضنين، والله لولا أن أنعش سنة أو أسير بحق، ما أحببت أن أعيش فواقاً»[1].

وفيما يلي سوف أتعرض لرد عمر للمظالم كي أوضح أن هذا العمل كان أحد المعالم البارزة في سياسته طوال فترة حكمه.

أولاً: أمير المؤمنين يبدأ بنفسه

وتنفيذاً لما أراده عمر من رد الظلم مهما كان صغيراً أو كبيراً بدأ بنفسه، روى ابن سعد: أنه لما رد عمر بن عبدالعزيز المظالم قال: «إنه لينبغي أن لا أبدأ بأول من نفسي»[2]. لأنه إن هو استطاع تجريدها من كل زينة قدر على الآخرين، وكان بهذا قدوة لغيره من الناس بما فيهم أهل بيته، «فنظر إلى ما في يديه من أرض، أو متاع، فخرج منه حتى نظر إلى فص خاتم. فقال: هذا مما كان الوليد بن عبدالملك أعطانيه مما جاءه من أرض المغرب فخرج منه»[3].

وكان ذلك لإصراره على قطع كل شك بيقين، وحتى يطمئن إلى أن ما في يده لا شبهة فيه لظلم أو مظلمة حتى ولو كان ورثه، خصوصاً وأن القصص والحكايات كانت كثيرة يتناقلها الناس عن مظالم ارتكبت على عهد خلفاء بني أمية، وعمالهم، وقد بلغ به حرصه على التثبت أنه نزع حلي سيفه من الفضة، وحلاه بالحديد، قال عبدالعزيز بن عمر: «كان سيف أبي محلى بفضة فنزعها، وحلاه حديداً»[4].

وكان خروجه مما بيده من أرض أو متاع بعدة طرق كالبيع، ذلك أنه حين

---

(١) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٣٦ ــ ٣٧؛ وانظر ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٤٣.
(٢) **الطبقات** ٥/٣٤١.
(٣) المصدر السابق ٥/٣٤١ ــ ٣٤٢.
(٤) المصدر السابق ٥/٣٥٥.

«استخلف نظر إلى ما كان له من عبد، وإلى لباسه وعطره وأشياء من الفضول، فباع كل ما كان به عنه غني، فبلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار، فجعله في السبيل»[1].

أو عن طريق ردها إلى أصحابها الأصليين، وهذا ما فعله بالنسبة للقطائع التي أقطعه إياها قومه، يروي ابن الجوزي عن إسماعيل بن أبي حكيم أنه قال: «كنا عند عمر بن عبدالعزيز حتى تفرق الناس، ودخل إلى أهله للقائلة، فإذا مناد ينادي: الصلاة جامعة. قال: ففزعنا فزعاً شديداً مخافة أن يكون قد جاء فتق من وجه من الوجوه، أو حدث. قال جويرية: وإنما كان أنه دعا مزاحماً فقال: يا مزاحم؛ إن هؤلاء القوم قد أعطونا عطايا والله ما كان لهم أن يعطوناها، وما كان لنا أن نقبلها، وإن ذلك قد صار إلي ليس علي فيه دون الله محاسب. فقال له مزاحم: يا أمير المؤمنين، هل تدري كم ولدك؟ هم كذا وكذا، قال: فذرفت عيناه، فجعل يستدمع ويقول: أكلهم إلى الله. قال: ثم انطلق مزاحم من وجهه ذلك حتى استأذن على عبدالملك، فأذن له ــ وقد اضطجع للقائه ــ فقال له عبدالملك: ما جاء بك يا مزاحم هذه الساعة؟ هل حدث حدث؟. قال: نعم، أشد الحدث عليك وعلى بني أبيك. قال: وما ذاك؟ قال: دعاني أمير المؤمنين ــ فذكر له ما قاله عمر ــ فقال عبدالملك: فما قلت له؟ قال: قلت له يا أمير المؤمنين، تدري كم ولدك؟ هم كذا وكذا، قال: فما قال لك؟ قال: جعل يستدمع ويقول: أكلهم إلى الله تعالى. قال عبدالملك بئس وزير الدين أنت يا مزاحم. ثم وثب فانطلق إلى باب أبيه عمر، فاستأذن عليه، فقال له الآذن: إن أمير المؤمنين قد وضع رأسه للقائلة. قال: استأذن لي. فقال له الآذن: أما ترحمونه ليس له من الليل والنهار إلا هذه الوقعة؟ قال عبدالملك: استأذن لي، لا أم لك. فسمع عمر الكلام، فقال من هذا؟ قال: هذا عبدالملك. قال: إئذن له. فدخل عليه ــ وقد اضطجع عمر للقائلة ــ فقال: ما حاجتك يا بني هذه الساعة؟ قال: حديث حدثنيه مزاحم.

---

(١) المصدر السابق ٥/٣٤٥.

قال: فأين وقع رأيك من ذلك؟ قال: وقع رأيـي على إنفاذه. قال: فرفع عمر يديه. ثم قال: الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني. نعم يا بني أصلي الظهر، ثم أصعد المنبر فأردها علانية على رؤوس الناس. فقال عبدالملك: يا أمير المؤمنين، ومن لك إن بقيت إلى الظهر أن تسلم لك نيتك إلى الظهر. قال: فقال عمر: قد تفرق الناس ورجعوا للقائلة، فقال عبدالملك: تأمر مناديك ينادي: الصلاة جامعة، فيجتمع الناس. قال إسماعيل: فنادى المنادي: الصلاة جامعة. قال: فخرجت فأتيت المسجد، فجاء عمر فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا، والله ما كان لهم أن يعطوناها وما كان لنا أن نقبلها. وإن ذلك قد صار إلي ليس علي فيه دون الله محاسب، ألا وإني قد رددتها، وبدأت بنفسي وأهل بيتي: إقرأ يا مزاحم، قال ـ وقد جيء بسفط قبل ذلك، أو قال جرنة ـ فيها تلك الكتب. قال: فقرأ مزاحم كتاباً منها، فلما فرغ من قراءته ناوله عمر ـ وهو قاعد على المنبر وفي يده جلم ـ قال: فجعل يقصه بالجلم. واستأنف مزاحم كتاباً آخر فجعل يقرؤه، فلما فرغ منه دفعه إلى عمر فقصه. ثم استأنف كتاباً آخر فما زال حتى نودي بصلاة الظهر»[1].

ومن بين ما رده عمر مما كان في يده من القطائع جبل الورس باليمن، وقطائع باليمامة[2] إلى جانب فدك وخيبر[3] والسويداء، فخرج منها جميعاً إلا السويداء، فقد قال عمر فيها: «ما من شيء إلا وقد رددته في مال المسلمين إلا

---

(١) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٠٧ ـ ١٠٨؛ وانظر البسوي: **المعرفة والتاريخ** ١/٦١٥ ـ ٦١٧؛ وابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣ / ورقة ١٤٣/أ؛ وابن الأثير: **الكامل** ٥/٦٣ ـ ٦٤.

(٢) اليمامة: تعد اليمامة من نجد وقاعدتها حجر، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام. ياقوت: **معجم البلدان** ٥/٤٤٢.

(٣) خيبر: ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام وتشتمل على سبعة حصون منها حصن ناعم والقموص وحصن أبي الحقيق وحصن الوطيح وحصن الكتيبة. ياقوت: **معجم البلدان** ٢/٤٠٩.

العين التي بالسويداء فإني عمدت إلى أرض براح ليس فيها لأحد من المسلمين ضربة سوط، فعملتها من صلب عطائي الذي يجمع لي مع جماعة المسلمين. وقد جاءت غلتها مائتا دينار»[١].

أما قرية فدك ــ التي تقع إلى شمال المدينة ــ فقد كانت تغل في السنة عشرة آلاف دينار تقريباً، فلما ولي عمر الخلافة سأل عنها وفحصها، فأخبر بما كان من أمرها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان حتى كان معاوية[٢]. فكتب ــ بناء على ذلك ــ إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كتاباً قال فيه:

«أما بعد فإني نظرت في أمر فدك وفحصت عنه، فإذا هو لا يصلح لي، ورأيت أن أردها على ما كانت عليه في عهد رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان، وأترك ما حدث بعدهم، فإذا جاءك كتابي هذا فاقبضها ووليها رجلاً يقوم فيها بالحق، والسلام عليك»[٣].

الكتيبة:

أما الكتيبة فهي حصن من حصون خيبر[٤].

وعندما تولى عمر بن عبدالعزيز كتب إلى عامله على المدينة أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم يقول: «... إفحص لي عن الكتيبة، أكانت خمس رسول الله صلى الله عليه وسلم، من خيبر أم كانت لرسول الله خاصة؟.

قال أبو بكر: فسألت عمرة بنت عبدالرحمن فقالت: إن رسول الله لما صالح بني أبي الحقيق جزأ النطاة والشق خمسة أجزاء، فكانت للكتيبة جزءاً

---

(١) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٤٠؛ البسوي: **المعرفة والتاريخ** ١/٥٧٠؛ ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١١٠.

(٢) راجع ابن سعد: الطبقات ٥/٣٨٨.

(٣) المصدر السابق ٥/٣٨٩.

(٤) حماد بن إسحاق بن إسماعيل الأزدي (ت ٢٦٧هـ): **تركه النبي والسبل التي وجهها فيها صلى الله عليه وسلم** (مخطوط)، ورقة ٨٠/أ.

منها، ثم جعل رسول الله خمس بعرات وأعلم في بعرة منها لله مكتوباً، ثم قال رسول الله: اللهم إجعل سهمك في الكتيبة، فكانت أول ما خرج السهم الذي مكتوب فيه لله على الكتيبة، فكانت الكتيبة خمس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت السهمان أغفالاً ليس فيها علامات، فكانت فوضى للمسلمين على ثمانية عشر سهماً.

قال أبو بكر: فكتبت إلى عمر بن عبدالعزيز بذلك»[1].

وبعد أن عرف عمر حال الكتيبة على عهد رسول الله، قرر إعادتها إلى ما كانت عليه في عهده، وعهد خلفائه، فأرسل إلى بشر بن حميد المزني يقول: «خذ هذا المال الأربعة آلاف دينار، أو خمسة آلاف دينار، فأقدم بها على أبي بكر بن حزم، فقل له فليضم إليه خمسة آلاف أو ستة آلاف حتى يكون عشرة آلاف دينار، وأن تأخذ تلك الآلاف من الكتيبة، ثم تقسم ذلك على بني هاشم، وتسوي بينهم الذكر والأنثى والصغير والكبير سواء. قال: ففعل أبو بكر»[2].

وقد فرح الهاشميون بهذا كثيراً، وأرسلوا إلى عمر رسائل يشكرون له صنيعه هذا، وأنهم قد حرموا هذا الحق منذ زمن معاوية، فيروي ابن سعد أنه: «لما قدم المال على أبي بكر بن حزم، فقسمه أصاب كل إنسان خمسين ديناراً. قال: فدعتني فاطمة بنت حسين وقالت: أكتب، فكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبدالله عمر أمير المؤمنين من فاطمة بنت حسين، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فأصلح الله أمير المؤمنين، وأعانه على ما ولاه، وعصم له دينه، فإن أمير المؤمنين كتب إلى أبي بكر بن حزم أن يقسم فينا مالاً من الكتيبة، ويتحرى بذلك ما كان يصنع من كان قبله من الأئمة الراشدين المهديين، فقد بلغنا ذلك وقسم فينا، فوصل الله أمير المؤمنين، وجزاه من وال خير ما جزى أحداً من الولاة، فقد كانت أصابتنا جفوة واحتجنا

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٨٩.

(٢) المصدر السابق ٥/٣٨٩ ـ ٣٩٠.

إلى أن يعمل فينا بالحق. فأقسم لك بالله يا أمير المؤمنين، لقد اختدم من آل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من كان لا خادم له، واكتسى من كان عارياً، واستنفق من كان لا يجد ما يستنفق[1].

ومن هذه الرسائل أيضاً ما يرويه ابن سعد عن يزيد بن عبدالملك النوفلي عن أبيه قال: لما قدم علينا مال الخمس من عند عمر بن عبدالعزيز، وقسم من عنده ومن الكتيبة فضّه على بني هاشم، الرجال والنساء، فكتب إليه في بني المطلب، فكتب إنما هم من بني هاشم فأعطوا.

قال عبدالملك بن المغيرة: فاجتمع نفر من بني هاشم، فكتبوا كتاباً، وبعثوا به مع رسول إلى عمر بن عبدالعزيز يتشكرون له ما فعله بهم من صلة أرحامهم، وأنهم لم يزالوا مجفيين منذ كان معاوية، فكتب عمر بن عبدالعزيز: قد كان رأيي قبل اليوم هذا، ولقد كلمت فيه الوليد بن عبدالملك، وسليمان، فأبيا علي، فلما وليت هذا الأمر تحريت به الذي أظنه أوفق إن شاء الله»[2].

رده حلــوان:

كما أرجع عمر للرجل المصري أرضه بحلوان بعد أن عرف أن والده عبدالعزيز قد ظلم المصري فيها، وتفصيل ذلك: «أتى رجل من أهل مصر عمر بن عبدالعزيز، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن عبدالعزيز أخذ أرضي ظلماً، قال: وأين أرضك يا عبدالله؟ قال: حلوان. قال عمر: أعرفها ولي شركاء وهذا الحاكم بيننا، فمشى عمر إلى الحاكم، فقضي عليه، فقال عمر: قد أنفقنا عليها، قال القاضي: ذلك بما نلتم من غلتها، فقد نلتم منها مثل نفقتكم، فقال عمر: لو حكمت بغير هذا ما وليت لي أمراً أبداً، وأمر بردها[3].

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٣٩٠.
(٢) المصدر السابق ٥/ ٣٩١.
(٣) العيون والحدائق، ص ٦١.



رده دار الربيع بن خارجة بالفسطاط:

وحتى الدار التي كان والده عبدالعزيز بن مروان قد اشتراها من الربيع بن خارجة الذي كان يتيماً في حجره، ردها عليه، لعلمه أنه لا يجوز اشتراء الولي ممن يلي أمره، قال عبدالرحمن بن عبدالحكم: «اختط خارجة بن حذافة غربي المسجد (أي المسجد الجامع بالفسطاط) بينه وبين دار ثوبان قبالة الميضأة القديمة إلى أصحاب الحناء إلى أصحاب السويق بينه وبين المسجد الطريق، وكان الربيع بن خارجة يتيماً في حجر، عبدالعزيز، فلما بلغ اشترى منه داره بعشرة آلاف دينار للأصبغ بن عبدالعزيز، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز ركب إليه وأخرج له كتاب حبس الدار، فردها عليه بعد أن يدفع إليه الثمن، فسأله أن يعطي كراءها، فقال أما الكراء فلا. الكراء بالضمان، فردها عليه ولم يأمر له بالكراء.

قال الليث بن سعد فرأيت الربيع فيها، وأنا إذ ذاك غلام. ثم خاصم فيها الاصبغ[١] إليه وابن شهاب قاضيه يومئذ، فقضا ابن شهاب لابن خارجة بالدار وقبضها أنه لا يجوز اشتراء الولي ممن يلي أمره...»[٢].

رده لجبل الورس باليمن:

ثم التفت إلى المال الذي كان يأتيه من جبل الورس باليمن، فرده إلى بيت مال المسلمين، رغم شدة حاجة أهله إلى هذا المال، لكنه كان دائماً يؤثر الحياة الآخرة على الحياة الدنيا[٣].

رده لقطائع اليمامة:

أما قطائع اليمامة فقد انفرد بذكرها البسوي في كتابه: المعرفة والتاريخ (١/٥٨٦) حين أورد قصة فزع مزاحم إلى عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز

---

(١) معروف أن الأصبغ قد مات على حياة والده عبدالعزيز كما ذكر الكندي في كتابه الولاة والقضاة، ص ٥٤ ـ ٥٥ وغيره وعلى ذلك يرجع أن يكون المقصود ابن الأصبغ.
(٢) فتوح مصر وأخبارها، ص ١٠٤.
(٣) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص ١٦٤.

ليخبره بما عزم عليه عمر من رده المظالم، فذكر له أن أباه يريد أن يرد البسيطة باليمامة(١).

رده للمال الذي كان يأتيه من البحرين:

كما أمر عمر بن عبدالعزيز مولاه مزاحماً برد المال الذي كان يأتيه من البحرين كل عام إلى مال الله، وسقط من ذهن مزاحم فلم يرده، ولما جيء به إلى عمر أمر مولاه مزاحم برده إلى بيت المال. ذكروا: «أن عمر بن عبدالعزيز جاءه ثلاثون ألف درهم من مال البحرين، فجاءه الذي يقوم على طعام أهله فقال: يا أمير المؤمنين، قد جاءك الله بنفقة. قال: من أين؟ قال: من مالك الذي بالبحرين، جاءتك ثلاثون ألفاً. قال: فاسترجع عمر وقال: ادع لي مزاحماً فلما جاءه مزاحم قال أي مزاحم، ما رددت ذلك المال الذي جاءنا من البحرين في مال الله. . . قال مزاحم: سقط علي يا أمير المؤمنين، قال: فاردده، وصل بهذا المال في بيت المسلمين(٢).

وهكذا بدأ عمر بنفسه ليضرب المثل ويكون الأسوة أمام رعيته حين رد من أملاكه كل ما شابته شائبة الظلم، أو الشك في خلاص حقه فيه، فرد كل ذلك إلى أصحابه، انطلاقاً من تمسكه بالزهد، وإيمانه برد المظالم إلى أصحابها تقوى لله، ووضعاً للحق في نصابه.

وبعد أن انتهى عمر من رد كل مال شك بأنه ليس له فيه حق اتجه إلى زوجته فاطمة بنت عبدالملك ــ وكان لها «جوهر ــ فقال لها عمر: من أين صار هذا المال إليك؟ قالت: أعطانيه أمير المؤمنين، قال: إما أن ترديه إلى بيت المال وأما أن تأذني لي في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت»(٣).

---

(١) قال ياقوت في **معجم البلـدان ٢/٤٢٤**. أن البسيطة هي: أرض بين العذيب والقاع.

(٢) البسوي: **المعرفـة والتاريخ** ١/٥٩٥؛ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق، مجلد ١٣/ ورقة ١٥٣** أ ــ ب؛ ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٦٥ ــ ١٦٦.

(٣) ابن سعد: **الطبقـات ٥/٣٩٣**؛ وانظر أحمد بن يوسف الشهير بالقرماني (ت ٩٣٩هـ) **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، (ط. بغداد) ١٢٨٢هـ، ص ١٣٩.

وقد أوضح عمر لها سبب كرهه له بقوله: «قد علمت حال هذا الجوهر وما صنع فيه أبوك، ومن أين أصابه، فهل لك أن أجعله في تابوت ثم أطبع عليه وأجعله في أقصى بيت مال المسلمين، وأنفق ما دونه، فإن خلصت إليه أنفقته، وإن مت قبل ذلك فلعمري ليردنه إليك. قالت له: افعل ما شئت ففعل ذلك، فمات ــ رحمه الله ــ ولم يصل إليه، فرد ذلك عليها أخوها يزيد بن عبدالملك فامتنعت من أخذه، وقالت: ما كنت لأتركه، ثم آخذه، فقسمه يزيد بين نسائه ونساء بنيه»[1].

ثانياً: رد مظالم بني أمية

وإذا كان عمر قد بدأ بنفسه في رد المظالم فقد ثنى في ذلك بأهل بيته، وبني عمومته وبأخوته من أفراد البيت الأموي، فلا أكون مبالغة إذا قلت أن عمر بن عبدالعزيز قد مارس وظيفة والي المظالم منذ لحظة توليه الخلافة، وفور فراغه من دفن ابن عمه سليمان بن عبدالملك، فقد رأى ما أذهله هو أن أبناء عمه من الأمويين أدخلوا الكثير من مظاهر السلطان التي لم تكن موجودة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، أو خلفائه الراشدين، فأنفقوا الكثير من المال من أجل الظهور بمظاهر العظمة والأبهة أمام رعيتهم. ومن تلك المظاهر المراكب الخلافية التي تتألف من براذين وخيول وبغال، ولكل دابة سائس، ومنها أيضاً تلك السرادقات والحجرات والفرش والوطاءات التي تعد من أجل الخليفة الجديد، وفوجىء بتلك الثياب الجديدة وقارورات العطر والدهن التي أصبحت له بحجة أن الخليفة الراحل لم يصبها فهي من حقه بصفته الخليفة الجديد، وهذا كله إسراف وتبذير لا مبرر له يتحمله بيت مال المسلمين، وهو بأمس الحاجة لكل درهم فيه لينفق في وجهه الصحيح الذي بينه الله ورسوله، وهنا أمر مولاه مزاحماً فور تقديم هذه الزينة له ببيعها، وضم ثمنها إلى بيت مال المسلمين[2].

---

(١) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٢ ــ ٥٣.

(٢) انظر، ص ٩٦ وما يليها من هذا البحث.

ولقد كانت لعمر بن عبدالعزيز سياسة محددة في رد المظالم من أفراد البيت الأموي تكونت لديه خطوطها فور تسلمه زمام الخلافة، حين وفد عليه أفراد البيت الأموي عقب انصرافه من دفن سليمان يسألونه ما عودهم الخلفاء الأمويون من قبله، وحين أراد عبدالملك أن يرد أفراد البيت الأموي عن أبيه كشف له أبوه عن سياسته تلك حين قال له: «وما تبلغهم؟ قال: أقول أبي يقرئكم السلام، ويقول لكم: ﴿إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾»[1].

ثم أوضحها له مرة أخرى حين جاءه يطالبه بالإسراع باستخلاص ما بأيدي الأمويين من مظالم، فقال: «يا بني، إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة وعقدة، وعروة عروة، ومتى ما أريد مكايدتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا علي فتقاً تكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يهراق في سببي محجمة من دم! أو ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة حتى يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الحاكمين؟»[2].

ثم زاد عمر في توضيح سياسته تلك حينما قال له ولده عبدالملك «ما يمنعك أن تمضي الذي تريد؟ فو الذي نفسي بيده، ما أبالي لو غلت بي وبك القدور، قال وحق هذا منك، قال: نعم والله قال عمر: الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يعينني على أمر ديني إني لو باهت الناس بالذي تقول لم آمن أن ينكروها. فإذا أنكروها لم أجد بداً من السيف ولا خير في خير لا يجيء إلا بالسيف، يا بني، إني أروض الناس رياضة الصعبة، فإن بطأ بي عمر أرجو أن ينفذ الله مشيئتي وأن تعدو منيتي فقد علم الله الذي أريده»[3].

وهكذا يتبع عمر بن عبدالعزيز أسلوب الحكمة والحسنى في تنفيذ سياسته

---

(١) الآية ١٥ من سورة الأنعام، والآية ١٣ من سورة الزمر؛ وانظر ابن عبدربه: **العقد الفريد**، ٤/٤٣٨.

(٢) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

على أساس أنه لم يكن من أصحاب الطفرة، وإنما يأخذ الناس على الوجه الذي يقيم به الدين، ويلغي به البدع دون إثارتهم، أو إحداث الاضطراب في حياتهم، ليظل المجتمع الإسلامي سائراً في طريق الخير الذي يريده الدين، ويعمل عمر على تحقيقه.

وتطبيقاً لهذه السياسة فإنه قد مهد لهذه الخطوة الحاسمة والخطيرة بخطوات تسبقها، ومن تلك الخطوات خروجه هو أولاً مما بيده من مظالم وردها إلى أصحابها، أو بيت المال، ثم اتجه بعدئذ إلى أبناء البيت الأموي فجمعهم وطلب إليهم أن يخرجوا مما بأيديهم من أموال، وإقطاعات أخذوها بغير حق، وذلك تمهيداً لاستخلاصها بالقوة بعد ذلك ممن لم يرعووا منهم. فيذكر ابن عبدربه: أن عمر بن عبدالعزيز قال لآذنه: «لا يدخل علي اليوم إلا مرواني، فلما اجتمعوا عنده حمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا بني مروان، إنكم قد أعطيتم حظاً وشرفاً وأموالاً. إني لأحسب شطر أموال هذه الأمة أو ثلثيها في أيديكم! فسكتوا. فقال عمر: ألا تجيبوني؟ فقال رجل من القوم: والله لا يكون ذلك حتى يحال بين رؤوسنا وأجسادنا. والله لا نكفر آباءنا ولا نفقر أبناءنا. فقال عمر: والله لا تركت في يد أحد منكم حقاً لمسلم، ولا معاهد إلا رددته. والله لولا أن تستعينوا علي بمن أطلب هذا الحق له لأضرعت خدودكم قوموا عني»[1].

ثم جرد بني أمية مما بأيديهم بقوة السلطان، فأمر مناديه أن ينادي «ألا من كانت له مظلمة فليرفعها»[2].

فتجرأ الناس برفع المظالم إليه من أهل بيته، وهي كما أوردها المؤرخون على النحو التالي:

أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، مظلمة دخلت علي. قال عمر: ومن يك؟ فقال: فلان بن فلان عمد إلى مال لي بكذا وكذا فأخذه. فقال: يا غلام ائتني بدواة وقرطاس فكتب إلى عامله: إن فلاناً ذكر لي كذا وكذا، فإن كان

---

(١) **العقد الفريد** ٣٧٤/٤؛ وانظر: **العيون والحدائق**، ص ٦١.

(٢) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٠٤.

الذي ذكر لي على ما ذكر فلا تراجعني فيه، واردده عليه. ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى فقال: ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾[1].

وكان للوليد بن عبدالملك ولد يدعى روح، وكان نشأ في البادية فكأنه أعرابي. فأتى رجل من المسلمين إلى عمر بن عبدالعزيز يخاصم روحاً في حوانيت بحمص، كانت له أقطعه إياها أبوه الوليد. فقال له عمر: اردد عليه حوانيته. قال له روح: معي سجل من الوليد بها. قال: وما يغني عنك سجل الوليد والحوانيت حوانيته، قد قامت لهم البينة عليها؟ اترك له حوانيته، فقام روح والحمصي منصرفين، فتوعد روح الحمصي فرجع الحمصي إلى عمر فقال: هو والله متوعدني يا أمير المؤمنين، فقال عمر لكعب بن حامد وكان على حرسه: اخرج إلى روح يا كعب فإن سلم إليه حوانيته فذلك، وإن لم يفعل ماقطع رأسه، فخرج بعض من سمع ذلك ممن يهمه أمر روح بن الوليد، فأخبر بالذي أمر به عمر فخلع فؤاده، وخرج إليه كعب وقد سل من السيف شبراً فقال له: قم فخل له حوانيته، قال: نعم فخلى له حوانيته[2].

كما أبطل قطيعة ابن من كانت له اليد الأولى في توليته الخلافة، معرضاً نفسه للنقد وهو سليمان بن عبدالملك، لأن من يخاف الله لا يعرف أسلوب المجاملات إلى نفسه طريقاً، وهذا ما فعله عمر رغم تدخل مولاه مزاحم.

جاء ابن لسليمان بن عبدالملك إلى مزاحم وقال: «إن لي حاجة إلى أمير المؤمنين عمر، قال فاستأذنت له. فقال: أدخله. فأدخلته على عمر فقال ابن سليمان: يا أمير المؤمنين، علام ترد قطيعتي؟ قال: معاذ الله أن أرد قطيعة صحت في الإسلام. قال فهذا كتابي وأخرج كتاباً من كمه، فقرأه عمر، فقال لمن كانت هذه الأرض؟ قال للفاسق بن الحجاج. قال عمر: فهو أولى بماله، قال فإنها من بيت مال المسلمين، قال: فالمسلمون أولى بها قال: يا أمير المؤمنين

---

(١) آية ١٠٦ من سورة الصافات؛ انظر: ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٣ ــ ٥٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٥١ ــ ٥٢.

رد على كتابي، قال: لو لم تأتني به لم أسألكه، فأما إذا جئتني به فلا ندعك تطالب بباطل. قال فبكى ابن سليمان، قال مزاحم فقلت يا أمير المؤمنين، ابن سليمان اللاطىء الحب، اللازق بالقلب، تصنع به هذا: قال ويحك يا مزاحم! إنها نفسي أحاول عنها، وإني لأجد له من اللوط ما أجد لولدي»[1].

وحتى الأعطيات التي اختص بها خلفاء بني أمية أقاربهم دون باقي الرعية منعها عمر، ومن ذلك ما يرويه ابن عبدالحكم أن«سليمان بن عبدالملك كان قد أمر لعنبسة بن سعيد بن العاص بعشرين ألف دينار، فدارت في الدواوين حتى انتهت إلى ديوان الختم، فلم يبق إلا قبضها فتوفي سليمان قبل ذلك. وكان عنبسة صديقاً لعمر بن عبدالعزيز، فأتى عنبسة يريد كلام عمر فيها، فوجد بني أمية حضروا بباب عمر يريدون الإذن عليه ليكلموه في أمورهم، فلما شاهدوا عنبسة قالوا: ننظر ما يصنع به قبل أن نكلمه، فقالوا له: أعلم أمير المؤمنين مكاننا وأعلمنا ما يصنع بك في أمورك.

فدخل عنبسة على عمر فقال له: يا أمير المؤمنين، إن أمير المؤمنين سليمان قد كان أمر لي بعشرين ألف دينار حتى انتهت إلى ديوان الختم، ولم يبق إلا قبضها، فتوفي سليمان قبل ذلك وأنت أولى باستتمام الصنيعة عندي، وما بيني وبينك أعظم مما كان بيني وبين أمير المؤمنين سليمان قال له عمر: كم ذلك؟ قال: عشرون ألف دينار، قال عمر: عشرون ألف دينار تغني أربعة آلاف بيت من المسلمين وأدفعها إلى رجل واحد؟ والله مالي إلى ذلك من سبيل. قال عنبسة: فرميت كتاب الصك فقال لي عمر: لا عليك أن يكون معك. فلعله أن يأتيك من هو أجرأ على هذا المال مني فيأمر لك بها. قال عنبسة فأخذته تبركاً برأيه[2].

ويدخل في هذا الباب من حيث توفير مال المسلمين وقطع كل ما استنه الخلفاء الأمويون لتبديد أموال المسلمين أن عمر بن عبدالعزيز منع العطايا التي

---

(١) الأصبهاني: حلية الأولياء ٥/٢٨١ ــ ٢٨٢.

(٢) سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص ٤٩ ــ ٥٠.

كان الشعراء يتقاضونها مقابل مدحهم للخلفاء[1].

كذلك قطع عن حراس البيت الأموي أرزاقهم التي كانوا يأخذونها من بيت المال[2]. «وما زال عمر بن عبدالعزيز يرد المظالم من لدن معاوية إلى أن استخلف أخرج من أيدي ورثة معاوية ويزيد بن معاوية حقوقاً»[3].

كما أنه أراد نزع ما في مسجد بني أمية في دمشق من رخام وفسيفساء وذهب وسلاسل، وأن يرد ذلك كله إلى بيت المال، يقول ابن كثير: «لما ولي عمر بن عبدالعزيز عزم على أن يجرد جامع بني أمية في دمشق مما فيه من ذهب، ويقلع السلاسل والرخام والفسيفساء. ويرد ذلك كله إلى بيت المال، ويجعل مكانه طيناً، فشق ذلك على أهل البلد، واجتمع أشرافهم إليه، وقال خالد بن عبدالله القسرى: أنا أكلمه لكم، فقال له: يا أمير المؤمنين، بلغنا عنك كذا وكذا، قال: نعم! فقال خالد: ليس ذلك لك يا أمير المؤمنين، فقال عمر: ولم؟ قال: يا أمير المؤمنين، لأن غالب ما فيه من الرخام إنما حمله المسلمون من أموالهم من سائر الأقاليم، وليس هو لبيت المال، فأطرق عمر. قالوا: واتفق في ذلك الوقت قدوم جماعة من بلاد الروم رسلاً من عند ملكهم فلما دخلوا المسجد ورأوا ما بهر عقولهم من حسنه الباهر، والزخرفة التي لم يسمع بمثلها، صعق كبيرهم، وخر مغشياً عليه فلما شفي سألوه عما عرض له، فقال: ما كنت أظن أن يبنى المسلمون مثل هذا البناء، وكنت أعتقد أن مدتهم تكون أقصر من هذا فلما بلغ ذلك عمر بن عبدالعزيز قال أو أن الغيظ أهلك الكفار، دعوه[4].

كما قطع أيضاً عادة استنها ولاة بني أمية، وهي أنهم كانوا يجرون على

---

(١) الأصفهاني: **الأغاني** ١٥٢/٨ ــ ١٥٤.

(٢) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٢٥.

(٣) ابن سعد: **الطبقات**، ٣٤٢/٥.

(٤) **البداية والنهاية** ١٥١/٩؛ وانظر محمد بن أحمد المقدسي (ت ٣٧٥هـ): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، (ط ليدن) ١٩٠٦م، ص ١٦٠؛ **والعيون والحدائق**، ص ٥.

إجمار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للجمع وتطييبه في شهر رمضان من العشر والصدقة، فجاء كتاب عمر لواليه على المدينة يأمره فيه بمحو آثار ذلك الطيب من المسجد، قال ابن عجلان ـ راوي الخبر ـ: أنا رأيتهم يغسلون آثار الطيب من المسجد بالماء والملاحف[1].

وقد اتبع عمر في سياسته في رد المظالم لأهلها بالاكتفاء باليسير: إذا عرف وجه مظلمة الرجل ردها عليه، ولم يكلفه تحقيق البنية لما يعرف من غشم الولاة قبله على الناس»[2].

أثر هذه السياسة على بني أمية:

ولقد ضج بنو أمية مما لحق بهم على يد عمر، فلم يروا فيه إلا أنه كان يريد أن يفقرهم، ناسين حق الله عليهم. وعلى عمر، وانقلب هذا الضجر إلى شكوى لكل الناس، فحاولوا توسيط ابنه عبدالملك بينه وبينهم، ولم يعلموا أن الابن كأبيه لا يخشى في الله لومة لائم، فذكروا أنه «اجتمع نفر من بني أمية إلى عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز، فقالوا له: إن أباك قطع أرحامنا، وانتزع ما في أيدينا، وعاب على سلفنا، وإنا والله لا نصبر له على ذلك، فقل له يكف عنا ما نكره، ففعل ذلك عبدالملك، ودخل عليه فأخبره بذلك، فكأن عمر وجد في نفسه مما قال، فقال له عبدالملك: يا أمير المؤمنين، امض لما تريد، فوالله لوددت أنه قد غلت بي وبك القدور في الله، فقال له جزاك الله خيراً من ولد، ثم قال الحمد لله الذي شد ظهري بسهل أخي، وعبدالملك ومزاحم»[3].

أما ابن سعد فيذكر أنهم:

«قالوا لعبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز: أبوك خالف قومه وفعل وصنع، فقال: إن أبي يقول: ﴿قل اني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾[4].

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٩٩.

(٢) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٠٦ ــ ١٠٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٥.

(٤) آية ٢٥ من سورة الأنعام، وانظر: **الطبقات** ٥/٣٨١.

ولما يئسوا من وساطة ابنه استغاث بنو أمية بكل واحد من علية القوم فلم يفدهم ذلك شيئاً، فذهبوا إلى عمتهم فاطمة بنت مروان وشكوا إليها ما لا قوه من عمر بن عبدالعزيز من أخذ لأموالهم، واستنقاص عنده، وأنه لا يرفع بهم رأساً، وكانت عمتهم هذه لا تحجب عن الخلفاء ولا يرد لها طلب أو حاجة، وكانوا يكرمونها ويعظمونها، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل استخلافه، فذهبت إليه، فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها كعادته، لأنها أخت أبيه، وألقى لها وسادة لتجلس عليها.

«فقالت: إن قرابتك يشكونك ويذكرون أنك أخذت منهم خير غيرك قال: ما منعتهم حقاً أو شيئاً كان لهم، ولا أخذت منهم حقاً أو شيئاً كان لهم. فقالت: إني رأيتهم يتكلمون، وإني أخاف أن يهيجوا عليك يوماً عصيباً. فقال: كل يوم أخافه دون يوم القيامة، فلا وقاني الله شره. قال فدعا بدينار، وجنب، ومجمرة، فألقى ذلك الدينار في النار وجعل ينفخ على الدينار حتى إذا احمر تناوله بشيء، فألقاه على الجنب فنشى وقتر فقال: أي عمة أما ترثين لابن أخيك من مثل هذا؟ قال: فقامت فخرجت على قرابته فقالت: تزوجون إلى (آل) عمر فإذا نزعوا الشبه جزعتم، اصبروا له»[1].

أو قالت لهم: «أنتم فعلتم هذا بأنفسكم، تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبه جده فسكتوا»[2].

ثم رأوا أنه لا بد لهم من مواجهته بأنفسهم، ومحادثته بشأنهم ونهيه عما أخذه منهم عله يرجع عن عزمه «فاجتمعوا إليه، فقالوا: إنك قد أجلبت بيت مال المسلمين، وأفقرت بني أبيك فيما ترد من هذه المظالم، وهذا أمر قد وليه غيرك قبلك، فدعهم وما كان منهم، واشتغل أنت وشأنك، واعمل بما رأيت. قال لهم: هذا رأيكم؟ قالوا: نعم. قال: ولكنني لا أرى ذلك، والله لوددت أن

---

(١) المصدر السابق ٥/٥٧٣؛ وانظر: ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١١٧؛ وابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/٢١٣.

(٢) ابن الأثير: **الكامل** ٥/٦٤ ــ ٦٥.

لا تبقى في الأرض مظلمة إلا رددتها على شرط أن لا أرد مظلمة إلا سقط بها عضو من أعضائي أجد ألمه، ثم يعود كما كان حياً، فإذا لم يبق مظلمة إلا رددتها سالت نفسي عندها. قال: فخرجوا من عنده، فدخلوا على بعض ولد الوليد. ــ وكان كبيرهم وشيخهم ــ فسألوه أن يكتب إلى عمر يوبخه لعله أن يرده عن مساءتهم فكتب إليه:

أما بعد، فإنك أزريت بمن كان قبلك من الخلفاء، وسرت بغير سيرتهم، وسميتها المظالم نقصاً لهم، وعيباً لأعمالهم، وشاتماً لمن كان بعدهم من أولادهم. ولم يكن ذلك لك، فقطعت ما أمر الله به أن يوصل، وعملت بغير الحق في قِرابتك، وعمدت إلى أموال قريش ومواريثهم وحقوقهم، فأدخلتها بيت مالك ظلماً وجوراً وعدواناً، فاتق الله يا ابن عبدالعزيز، وراقبه، فإنك قد أوشكت لم تطمئن على منبرك، إن خصصت ذوي قرابتك بالقطيعة والظلم، فوالله الذي خص محمداً صلى الله عليه وسلم بما خصه به من الكرامة، لقد ازددت من الله بعداً. في ولايتك هذه التي تزعم أنها بلاء عليك، وهي كذلك. فاقتصد في بعض ميلك، وتَحاملك، اللهم فاسأل سليمان بن عبدالملك عما صنع بأمة محمد صلى الله عليه وسلم حين استخلفك عليهم»[1].

فأجابه عمر:

«من عمر أمير المؤمنين، إلى فلان بن الوليد، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن أول أمرك يا فلان أن أمك بنانة أمة السكوني كانت تدخل دور حمص، وتطوف حوانيتها، والله أعلم بها فاشتراها دينار بن دينـار من فيء المسلمين فأهداها إلى أبيك، فحملت بك فبئس المحمول، وبئس الجنين، ثم نشأت فكنت جباراً شقياً، كتبت إلى تظلمني، وزعمت أن حرمتك وأهل بيتك في مال المسلمين الذي فيه حق القرابة والضعيف والمسكين وابن السبيل، وإنما أنت كأحدهم لك ما لهم وعليك ما عليهم، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله الذي استعملك صبياً سفيهاً تحكم في دماء المسلمين، وأموالهم برأيك لم تحضره،

(١) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز** ١٢٦ ــ ١٢٧.

ولم يكن يحمله عليه إلا حب الولد، ولم يكن ذلك له، ولا حق له فيه، فويلك وويل أبيك ما أكثر طلابكما وخصمائكما يوم القيامة! وكيف النجاة لمن كثر خصماؤه؟ وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من جعل لفلانة البربرية سهماً في فيء المسلمين وصدقاتهم. أهاجرت ثكلتك أمك أم بايعت بيعة الرضوان، فتستوجب سهام المقاتلين؟ وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرابياً حلفاً جافياً على مصر، وأذن له في المعازف والبرابط والخمر. وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من ولى يزيد بن أبي مسلم على جميع المغرب يجبي المال الحرام، ويسفك الدم الحرام. رويدك، فإنه لو قد التقت عليك حلقنا البطان، وطالت بي حياة، ورد الله الحق إلى أهله، تفرغت لك ولأهل بيتك، فأقمتكم على المحجة البيضاء، فطال ما أخذتم بنيات الطريق، وتركتم الحق وراءكم، ومما وراء هذا ما أرجو أن يكون خير رأي أبته بيع رقبتك، فإن لكل مسلم فيك سهماً في كتاب الله. والسلام على من اتبع الهدى ولا ينال سلام الله الظالمين»[1].

فلما يئسوا منه استأذنوه في الرحيل لضياعهم والضرب في البلدان فأذن لهم[2].

ونختم حديثنا في هذا الموضوع بالقصة الطريفة التالية، والتي تبين مدى حب الناس لعمر، واحترامهم لرأيه رغم أنه جردهم من الاستمتاع بأملاك احتذوها دون غيرهم من الناس لأنهم علموا أنه كان على حق ويريد بهذا العمل المساواة والعدل اللذين نزل بهما القرآن، وبينتهما السنة الشريفة، روى إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني عن جده قال: «كنت عند هشام بن عبدالملك جالساً، فأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إن عبدالملك أقطع جدي قطيعة فأقرها الوليد وسليمان، حتى إذا استخلف عمر ـ رحم الله عمر ـ نزعها. قال له هشام: أعد مقالتك. قال: يا أمير المؤمنين، إن عبدالملك أقطع

(١) المصدر السابق، ص ١٢٨ ـ ١٢٩؛ وانظر أيضاً ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١١٢ ـ ١١٣.

(٢) ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ٥٠.

جدي قطيعة فأقرها الوليد وسليمان حتى إذا استخلف عمر ــ رحم الله عمر ــ نزعها. قال: والله، إن فيك لعجباً، إنك تذكر من أقطع جدك، ومن أقرها في يده فلا ترحم عليه، وتذكر من نزعها فتترحم عليه فإنا قد أمضينا ما صنع عمر ــ رحم الله عمر ــ قم»[١].

إبطاله سبّ عليّ:

ولم تكن المظالم عند عمر بن عبدالعزيز مادية خالصة، بل تجاوزها إلى المظالم المعنوية التي أصابت بعض الناس من قبل الحكام السابقين، فرفع عن الناس ما أصابهم منها. ومثال ذلك إبطاله سب علي رضي الله عنه على المنابر. ذلك أن الخلفاء الأمويين كانوا قد ابتدعوا سبه في سنة إحدى وأربعين هجرية[٢].

ويذكر الزهري، أن أول من مارس ذلك مروان بن عبدالحكم والي معاوية على المدينة[٣]، واستمر الحال إلى عهد عمر بن عبدالعزيز، حيث أبطل هذا السب في أول سنة تسع وتسعين هجرية، وجعل مكانه في آخر الخطبة قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾[٤]، ولم يسب علي بعد ذلك. وقد استمر الخطباء على قراءة هذه الآية[٥]، ــ حتى يومنا هذا في نهاية خطبة كل جمعة ــ وكان عمر قد كتب إلى ولاته في الآفاق إلى ترك السب[٦]، متأثراً بموقف والده من هذا السب إذ لم يكن راض عنه. يروي عمر بن عبدالعزيز فيقول: «كان أبي إذا خطب فنال من علي رضي الله عنه تلجلج، فقلت: يا أبت،

---

(١) البسوي: **المعرفة والتاريخ** ١/٦٠٤ ــ ٦٠٥.
(٢) أبو الفدا: **المختصر في أخبار البشر**، ص ٢٠١.
(٣) ابن الجوزي: **تذكرة خواص الأمة في معرفة الأئمة**، (طبع حجر).
(٤) آية ٩٠ من سورة النحل.
(٥) أبو الفداء: **المختصر في أخبار البشر**، ص ٢٠١؛ وانظر ابن الجوزي: **تذكرة خواص الأمة**، ص ٤؛ وابن العمراني: **الإنباء في تاريخ الخلفاء**، ص ٥١.
(٦) ابن الأثير: **الكامل** ٥/٤٢.

إنك تمضي في خطبتك فإذا أتيت على ذكر علي عرفت منك تقصيراً؟ قال: أو فطنت لذلك؟ قلت: نعم. فقال: يا بني، إن الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم تفرقوا عنا إلى أولاده»[1].

وتبين لنا هذه الرواية كيف أن عملية إيقاف سب علي على المنابر كانت تختمر في ذهن عمر من قبل أن يتولى الخلافة. ومهما يكن من أمر فإنه بهذا قد أبطل بدعه، وأقام سنة.

وقد وقع فعل عمر هذا موقعاً حسناً من قبل الناس، فأكثروا مدحه بسببه ومن ذلك ما قاله كثير عزة الخزاعي:

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف ... برياً ولم تتبع مقالة مجرم
تكلمت بالحق المبين وإنما ... تبين آيات الهدى بالتكلم
فصدقت معروف الذي قلت بالذي ... فعلت فأضحى راضياً كل مسلم[2]

ورثاه الشريف الرضي بقوله:

يا ابن عبدالعزيز، لو بكت العين فتى من أمية لبكيتك
أنت أنقذتنا من السب والشتم فوأمكن الجزاء جزيتك
غير أني أقول أنك قد طبت وإن لم يطب ولم يزك بيتك
دير سمعان لا عدتك الغوادي ... خير ميت من آل مروان ميتك[3]

إباحته الحمى:

ومن تلك المظالم التي ردها إباحته الحمى، وحمى الموات هو المنع من إحيائه إملاكاً ليكون مستبقى الإباحة لنبت الكلأ، ورعي المواشي وقد حمى

---

(١) المصدر السابق ٤٢/٥.

(٢) ابن سعد: **الطبقات** ٣٩٣/٥ ـ ٣٩٤؛ وانظر محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ): **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، (ط. مصر ١٣١٧هـ، ص ١١٦.

(٣) ابن طباطبا: **الفخري في الآداب السلطانية**، ص ١١٦ ـ ١١٧.

الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان حماه قدر ميل في ستة أميال، حماه لخيل المسلمين من الأنصار والمهاجرين(١).

هذا هو حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم، غير أن خلفاء بني أمية قد أضافوا إلى ذلك الحمى مناطق أخرى، الأمر الذي لم يكن يقره الفقهاء، فكما ذكر الماوردي: إن حمى الأئمة جميع الموات أو أكثره لا يجوز، وإن حموا أقله لخاص من الناس أو لأغنيائهم لم يجز(٢).

ولما تولى عمر بن عبدالعزيز رأى أن الحال تبدل عما جرى عليه العمل على عهد الرسول والخلفاء الراشدين من بعده، حيث طعن الطاعون واستغل ذوو النفوذ وأباحوا لأنفسهم ما لم يكن مباحاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فوجد فيها عمر بن عبدالعزيز حيفاً على المسلمين، واعتبرها ظلماً لهم عليه أن يرده عليهم فكتب إلى عماله يقول:

«نرى أن الحمى يباح للمسلمين عامة، وقد كانت تحمى فتجعل فيها نعم الصدقات، فيكون في ذلك قوة ونفع لأهل فرائض الصدقات، وأدخل فيها وطعن فيها طاعن من الناس، فنرى حماها والتنزه عنها خيراً إذا كان ذلك من أمرها، وإنما الإمام فيها كرجل من المسلمين، إنما هو الغيث ينزله الله لعباده فهم فيه سواء»(٣).

ثم أكد هذا برسالة أخرى إلى عماله أمرهم فيها بإباحة الحمى لجميع الناس دون تمييز. قال: «لا يمنع أحد مواقع القطر فأبح الاحماء ثم أبحها»(٤).

استغلال مرافق الدولة العامة:

ومن المظالم التي ردها عمر، والتي جرى العمل بها على عهد الدولة الأموية السخرة، وهي استغلال العمال مناصبهم، وتسخير مرافق الدولة من أجل منفعتهم الشخصية، فبين عمر لعماله من خلال تصرفاته أن هذه المرافق

---

(١) الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص ١٨٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨٥.

(٣) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٨١.

(٤) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٨١.

وجدت من أجل خدمة الناس عامة، وليس من أجل العمال ومستخدمي الدولة، وأن أي افتئات على مرافق المسلمين يعتبر ضرباً من ضروب ظلمهم، وانتقاص حقوقهم، يجب أن يرد إليهم ويعود لهم، فبدأ بنفسه هو أولاً فحرم عليها السخرة، فضرب بذلك مثلاً أعلى. يروى البسوي أن عمر بن عبدالعزيز قال: «وددت أن عندي عسلاً من عسل سينين[1] أو لبنان. قال: فسمعت فاطمة بنت عبدالملك امرأته فحملت بعض غلمانها أو بعض مواليها إلى ابن معدي كرب ـ وهو عامل ذلك المكان ـ: إن أمير المؤمنين قد تشهى من عسل سينين أو لبنان. فأرسل إليها بعسل كثير، فلما انتهى بالعسل إليها أرسلت به عمر، فقالت: هذا الذي شهيته يا أمير المؤمنين يوم الأول. قال: كأني بك يا فاطمة لما بلغك ما تشهيت هذا العسل فبعثت بعض مواليك أو بعض غلمانك إلى ابن معدي كرب! فأمر بذلك العسل، فأخرج إلى السوق، فبيع، وأدخل ثمنه بيت مال المسلمين، ثم كتب إلى ابن معدي كرب: إن فاطمة بنت عبدالملك بعثت إليك تخبرك بأني تشهيت عسلاً، من عسل سينين أو لبنان، فبعثت إليها وأيم الله لئن عدت لمثلها لا تعمل لي عملاً أبداً ولا أنظر إلى وجهك»[2].

ثم تكرر موقفه هذا من الرطب الذي أرسل إليه من الأردن، قالوا «أتت عمر بن عبدالعزيز سلتا رطب من الأردن، فقال: ما هذا؟ قالوا رطب بعث به أمير الأردن، قال: علام جيء به؟ قالوا: على دواب البريد. قال: فما جعلني الله أحق بدواب البريد من المسلمين. أخرجوهما فبيعوهما واجعلوا ثمنهما في علف دواب البريد. فغمزني ابن أخيه فقال لي: اذهب فإذا قامتا على ثمن فخذهما علي، قال: فأخرجتا إلى السوق فبلغتا أربعة عشر درهماً، فأخذتهما فجئت بهما إلى ابن أخيه، فقال: اذهب بهذه الواحدة إلى أمير المؤمنين، وحبس

---

(١) سينا: اسم موضع بالشام يضاف إليه الطور فيقال طور سيناء: وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام، وقد جاء في اسم هذا الموضع سينين، قال الله تعالى: ﴿وطور سينين﴾؛ ياقوت: **معجم البلدان**، ٣/٣٠٠.

(٢) **المعرفة والتاريخ** ١/٥٨٠.

لنفسه واحدة، قال: فأتيته بها، فقال: ما هذا؟ قلت: اشتراهما فلان ابن أخيك، فبعث إليك بهذه وحبس لنفسه الأخرى قال: الآن طاب لي أكله»[1].

كما لم يرض لأهله أن يستخدموا مطبخ العامة، ويسخنوا له الماء اللازم لاغتساله ليوم الجمعة رغم أن له حقاً فيه كسائر أفراد الرعية، يقول البسوي: «قال عمر بن عبدالعزيز: اسخنوا لي ما أغتسل به للجمعة. قال: قيل يا أمير المؤمنين، لا والله ما عندنا عود حطب نوقد به. قال: فذهبوا بالقمقم إلى المطبخ ـ مطبخ المسلمين ـ قال: ثم جاؤوه قال: وقالوا هذا القمقم يا أمير المؤمنين، وهو يفور. قال: ألم تخبروني أنه ليس عندكم عود حطب لعلكم ذهبتم به إلى مطبخ المسلمين؟ قالوا: نعم. قال: ادعو إلى صاحب المطبخ، فلما جاءه قال له: قيل لك هذا قمقم أمير المؤمنين فأوقدت تحته؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، لا أوقدت عليه عوداً واحداً، وإن هو إلا جمر لو تركته لخمد حتى يصير رماداً. قال: بكم أخذت الحطب؟ قال: بكذا وكذا. قال: أدوا إليه ثمنه»[2].

وأمثال هذه المواقف من هذا الخليفة العالم كثيرة، تزخر بها كتب التاريخ تشير بومضاتها إلى تلك الشخصية التي لم تسمح لأي مؤثر مهما كان نوعه يحيدها عن مسيرة الهدى الإسلامي.

ثالثاً: رفع المظالم عن الموالي

المقصود بالموالي هنا: كل من أسلم من غير العرب، لأن هؤلاء إما أن يكون أصلهم أسرى حرب استرقوا ثم أعتقوا فصاروا موالي. وإما أن يكونوا من أهل البلاد المفتوحة، وهؤلاء كانوا حينما يسلمون ينضمون إلى العرب، ويدخلون في خدمتهم، ويتحالفون معهم لكي يعتزوا بشوكتهم وقوتهم. وبذلك يصبحون موالي أيضاً بالحلف والموالاة[3].

---

(١) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٤٦.

(٢) المعرفة **والتاريخ** ١/٥٧٩؛ وانظر ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٩٩.

(٣) محمد الطيب النجار: **الموالي في العصر الأموي**، (ط. مصر) ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م، ص ١٤.

وقد عاش هؤلاء الموالي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، عيشة ملؤها العدل والمساواة والإنصاف لا يحل اضطهادهم، أو إيذاؤهم أو حرمانهم من أي حق مالي أو اجتماعي، وإلا يعتبر خرقاً لمبادىء الإسلام الذي نادى بالمساواة بين أفراد الرعية الإسلامية. قال صلى الله عليه وسلم: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمد إلا بالتقوى»(١)، فالتقوى هي أساس التفضيل بين أفراد المجتمع الإسلامي.

كما تمتع الموالي بهذا في ظل حكم الخلفاء الراشدين المهديين الذين التزموا بأحكام الشرع كلها، ولهذا لم يشعر الموالي بالظلم أو الغبن في حق من حقوقهم.

فها هو أبو بكر يقسم المال الذي أتاه من البحرين بالسوية بين الناس كبيرهم وصغيرهم، حرهم ومملوكهم، ذكرهم وأنثاهم.

وها هو عمر بن الخطاب يفرض لأهل بدر المهاجرين من العرب والموالي: خمسة آلاف، وللأنصار ومواليهم أربعة آلاف أربعة آلاف(٢).

ولما حاول أحد عماله خرق هذه القاعدة وتفضيل العرب على الموالي فأعطى العرب وترك الموالي، كتب إليه عمر يقول: «أما بعد، فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم»(٣).

وهكذا عد عمر بن الخطاب إنقاص الموالي في العطاء احتقاراً لهم وللإسلام إلا أنه على عهد الدولة الأموية افتقد الموالي جانباً كبيراً من هذا العدل والمساواة، نتيجة لتصرفات بعض الخلفاء والولاة الذين أغفلوا هذه القاعدة الشرعية من أجل رغبتهم في توطيد الحكم ولو على حساب تلك العناصر المستضعفة من الأمة الإسلامية، فاقترفوا بحقهم الكثير من المظالم، وكان من بين

---

(١) أحمد بن حنبل: المسند ٥/٤١١.

(٢) أبو يوسف: الخراج، ص ٤٥ ــ ٤٦.

(٣) أبو عبيد: الأموال، ٢٩٩ ــ ٣٠٠.

تلك المظالم التي كبدهم إياها بعض الخلفاء وولاتهم: حرمانهم من العطاء، وعدم وضع الجزية عمن أسلم منهم ومنعهم من الهجرة.

على أن موضوع العطاء والموالي. وهو موضوع بحثنا الآن ـ فهو أن المسلمين كانوا يتقاسمون مع إخوانهم الموالي ما يأتيهم من مال من البلاد المفتوحة بالتساوي، إلا أن هذه القاعدة انتهكت على عهد الدولة الأموية حيث بدأت فكرة الحرمان من العطاء تطبق على بعض الناس المناوئين للدولة وقد بدأ ذلك فعلاً على عهد الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبـي سفيان الذي قام بحرمان طوائف من الناس من العطاء[1].

وقد لحق هذا الحرمان الموالي فيما بعد، وكان وراء عملية حرمانهم من العطاء سبب في أذهان العرب، وهو أنهم كانوا ينظرون للموالي على أنهم فيء أفاءه الله عليهم، فأعتقوا رقابهم بأمل الأجر والثواب والشكر، لا يستحقون بذلك عطاء أو نصيباً من الفيء[2].

وبالرغم من هذا الرأي، فقد أجريت الأعطيات على بعض الموالي منذ عهد معاوية بن أبـي سفيان الذي فرض لكل واحد خمسة عشر درهماً. ثم جعلها عبدالملك بن مروان عشرين، ثم أبلغها سليمان بن عبدالملك إلى خمسة وعشرين درهماً[3]، إلا أنها كانت إلى ما قبل عهد عمر أقرب إلى الرسميات منها إلى الحقيقة، لأن هذا الفرض قلما كان يعطى لهم، ويرجع ذلك إلى عمال الدولة الأموية الذين كانوا يستخدمونهم في الغالب بلا عطاء، أو رزق[4]. ودليل ذلك أن المختار الثقفي حين قام يطلب ثأر الحسين استغل هذه النقطة لدى الموالي، وجذبهم لمشاركته في قتال الأمويين بأن فرض لهم مثلما يفرض للعرب[5].

---

(١) انظر الصولي: **أدب الكتاب**، ص ٢٢٤.

(٢) الطبري: **تاريخ** ٦/٤٣ ـ ٤٤.

(٣) ابن عبدربه: **العقد الفريد** ٤/٤٠٠.

(٤) محمد الطيب النجار: **الموالي في العصر الأموي**، ص ٦٣.

(٥) الطبري: **تاريخ** ٦/٤٣ ـ ٤٤؛ وابن الأثير: **الكامل** ٤/٢٣١.

وقد ظل حال الموالي هكذا إلى عهد عمر بن عبدالعزيز حيث وفد عليه صالح بن طريف، وشكا إليه بأن عشرين ألفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق[1].

فكتب عمر إلى عامله على خراسان ـ الجراح بن عبدالله الحكمي ـ بالفرض لمن أسلم من أهل الأرض من الموالي[2]، ووعدهم بإرسال الأموال إليهم إن لم يكف خراجهم أعطياتهم، وفي هذا الصدد يروي الطبري: أن أبا مجلز قال لعمر: «إنك وضعتنا بمنقطع التراب فاحمل إلينا الأموال. قال: يا أبا مجلز: قلبت الأمر، قال: يا أمير المؤمنين، أهو لنا أم لك؟ قال: بل هو لكم إذا قصر خراجكم عن أعطياتكم. قال: فلا أنت تحمله إلينا، ولا نحمله إليك، وقد وضعت بعضه على بعض. قال: أحمله إليكم إن شاء الله»[3].

ثم أرسل إلى عامله على خراج خراسان ـ عقبة بن زرعة الطائي ـ يقول: «. . . استوعب الخراج وأحرزه في غير ظلم، فإن يك كفافاً لأعطياتهم فسبيل ذلك، وإلا فاكتب إلي حتى أحمل إليك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم»[4].

ولم يكتف عمر بهذا بل أرسل إلى عماله يأمرهم بجعل العرب والموالي في الرزق والكسوة والمعونة والعطاء سواء[5]، وبهذا أعاد عمر ما جرى عليه العمل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين بالمساواة بين العرب والموالي في كل الحقوق والواجبات.

ومن المظالم التي أصابت الموالي قبل عهد عمر بن عبدالعزيز فرض الجزية على من أسلم منهم كما منعوا من الهجرة مثلما حدث للموالي في العراق ومصر وخراسان. ففي عهد عبدالملك بن مروان ظهرت قضية شارك فيها أكثر من

---

(١) الطبري: **تاريخ** ٦/٥٥٩.
(٢) البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ٤١٥.
(٣) **تاريخ** ٦/٥٥٧.
(٤) المصدر السابق، ٦/٥٦٨.
(٥) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٧٥.

عامل من عمال عبدالملك، ألا وهي كثرة الداخلين في الإسلام، وما ترتب على ذلك من نقص إيرادات بيت مال المسلمين نتيجة لوضع الجزية عمن يسلم منهم، وقد أزعج ذلك بعض العمال الذين لم يريدوا أن تنقص إيرادات ولاياتهم عما كانت عليه، فكان أن أبقوا الجزية على من دخل من الإسلام مخالفين في ذلك نصوص الشريعة الإسلامية. والأمثلة واضحة على ذلك، منها ما حدث في العراق حيث كان الحجاج بن يوسف الثقفي هو أول من أخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة[1].

وسبب ذلك أن عماله كتبوا إليه يقولون: «إن الخراج قد انكسر، وإن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار. فكتب إلى البصرة وغيرها: إن من كان له أصل من قرية فليخرج إليها، فأخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية، فجعلوا يبكون وينادون: يا محمداه يا محمداه! ولا يدرون أين يذهبون، وجعل قراء البصرة يبكون لما يرون»[2]، وعندما أخرجهم قال لهم: إنما أنتم علوج وقراكم أولى بكم، وأمر بأن ينقش على يد كل منهم اسم قريته[3].

وهكذا أوقع الحجاج بن يوسف الثقفي بالموالي أمرين: إبقاء الجزية على من أسلم منهم، وحرمانهم من الهجرة من قراهم. واللحاق بالمدن بعد ما أصبحت أرضهم فيئاً على المسلمين عامة، وهذا ما دفعهم للاشتراك في فتنة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث ضد الحجاج[4].

أما في مصر فكان عمالها يأخذون الجزية ممن أسلم من أهل الذمة وتوضح ذلك رسالة عبدالملك إلى واليه على مصر عبدالعزيز بن مروان يأمره فيها: «أن يضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة فكلمة ابن حجيرة في ذلك، فقال: أعيذك بالله أيها الأمير، أن تكون أول من سن ذلك بمصر، فوالله إن أهل الذمة

---

(١) ابن خلكان: **وفيات الأعيان** ٦/٣١١؛ المقريزي: **الخطط** ١/٧٧.

(٢) ابن الأثير: **الكامل** ٤/٤٦٥.

(٣) المبرد: **الكامل** ١/٢٩٧.

(٤) ابن الأثير: **الكامل** ٤/٤٦٥.

ليحتملون جزية من ترهب منهم، فكيف تضعها على من أسلم منهم؟ فتركهم عند ذلك»[1].

أما في خراسان فكان عشرون ألفاً من الموالي يدفعون الجزية رغم إسلامهم[2]، وقد استمر الولاة الذين تعاقبوا على حكم هذه الأمصار بأخذ الجزية ممن أسلم منهم ومنعهم من الهجرة، فلما تولى عمر بن عبدالعزيز أزال تلك المظالم التي لحقت بهؤلاء الموالي، وجعلتهم يشعرون بالإحباط والاحتقار لهم من قبل إخوانهم في الدين مما لا يقره كتاب أو سنة. فكتب إلى عماله يقول:

«... فمن أسلم من نصراني أو يهودي أو مجوسي من أهل الجزية اليوم فخالط المسلمين في دارهم، وفارق داره التي كان بها، فإن له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وعليهم أن يخالطوه وأن يواسوه، غير أن أرضه وداره إنما هي من فيء الله على المسلمين عامة، ولو كانوا أسلموا عليها قبل أن يفتح الله للمسلمين كانت لهم، ولكنها فيء الله على المسلمين عامة»[3].

وبعد هذه الرسالة العامة أرسل إلى كل عامل له رسالة يدعوه بها إلى وضع الجزية عمن أسلم من أهل الأرض، فكتب إلى عامله على خراسان ــ الجراح بن عبدالله الحكمي ــ كتاباً جاء فيه: «انظر من صلى قبلك إلى القبلة، فضع عنه الجزية»[4].

كما كتب إلى عامله على مصر ــ حيان بن شريح ــ يقول: «وأن تضع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾[5] وقال: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين

(١) المقريزي: الخطط ١/٧٧ ــ ٧٨.
(٢) الطبري: تاريخ ٦/٥٥٩.
(٣) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٧٨ ــ ٧٩.
(٤) الطبري: **تاريخ** ٦/٥٥٩.
(٥) آية ٥ من سورة التوبة.

الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾»[1].

إلا أن هذا العامل كانت له نفس أفكار الحجاج وأمثاله بعدم وضع الجزية عمن أسلم خشية كسر الخراج، ولهذا أرسل إلى عمر يقول: «أما بعد، فإن الإسلام قد أضر بالجزية حتى سلفت من الحارث بن نابتة عشرين ألف دينار أتممت بها عطاء أهل الديوان، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بقضائها فعل»[2] فجاءه رد عمر الصارم والصريح على هذا يقول:

أما بعد، فقد بلغني كتابك وقد وليتك جند مصر وأنا عارف بضعفك، وقد أمرت رسولي بضربك على رأسك عشرين سوطاً، فضع الجزية عن من أسلم ـ قبح الله رأيك ـ فإن الله إنما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ولم يبعثه جابياً، ولعمري لعمر أشقى من أن يدخل الناس كلهم الإسلام على يديه»[3].

وفي رواية ابن سعد: أما بعد، فإن الله بعث محمداً داعياً ولم يبعثه جابياً، فإذا أتاك كتابي هذا فإن كان أهل الذمة أسرعوا في الإسلام وكسروا الجزية فاطو كتابك وأقبل»[4].

ولم يكن عامل عمر على مصر هو الوحيد الذي طلب من عمر السماح له في أخذ الجزية ممن أسلم، فها هو عامله على الكوفة ـ عبدالحميد بن عبدالرحمن ـ يسأله أخذ الجزية المتراكمة على اليهود والنصارى والمجوس الذين أسلموا، فجاءه رد عمر الواضح أيضاً يقول: «كتبت إلي تسألني عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة، وتستأذنني في أخذ الجزية منهم، وإن الله جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه جابياً، فمن أسلم من أهل تلك الملل فعليه في ماله الصدقة ولا جزية عليه، وميراثه لذوي رحمة إذا كان منهم يتوارثون كما

---

(١) آية ٢٩ من سورة التوبة؛ وانظر المقريزي: **الخطط** ١/٧٨.

(٢) المصدر السابق ١/٧٨.

(٣) المصدر السابق ١/٧٨.

(٤) **الطبقات** ٥/٣٨٤.

يتوارث أهل الإسلام، وإن لم يكن له وارث فميراثه في بيت مال المسلمين الذي يقسم بين المسلمين، وما أحدث من حدث ففي مال الله الذي يقسم بين المسلمين يعقل عنه منه، والسلام»[1].

كما كتب إليه عامله على البصرة ـ عدي بن أرطاة ـ يقول: «أما بعد، فإن الناس قد كثروا في الإسلام. وخفت أن يقل الخراج».

فكتب إليه عمر:

فهمت كتابك، والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا»[2].

هذا إلى جانب إبطاله لمظلمة المنع من الهجرة التي أوقعها الحجاج بالموالي في العراق كما رأينا في راسلته العامة إلى عماله.

وهكذا أبطل عمر بن عبدالعزيز تلك المظالم التي أصابت الموالي، فترتب على ذلك أن أعاد إليهم حقوقهم المسلوبة والهدوء والطمأنينة إلى نفوسهم، وباتوا ينعمون بالمساواة والعدل مع غيرهم من أبناء الأمة الإسلامية.

رابعاً: رفع المظالم عن أهل الذمة

يكاد يكون أهل الذمة ـ منذ ظهر هذا الاصطلاح في الدولة الإسلامية ـ خارج شبه الجزيرة العربية، فهم يمثلون السواد الأعظم من أهل البلاد المفتوحة: وقد كانوا يعيشون قبل الفتح الإسلامي لبلادهم حياة تختلف عما جاء به دين الإسلام بنمطه المتميز في عقيدة وسلوك الفرد والمجتمع والدولة، الأمر الذي كان يختلف عما درجوا عليه وألفوه، ولذلك لم يكن من المنتظر أن يتقبلوه جميعاً طواعية. وعاشوا على عهد الخلفاء الراشدين عيشة اتسمت بالالتزام الكامل بأحكام الشرع، فلم يحسوا بالظلم أو يشعروا بغبن.

---

(١) أبو يوسف: الخراج، ص ١٤٢.

(٢) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص ٩٩ ـ ١٠٠.

ولكن مع عهد دولة بني أمية افتقدوا جانباً من هذا العدل، فقد سجل التاريخ شيئاً من الاختلاف بين الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية، إذ غلبت الدنيا على بعضهم ودفعتهم الرغبة في ضمان استمرار الأمر لهم إلى الاهتمام بالأمن والأمان، والوقوف بحزم في وجه كل من سولت له نفسه الخروج عليهم، وما احتاجه ذلك من نفقة باهظة. كما نقل الأمويون عن البلاد المفتوحة وشعوبها مظاهر في الحكم وأبهة الحياة لم تكن موجودة على عهد الخلفاء الراشدين، وجرى على منوالهم في ذلك عمالهم وولاتهم الذين كانوا في بعض الأحيان هم عوامل نقل هذا الجديد. كل ذلك كان يتطلب أموراً عدة منها: ما يتصل بضرورة توفير الأموال، ومنها ما يتصل بإشباع رغباتهم في امتلاك زخرف الحياة، ومنها ما يتصل بالحزم الأمني وما يترتب عليه من مضرة لبعض الناس، وعلى ذلك كان من المنتظر أن تحدث مظالم لعدد من أهل الذمة أفراد أو جماعات، مثل زيادة ما وضع على رؤوسهم من جزية أو أرضهم من خراج، وما أصابهم من استعباد واغتصاب بعض أموالهم والنزول في منازلهم وغير ذلك.

لقد كان أهل الذمة على عهد الخلفاء الراشدين يدفعون الجزية المفروضة عليهم لم يختلف مقدارها تقريباً، ومن هنا لم يكن لهم مظلمة فلم يكن يحل تكليف أهل الذمة ما لا يقدرون عليه، ولا تعذيبهم على أداء الجزية، ولا حبسهم وضربهم، وجرى العمل بذلك طوال عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وطوال عهد خلفائه الراشدين، وكانت تستعمل معهم الرأفة في جمعها. فيذكر هشام بن حكيم بن حزام: أنه مر على قوم من أهل الذمة يعذبون في الجزية بفلسطين، فقال هشام: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس في الدنيا)[1]. ويروى أيضاً أن عمر بن الخطاب جاءه مال كثير من الجزية فقال لعماله: إني لأظنكم قد أهلكتم الناس. قالوا: لا والله ما أخذنا منهم إلا عفواً صفواً. قال لهم بلا سوط

---

(١) أحمد بن حنبل: المسند ٣/٤٠٣ ــ ٤٠٤.

ولا نوط[1]؟ فأجابوه: نعم. فقال عمر: الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي وفي سلطاني[2].

كما أوصى علي بن أبي طالب رجلاً له استعمله على عكبراء[3] أن لا يبيعن لأهل الذمة في خراجهم بقرة ولا حماراً ولا كسوة صيف ولا شتاء وأن يرفق بهم، وكان علي يأخذ الجزية من أهل الذمة من كل ذي صنعة من صاحب المسان مسان[4] ومن صاحب الابر[5] ابراً[6].

وقد علل ذلك أبو عبيد بقوله: «وإنما توجه هذا من علي رضي الله عنه أنه إنما كان يأخذ منهم هذه الأمتعة بقيمتها من الدراهم التي عليهم من جزية رؤوسهم، ولا يحملهم على بيعها، ثم يأخذ ذلك من الثمن إرادة الرفق بهم والتخفيف عنهم، ومثل هذا حديث معاذ رضي الله عنه حين قال باليمن: ائتوني بحميس[7] أو لبيس[8] آخذه منكم مكان الصدقة، فإنه أهون عليكم، وأنفع للمهاجرين بالمدينة، وكذلك فعل عمر ـ رحمه الله ـ حين كان يأخذ الإبل في الجزية... وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كتب إلى أهل اليمن: «إن على كل حالم دينار أوعد له من المعافر» تقوية لفعل عمر وعلي ومعاذ، ألا تراه قد أخذ منهم الثياب ـ وهي المعافر ـ مكان الدنانير؟ وإنما يراد

---

(١) نوط: ناط الشيء علقه. راجع الرازي: **مختار الصحاح**، ص ٦٨٥.

(٢) محمد بن أبو بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): **أحكام أهل الذمة**، تحقيق صبحي الصالح (ط. بيروت) ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ص ٣٤.

(٣) عكبراء: وهو اسم بليدة من نواحي دجيل قرب صريفين وأوانا وبينها وبين بغداد عشرة فراسخ، ياقوت: **معجم البلدان** ٤/١٤٢.

(٤) المسان: جمع مسن وهو الحجر الذي يسن به أو عليه. راجع ابن منظور: **لسان العرب** ١٣/٢٢٢.

(٥) الابر: مفردها الابرة، وهي مسلة الحديد. راجع الفيروزآبادي: **القاموس ١/٣٧٥**.

(٦) ابن قيم الجوزية: **أحكام أهل الذمة**، ص ٣٦.

(٧) حميس: هو التنور ويمكن إطلاقه على كل ما يقلى عليه، راجع الفيروزآبادي: **القاموس** ٢/٢١٦.

(٨) لبيس: اللبيس: الثوب قد أكثر لبسه فأخلق، راجع المصدر السابق **٢/٢٥٧**.

بهذا كله الرفق بأهل الذمة، وأن لا يباع عليهم من متاعهم شيء، ولكن يؤخذ مما سهل عليهم بالقيمة. ألا تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوعد له من المعافر»؟ فقد بين ذلك العدل أنه القيمة»[1].

غير أنه على عهد الدولة الأموية ظهرت أمور تدل على مخالفة ما جرى على عهد الخلفاء الراشدين، ومن ذلك بدء فكرة زيادة الجزية على أهل الذمة على عهد معاوية بن أبي سفيان حين كتب إلى عامله على خراج مصر ــ وردان، يقول: «زد على كل رجل من القبط قيراطاً. فكتب إليه وردان: كيف نزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزاد عليهم شيء؟ فعزله معاوية. وقيل في عزل وردان غير ذلك»[2].

ويعلل أبو عبيد سبب الخلاف بين معاوية وواليه بأن فتح مصر في رأي معاوية كان عنوة، فلهذا استجاز الزيادة. وكان عند وردان صلحاً، فكره الزيادة ولهذا اختلفا[3].

وانتصر معاوية لرأيه فأمر بالزيادة، وأصر وردان على رأيه فرفض الطاعة من باب لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ثم حدثت زيادة أخرى في الجزية على عهد عبدالملك بن مروان وواليه على مصر آنذاك أخوه عبدالعزيز، فيذكر الكندي أن عبدالعزيز وفد على أخيه عبدالملك بن مروان في سنة سبع وستين، ففرض صاحب شرطته عابس بن سعيد المرادي فروضاً وزاد في أعطيات الناس من الجند، فلقي عبدالعزيز بعد قدومه فسأله عن السبب الذي حمله على ذلك، فقال عابس: أردت أن أثبت وطأتك، ووطأة أخيك، فإن أردت فانقضه. فقال عبدالعزيز: ما كنا لنرد عليك شيئاً فعلته[4]. ويؤيد هذا رواية الصولي الذي ذكر أن خراج مصر ظل

---

(١) **الأموال**، ص ٥٦.

(٢) المقريزي: **الخطط** ١/٧٩؛ وانظر ابن عبدالحكم: **فتوح مصر وأخبارها**، ص ٨٦.

(٣) **الأموال**، ص ١٩١.

(٤) **ولاة مصر**، ص ٧٠ ــ ٧١.

على ما كان عليه على عهد عمرو بن العاص حتى كان عهد عبدالملك بن مروان الذي ولى أخاه عبدالعزيز على مصر، فخط الأرضين، وذلك أنها كانت كثيرة، فاقتطع أناساً وزاد ذلك على الجماجم، فكانت تستأدي ألف ألف دينار، فرحل أهل مصر إلى عبدالملك يشكون له ذلك، فلما رجعوا زاد عليهم عبدالعزيز[1].

ولم يكن المصريون من أهل الذمة وحدهم الذين زيدت عليهم الجزية على عهد بني أمية، بل أصاب أهل الذمة في الشام مظلمة مماثلة فيذكر الصولي أن خراج الشام على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان «خمسمائة ألف دينار، فلما أفضى الأمر إلى معاوية قطع الوظائف على أهل المدن، فوظف على أهل قنسرين[2] أربعمائة وخمسين ألف دينار على الجماجم، من ذلك الثلثان وعلى أهل دمشق أربعمائة وخمسين ألف دينار على الجماجم من ذلك الثلثان، وعلى الأردن مائة وثمانين ألف دينار على الجماجم، من ذلك الثلثان، وعلى فلسطين مثل ذلك، ثم جعل بعد ذلك يصطفي الأرض الجيدة ويدفعها إلى الرجل بخراجها وعلوجها، والخراج على أصله لا ينقص منه شيء[3].

كما أصاب أهل نجران مظلمة، ذلك أنهم منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صولحوا بمقتضى كتاب كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حدد فيه ما عليهم وما لهم، وقد أورد نص الكتاب البلاذري جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب رسول الله محمد لنجران. إذ كان له عليهم حكمة في كل ثمرة، وصفراء وبيضاء وسوداء رقيق فأفضل عليهم وترك ذلك الفي حلة من حلل الأواقي، في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة، كل حلة أوقية، وما زادت حلل الخراج أو نقصت عن الأواقي فبالحساب، وما نقصوا من درع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بالحساب، وعلى نجران مثواة رسلي

---

(١) **أدب الكتاب**، ص ٢١٧.

(٢) قنسرين: كورة بالشام بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم. ياقوت: **معجم البلدان** ٤/٤٠٤.

(٣) الصولي: **أدب الكتاب**، ص ٢١٦ ـ ٢١٧.

شهراً فدونه، ولا يحبس رسلي فوق شهر وعليهم عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً، إذا كان كيد باليمن ذو مغدرة، أي: إذا كان كيد بغدر منهم، وما هلك مما أعاروا رسلي من خيل أو ركاب، فهم ضمن حتى يردوه إليهم، ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم، وملتهم، وأرضهم، وأموالهم. وغائبهم وشاهدهم وعيرهم وبعثهم. وأمثلتهم لا يغير ما كانوا عليه ولا يغير حق من حقوقهم. وأمثلتهم لا يفتن أسقف من أسقفيته. ولا راهب من رهبانيته. ولا واقه من وقاهيته على ما تحت أيديهم من قليل أو كثير؛ وليس عليهم رهق ولا دم جاهلية، ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش. من سأل منهم حقاً فبينهم النصف. غير ظالمين ولا مظلومين بنجران. ومن أكل منهم رباً من ذي قبل فذمتي منه بريئة. ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر، ولهم على ما في هذه الصحيفة جوار الله. وذمة محمد النبي أبداً حتى يأتي أمر الله ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مكلفين شيئاً بظلم. شهد أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف بن بني نصر، والأقرع بن حابس الحنظلي، والمغيرة»[1].

ولما استخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أخذ منهم هذا وكتب لهم كتاباً على نحو كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعندما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصابوا الربا وكثروا فخافهم على الإسلام فأجلاهم وكتب لهم.

«أما بعد، فمن وقعوا به من أهل الشام والعراق فليوسعهم من حرث الأرض، وما اعتملوا من شيء، فهو لهم مكان أرضهم باليمن»، فتفرقوا فنزل بعضهم الشام، ونزل بعضهم النجرانية بناحية الكوفة، وعندما استخلف عثمان بن عفان كتب إلى الوليد بن عقبة بن أبي معيط ـ وهو عامله على الكوفة:

«أما بعد، فإن العاقب، والأسقف، وسراة نجران، أتوني بكتاب رسول

(١) فتوح البلدان، ص ٧٦ ـ ٧٧.

الله صلى الله عليه وسلم، وأروني شرط عمر، وقد سألت عثمان بن حنيف عن ذلك، فأنبأني أنه كان بحث عن أمرهم فوجده ضاراً للدهاقين لردعهم عن أرضهم، وإني قد وضعت عنهم من جزيتهم مائتي حلة لوجه الله. وعقبى لهم من أرضهم، وإني أوصيك بهم، فإنهم قوم لهم ذمة...»[1].

فلما ولى معاوية أو يـزيد بن معاوية، شكوا إليه تفرقهم، وموت من مات منهم، وإسلام من أسلم، وأروه كتاب عثمان بن عفان بما حط بهم من الحلل، وقالوا: إنما ازددنا نقصاناً وضعفاً، فوضع عنهم مائتين حلة يتمه أربعمائة حلة، وعندما ولى الحجاج بن يوسف العراق، وخرج ابن الأشعث عليه اتهم الدهاقين بموالاته، واتهمهم معهم فردهم إلى ألف وثمانمائة حلة، وأخذهم بحلل وشيء، وعندما ولى عمر بن عبدالعزيز شكوا إليه فناءهم، ونقصانهم، وإلحاح الأعراب بالغارة عليهم، وتحميلهم إياهم المؤن المجحفة بهم، وظلم الحجاج لهم، فأمر فأحصوا فوجدوا على العشر من عدتهم الأولى، فقال أرى هذا الصلح جزية على رؤوسهم وليس هو بصلح عن أرضهم، وجزية الميت والمسلم ساقطة، فألزمهم مائتي حلة قيمتها ثمانية آلاف درهم[2].

وفي أيام عبدالملك زاد على أهل قبرس الجزية وكان معاوية بن أبـي سفيان غزا قبرس بنفسه، وصالحهم صلحاً دائماً على سبعة آلاف دينار وعلى النصيحة للمسلمين، وإنذارهم عدوهم من الروم.

ولم يزل أهل قبرس على صلح معاوية حتى ولى عبدالملك بن مروان فزاد عليهم ألف دينار، فجرى ذلك إلى عهد عمر بن عبدالعزيز فحطها عنهم[3].

كما أصابت الزيادة فيما يجبـي من جزية أهل الذمة في العراق وقد وضعها عنهم عمر بن عبدالعزيز كسياسة عامة التزم بها في أن يرفع المظالم عن أهل الذمة حتى يدعهم ينعمون بحياتهم في ظل الشرائع الإسلامية السمحة. ويؤيد ذلك ما جاء في كتابه إلى عامله على البصرة ــ عدي بن أرطاة ــ: «أما بعد، فإن الله

---

(١) المصدر السابق، ص ٧٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٨.

(٣) المصدر السابق، ص ١٥٩.

سبحانه إنما أمر أن تؤخذ الجزية ممن رغب عن الإسلام، واختار الكفر عتيا[1] وخسراناً مبيناً، فضع الجزية على من أطاق حملها. وخل بينهم وبين عمارة الأرض، فإن في ذلك صلاحاً لمعاش المسلمين، وقوة على عدوهم. وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه. فلو أن رجلاً من المسلمين كان له مملوك كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب، كان من الحق عليه أن يقوته حتى يفرق بينهما موت أو عتق. وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس فقال: ما أنصفناك، إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك. قال: ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه»[2].

كما بلغت سياسة عمر بن عبدالعزيز في وضع المظالم عن الناس ومساعدتهم أيضاً حين كتب إلى عامله على الكوفة يقول: «... انظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه ما يقوي به على عمل أرضه، فانا لا نريدهم لعام ولا لعامين»[3].

كذلك أمر عامله على الموصل بتعديل جزية أهل الذمة، قال يحيى بن يحيى الغساني: «كتب إلى عمر بن عبدالعزيز: أن أعدل دية الموصل، على الغني ثمانية وأربعون درهماً، وعلى الوسط أربعة وعشرون وعلى الفقير اثنا عشر درهماً في السنة»[4].

كما زيد في الخراج المفروض على أراضي أهل الذمة لا بدافع تقويم جباية الخراج حسب الطاقة بل بدافع التودد للسلطان، وحين تولى عمر بن عبدالعزيز

---

(١) عتيا: العاتي المجاوز للحد في الاستكبار والعاتي أيضاً الجبار؛ راجع الرازي: **مختار الصحاح**، ص ٤١٢.

(٢) أبو عبيد: **الأموال**، ص ٥٧؛ وابن قيم الجوزية: **أحكام أهل الذمة**، ص ٣٧ ــ ٣٨.

(٣) أبو عبيد: **الأموال**، ص ٣٢٠.

(٤) الأزدي: **تاريخ الموصل**، ص ٣، ولعل المقصود بالدية هنا الجزية التي يدفعها الذميون.

رد هذه المظالم المتعلقة بذلك عن الناس، وأوضح سياسته إزاء عملية الخراج في كتابه إلى عامله على الكوفة ــ عبدالحميد بن عبدالرحمن ــ جاء فيه: «سلام عليك أما بعد، فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام، وسنن خبيثة سنتها عليهم عمال السوء، وان أقوم اللين العدل والإحسان فلا يكونن شيء أهم إليك من نفسك أن توطنها لطاعة الله. فإنه لا قليل من الأثم، وأمرتك أن تطرز[1] عليهم أرضهم، وأن لا تحمل خراباً على عامر، ولا عامر على خراب، ولا تأخذ من الخراب إلا ما يطيق، ولا من العامر إلا وظيفة الخراج، في رفق وتسكين لأهل الأرض. وأمرتك أن لا تأخذ في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها آس[2] ولا أجور الضرابين[3]، ولا إذابة الفضة[4]، ولا هدية النيروز والمهرجان، ولا ثمن الصحف[5]، ولا أجور البيوت[6]، ولا دراهم النكاح[7]. . . ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض. فاتبع في ذلك أمري، فقد وليتك من ذلك ما ولاني الله. . .»[8] وزاد أبو يوسف ولا أجور الفيوج[9].

---

(١) لعل المراد أن يعلمها لهم وينسق حدودها ويعيد طرقها انظر أبو عبيد: **الأموال**، هامش ص ٥٨.

(٢) آس : الإفساد والإغضاب؛ راجع الفيروزآبادي: **القاموس ٢/٢٠٤**.

(٣) أجور الضرابين: هي أجور العمال الذين يخرجون إلى الضياع سنوياً لتقدير الضريبة.

(٤) إذابة الفضة: لعلها الرسوم التي كان يضعها دار الضرب كأجره تدخل في بيت المال نتيجة لتحويل الفضة التي يقدمها الأفراد إلى دراهم.

(٥) ثمن الصحف: حصة دافع الضريبة من ثمن الصحف والأوراق والسجلات والإيصالات المستهلكة في الجباية.

(٦) أجور البيوت: هي أجرة الدور التي كانت تخزن فيها حصة الدولة من الطعام بالأقاليم.

(٧) دراهم النكاح: ما كان يدفعه راغبوا النكاح إلى الدولة؛ انظر حسام الدين السامرائي: الزراعة في العراق خلال القرن الثالث الهجري بالانجليزية (ط. بيروت) **١٩٧٢م**، ص **١٥٦ ــ ١٦١**.

(٨) أبو عبيد: **الأموال**، ص ٥٧ ــ ٥٨؛ انظر أبو يوسف: **الخراج**، ص ٩٣.

(٩) أجور الفيوج: الفيج هو الوكيل الذي يقوم بمراقبة الزروع ومنع الاعتداء عليها أثناء النضج وتستخلص حقوق الفيوج من المزارعين لقاء عملهم هذا؛ انظر السامرائي: **الزراعة في العراق خلال القرن الثالث الهجري**، ص ١٥٩.

وكتب إلى واليه أيضاً: «إن دع لأهل الخراج من أهل الفرات ما يتختمون به الذهب، ويلبسون الطيالسة، ويركبون البراذين وخذ الفضل»[1].

ويجمل هذه السياسة العمرية في جمع الخراج الأسلوب الذي أمر به ولاته باتباعه في جمعها، ألا وهو الرحمة والرأفة بالناس، فقد منع تعذيب أهل البصرة وغيرهم لاستخراج الخراج منهم، وعندما أرسل إليه عامله على البصرة عدي بن أرطاة يقول: «إن أناساً قبلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتى يمسهم شيء من العذاب. فكتب إليه عمر: أما بعد، فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب البشر كأني جنة لك من عذاب الله، وكأن رضاي ينجيك من سخط الله. وإذا أتاك كتابي هذا فمن أعطاك فاقبله عفواً وإلا فأحلفه، فوالله لأن يلقوا الله بخياناتهم أحب إلي من ألقاه بعذابهم. والسلام»[2].

كما تضمنت سياسته بالنسبة لخراج الأرض، منع خرص[3] الثمار وتقويمه بسعر دون سعر الناس الذي يتبايعون به، ومثال ذلك، كتابه إلى عماله عدي بن أرطاة جاء فيه «بلغني أن عمالك بفارس يخرصون الثمار على أهلها، ثم يقومونها بسعر دون سعر الناس الذي يتبايعون به، فيأخذونه ورقاً على قيمتهم التي قوموها، وإن طوائف من الأكراد يأخذون العشر من الطريق، ولو علمت أنك أمرت بشيء من ذلك أو رضيته بعد علمك به ما ناظرتك ــ إن شاء الله ــ بما تكره. وقد بعثت بشر بن صفوان، وعبدالله بن عجلان، وخالد بن سالم، ينظرون في ذلك، فإن وجدوه حقاً ردوا إلى الناس الثمر الذي أخذ منهم، وأخذوا بسعر ما باع أهل الأرض عليهم، ولا يدعون شيئاً مما بلغني إلا نظروا فيه، فلا تعرض لهم»[4].

كما أن عمر في أمره لعماله في هذا الصدد أن لا يعنتهم في أمر، وجعل

---

(١) ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، (ط. القاهرة) ١٣٤٣هـ ــ ١٩٢٥م، ص ٥٣.
(٢) أبو يوسف: **الخراج**، ص ١٢٩.
(٣) الخرص: الحرز وكل قول بالظن؛ راجع الفيروزآبادي: **القاموس** ٢/ ٣١١.
(٤) ابن سعد: **الطبقات** ٥/ ٣٩٢.

نفسه المرجع له فيما يلتبس عليهم فيه دفعاً لكل شبه في خراج لا يتفق والشريعة الإسلامية، وقد ظهر ذلك فيما كتبه إلى عامله ميمون بن مهران ــ الذي اشتكى إليه شدة الحكم والجباية ــ: «كتبت إلي يا ميمون، تذكر شدة الحكم والجباية، وإني لم أكلفك من ذلك ما يعنتك، أجب الطيب من الحق، واقض بما استنار لك من الحق فإذا التبس عليك أمر فارفعه إلي، فلو أن الناس إذا ثقل عليك. أمر تركوه ما قام دين ولا دنيا»[1].

ومما أصاب أهل الذمة من المظالم قبل عهد عمر بن عبدالعزيز سبي بنات ونساء من لواته بشمال أفريقية، ولكن عمر رد هذه المظلمة، يذكر أبو عبيد «أن عمر بن عبدالعزيز كتب في اللواتيات: من أرسل منهن شيئاً فليس له من ثمنها شيء، وهو ثمن مرجها الذي استحلها به ــ أو كلمة تشبه الثمن ــ قال: ومن كانت عنده امرأة منهن فليخطبها إلى أبيها، وإلا فليردها إلى أهلها.

قال أبو عبيد: قوله اللواتيات هن من لواتة: فرقة من البربر، يقال لهم: لواته أراه قد كان لهم عهد، وهم الذين كان ابن شهاب يحدث: أن عثمان أخذ الجزية من البربر، ثم أحدثوا بعد ذلك فسبوا. فكتب عمر بن عبدالعزيز بما كتب به[2].

وكان عمرو بن العاص قد كتب على لواتة من البربر، من أهل برقة في شرطه عليهم: أن عليهم أن يبيعوا أبناءهم وبناتهم فيما عليهم من جزية. فقال الليث: فلو كانوا عبيداً ما حل ذلك منهم[3].

ويبدو أن سبي نساء هذه القبيلة قد استمر ــ كما يتبين من كلام أبي عبيد ــ حتى كان عهد عمر الذي اجتهد في هذا الأمر، وأصدر تعليماته بإطلاق حريتهن بناء على العهد المعقود لهذه القبيلة. ولعمر في عمله هذا أسوة حسنة في

---

(١) المصدر السابق، ٥/٣٨٠.
(٢) الأموال ٢٣٩؛ وانظر البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٢٦ ــ ٢٢٧.
(٣) أبو عبيد: الأموال، ص ٢٤٠.



جده عمر بن الخطاب[1].

كما أرجع عمر بن عبدالعزيز إلى أهل الذمة كل أرض أو كنيسة أو بيت اغتصب منهم، فقد ذكر ابن الجوزي أن عمر أمر مناديه أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة فيرفعها. فقام إليه رجل حمصي من أهل الذمة أبيض الرأس واللحية، فقال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله، قال وما ذاك؟ قال: اغتصبني العباس بن الوليد بن عبدالملك أرضي ــ والعباس جالس ــ فقال له: يا عباس، ما تقول؟ قال: اقطعني إياها أمير المؤمنين الوليد بن عبدالملك، وكتب لي بها سجلاً فقال ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله عز وجل فقال عمر كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبدالملك، أردد عليه يا عباس ضيعته. فردها عليه[2].

وفي كتاب العيون والحدائق (ص ٦٠): «أتى رجل نصراني عمر بن عبدالعزيز. وادعى على هشام أن في يده ضيعة له. فقال عمر لهشام: قم مع خصمك. قال بل أوكل وكيلاً بخصومته. قال: لا، فجلس بين يديه، فجعل هشام ينتهر خصمه، فقال له عمر: عندي تنتهره؟ إن عدت عاقبتك. فادعى النصراني، فقال هشام: ضيعتي وقطيعة أقطعنيها عبدالملك ومعي سجل من الوليد وسليمان. فقال لابنه عبدالملك بن عمر: يا بني، انظر في سجلاته وأمره، فنظر، فقال: أرى أمر النصراني قوياً، وحجته غالبة، وحق الله أولى ما أوثر. فقال عمر: حرق سجلاته، فأحرقها، ورد على الرجل ضيعته. فلما ولي هشام استؤذن في أخذ الضيعة من يد النصراني، فقال لا تردوا حكماً حكم به عمر».

ومن ذلك أيضاً ما يرويه أبو عبيد فيقول: خاصم حسان بن مالك عجم

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٣٩، روى أبو عبيدة عن عطاء الخراساني أنه قال كفيتك أن (تستر) كانت في صلح، فكفر أهلها، فغزاهم المهاجرون فقاتلوهم فهزمهم المسلمون وسبوهم، فأصاب المسلمون نساءهم، حتى ولد لهم منه. قال: وقد رأيت بعض الأولاد من تلك الولادة قال: فأمر عمر بن الخطاب بمن سبـي منهن، فردوا على حريتهن وفرق بينهن وبين سادتهن.

(٢) سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص ١٠٤ ــ ١٠٥.

أهل دمشق إلى عمر بن عبدالعزيز. في كنيسة، كان أحد الأمراء الأمويين ـ أقطعه إياها. فقال عمر: إن كانت من الخمس عشرة كنيسة، التي في عهدهم، فلا سبيل لك إليها[1].

كما يروى عن علي بن أبي حملة قال: «خاصمنا عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبدالعزيز في كنيسة، كان فلان قطعها لبني نصر بدمشق فأخرجنا عمر بن عبدالعزيز منها وردها إلى النصارى، فلما ولى يزيد بن عبدالملك ردها على بني نصر، وأخرج منها النصارى»[2].

كما يذكر ابن عساكر أنه «أقام بدمشق بعد فتحها أثنا عشر بطريقاً من بطارقة الروم، فأقروا في منازلهم، وكان لكل بطريق منهم في منزله كنيسة فأقاموا بها حيناً ثم بدا لهم فهربوا من دمشق، وتركوا تلك المنازل فصارت إقطاعاً لقوم من أشراف دمشق، فلما ولى عمر بن عبدالعزيز أخرج أولادهم منها، وردها على الأعاجم، فلما مات عمر ردت إلى أولاد الذين أقطعوها»[3].

كما رد عمر بن عبدالعزيز لأهل الذمة بيوتهم التي غصبهم إياها المسلمون، يروي أبو عبيد: أن الوليد بن هشام المعيطي قال: «ولاني عمر بن عبدالعزيز قنسرين ـ وكانت صلحاً ـ فشكا إليه أهل الذمة المسلمين: أنهم قد نزلوا منازلهم، فكتب إلى: أن انظر من كان في منازل أولئك الذين كانوا من أهلها حين صولحوا فأخرج من كان (في) منازلهم عنهم. قال: فنظرت فإذا أولئك قليل، فسألوني الكف عن ذلك فكففت»[4]، وقد علل أبو عبيد عمل عمر هذا فقال: «إنما حكم عمر بن عبدالعزيز بكنائسهم ومنازلهم لهم، لأنها من حقوقهم ودينهم مع الصلح ولو كان شيء للمسلمين فيه حق ما دخل في الصلح، وكان المسلمون أولى به، مثل الذي فعل عمر بن الخطاب بمسجد

---

(١) **الأموال**، ص ٢٠١.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠١؛ وانظر بدران: **تهذيب تاريخ دمشق الكبير** ١/٢٤١، وجاء فيه أن معاوية بن أبي سفيان هو الذي اقطعها لبني نصر.

(٣) بدران: **تهذيب تاريخ ابن عساكر** ١/١٢٤.

(٤) **الأموال**، ص ٢٠١.

بيت المقدس. وإنما افتتح البلاد صلحاً، ثم حال بين أهل الذمة وبين المسجد، ولم يولهم فيه حقاً»[1].

ومن أمثلة رده لأهل الذمة حقوقهم المغتصبة ما روى عن عزمه على هدم مسجد بني أمية في دمشق، ورد الكنيسة التي أخذها الوليد بن عبدالملك من نصارى أهل الشام، وأدخلها فيه، وتفصيل ذلك أن النصارى حين تولى عمر سألوه أن يحقد لهم مجلساً في شأن ما كان أخذه الوليد بن عبدالملك منهم فاستجاب لهم، وكاد أن يرد عليهم ما كان أخذه الوليد منهم، إلا أن عمر قبل اتخاذه مثل هذا القرار حقق الأمر فوجد أن هناك عدداً من الكنائس لم تدخل في الصلح الذي كتبه لهم الصحابة وقت الفتح الإسلامي لها، فخيرهم بين ما سألوه وتخريب هذه الكنائس كلها، أو أن تبقى تلك الكنائس ويطيبوا نفساً للمسلمين بهذه البقعة، فاتفقوا بعد ثلاثة أيام على إبقاء تلك الكنائس وأن يكتب لهم كتاب أمان بها ويطيبوا نفساً بهذه البقعة ففعل[2].

ومما رفعه عمر عن أهل الذمة من المظالم السخرة على أساس أنه لا يحل للمسلمين أن يسخروا أهل الذمة لمصالحهم الشخصية طالما أن هذا غير موجود في صلحهم[3].

فكتب إلى عماله يقول: «... ونرى أن توضع السخر عن أهل الأرض، فإن غايتها أمر يدخل فيها الظلم»[4].

وهكذا رد عمر بن عبدالعزيز ما أصاب أهل الذمة من مظالم، فترتب على ذلك أن أعاد السكينة والطمأنينة والهدوء إليهم، وأوضح لهم ـ وهم كثرة في الدولة الإسلامية ـ أن بإمكانهم أن يعيشوا في ظل الإسلام آمنين مطمئنين

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٠١.

(٢) ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٥١ ـ ١٥٢؛ وانظر بدران: **تهذيب تاريخ ابن عساكر** ١/٢١٠.

(٣) أبو عبيد: **الأموال**، ص ١٩٦.

(٤) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٨٣.

تشملهم سماحة الدين، ويظلهم عدله، وتستقيم أمورهم وشؤونهم في كنفه، لا يضارون ولا يستضعفون ولا يستعبدون لهم حقوقهم المعلومة وعليهم واجباتهم المحددة ضمنها لهم الشارع الحكيم، وما تأسس من أحكام كتاب الله وسنة رسوله الكريم ورأي أهل السنة والجماعة والسلف الصالح.

خامساً: عمر والعمال

وحين ولي عمر بن عبدالعزيز كان يعلم أن بعض العمال والولاة يقترفون من المظالم ما لم يقره الشرع، وما يترتب على ذلك من حيف في حق الرعية من المسلمين وغيرهم، ولا غرو فقد كان هو والياً من الولاة، ولا شك يتبلغه أخبار غيره منهم، كما أن بعض الأسماء من ولاة بني أمية ذاعت أخبار قسوتها للناس، ولعل الحجاج بن يوسف الثقفي يكون مثلاً واضحاً. ولا شك أن أي قسوة من وال، أو حاكم، أو عامل، وأي شكوى من جماعة من الرعية، لا بد وراءها سبب.

من أجل ذلك كله عمد عمر بن عبدالعزيز منذ ولي الخلافة إلى تصحيح ما يكون قد فسد من سيرة العمال والولاة جهلاً منهم، أو قصداً لإرضاء الخلفاء، وكان يجد أن في العودة إلى جادة الدين والالتزام بما جاء في الكتاب والسنة خير علاج لسيرة هؤلاء الولاة والعمال فيمن ولوا، ولقد اتبع عمر بن عبدالعزيز إزاء هؤلاء العمال عدة أساليب منها:

إرساله الرسائل التي تحمل إليهم رأي الدين في سياسة الناس، أو يوجههم إلى ما يفعلون شفهياً، ومن لم يرعو منهم عزله. ورسائله ــ تمثل الشطر الأكبر من توجيهاته لهم ــ تحمل رأي الدين واجتهاده الشخصي في المسائل الخلافية، وسوف أورد فيما يلي جهود عمر بن عبدالعزيز عن طريق تلك الرسائل في تصحيح سيرة هؤلاء الولاة والعمال، وخاصة في مسائل المظالم.

فها هو أحدهم يشهد على ذلك فيقول: «ما كان يقدم على أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كتاب من عمر إلا فيه رد مظلمة، أو إحياء سنة،

أو إطفاء بدعة، أو قسم أو تقدير عطاء، أو خير حتى خرج من الدنيا»[1].

وقال آخر: «سمعت أشياخنا يذكرون، قالوا: واستخلف عمر بن عبدالعزيز سنة تسع وتسعين، ومات سنة إحدى ومائة، وكان يكتب إلى عماله بثلاث خصال يدود فيهم بإحياء سنة وإطفاء بدعة، أو قسم في مسكنة، أو رد مظلمة، وكان يكتب إليهم: إنما هلك من كان قبلكم من الولاة أنهم كانوا يحبسون الخير حتى يشترى منهم، ويبذلون الشر حتى يفتدى منهم»[2].

هذا وقد أوضح عمر بن عبدالعزيز لعماله تلك المظالم الواجب ردها لرفع الظلم عن عامة الرعية مسلميها وذمييها ومواليها في رسائل متعددة، فكتب إلى عامله على البصرة عدي بن أرطاة يقول: «ضع عن الناس المائدة والنوبة والمكس، ولعمري ما هو بالمكس، ولكنه البخس الذي قال الله: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[3] فمن أدى زكاة فاقبل منه، ومن لم يأت فالله حسيبه»[4]. ويضاف إليها أجور الضرابين والنيروز والمهرجان وإذابة الذهب، وأجور الصحف، وأجور الفيوج، وأجور البيت ودراهم النكاح[5]، وضريبة الفرس والخادم والفدان[6].

ويبدو أنه كانت هناك بيوت خاصة لوضع مثل هذه الضرائب المفروضة على الناس جميعاً، تسمى: بيوت المكس، وكان أحدها في رفح[7]، فأرسل عمر إلى عامله على فلسطين عبدالله بن عوف القارى يقول: «إركب إلى البيت الذي برفح، الذي يقال له بيت المكس، فاهدمه، ثم احمله إلى البور فانسفه فيه

(١) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٤٢.
(٢) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، مجلد ١٣ / ورقة ١٤٦/ب.
(٣) آية ٨٥ من سورة هود.
(٤) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٨٣.
(٥) أبو يوسف: **الخراج**، ص ٩٣.
(٦) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٧٦.
(٧) رفح: منزل في طريق مصر بعد الداروم، بينه وبين عسقلان يوماً للقاصد مصر. ياقوت: **معجم البلدان** ٣/٥٤.

نسفاً»[1]. وفي رواية أخرى أنه كتب إلى عامله عبدالله بن عوف القارى يقول: «إذا أتاك كتابي هذا فاركب أنت ومن معك إلى البيت النجس الذي برفح فاقلعه من أساسه، ثم اذره في البحر»[2].

وبعد أن أزال عمر بن عبدالعزيز عن كاهل الرعية ما كانت تنوء به من ضرائب فرضت عليها غشماً وقسوة، التفت إلى رد ما كان ولاة بني أمية وغيرهم قد حازوه من أموال العامة بغير حق، وأودعوه بيوت الأموال، فردها ومن ذلك ما كتبه إلى واليه على المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قائلاً: «استبرىء الدواوين، فانظر إلى كل جور جاره من قبلي من حق مسلم، أو معاهد فرده عليه، فإن كان أهل تلك المظالم قد ماتوا فادفعه إلى ورثتهم»[3].

إلا أن عمر بن عبدالعزيز بعد رسائله هذه تريث قليلاً في رد المظالم خيفة أن يغالي الناس فيأخذوا حقوقاً لا حق لهم فيها، فأرسل إلى عماله يقول: «أما بعد، فإني كنت كتبت إليكم برد المظالم ثم كتبت إليكم أن تحبسوها، ثم كتبت إليكم بردها، فاطلعت من بعض أهلها على خيانات وشهود زور حتى قبضت أموالاً قد كنت رددتها، ثم رأيت أن رأدها على سوء ظن بأهلها، أحب إلي من أن أحبسها حتى ينجلي الأمر من غد على ما ينجلي عنه. فإذا أتاك كتابي هذا، فارددها على أهلها والسلام»[4].

وقد استمر عمر بن عبدالعزيز بأمر عماله باستبراء الدواوين، ورد المظالم إلى أهلها من بيت المال حتى نفذ ما في بيت مال العراق، وحمل إليه المال من الشام[5]، وقد اعترض بعض عماله على سياسته هذه، فيذكر إسماعيل بن عياش: أن بعض عمال عمر كتب إليه يقول: «إنك قد أضررت ببيت المال

(١) أبو عبيد: **الأموال**، ص ٦٣٣؛ البسوي: **المعرفة والتاريخ** ١/١٠٧.
(٢) البسوي: **المعرفة والتاريخ** ١/٦٠٧ ــ ٦٠٨.
(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٤٢.
(٤) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٧٧.
(٥) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٤٢.

أو نحوه قال: فقال عمر: «اعط ما فيه فإذا لم يبق فيه شيء فاملأه زبلاً»[1].

ومما يلفت النظر في سياسة عمر في رد المظالم مع عماله أنه اتخذ معهم الحزم لئلا تسول لأحدهم نفسه فيتهاون أو يتقاعس عن رد المظالم، وكان إذا لمس من أحدهم مجرد التردد أرسل إليه يؤنبه ويحذره ويوضح له ما يجره هذا التردد على الرعية من ظلم لا يحبه الله ورسوله. ومن ذلك رسالته إلى عامله على اليمن عروة بن محمد جاء فيها: «قد جاءني كتابك تذكر أن من كان قبلك من العمال قد وضعوا على أهل اليمن صدقاتهم وظائف إن افتقروا لم ينقصوا، وإن استغنوا زيد عليهم، وتؤامرني في ذلك، ولعمري إن هذا للجور حق الجور، فإذا جاءك كتابي هذا، فخذهم بما ترى عليهم من الحق ثم أقسم ذلك على فقرائهم»[2].

لكن عروة تباطأ في رد المظالم عن أهل اليمن أو إليهم، وأخذ يستفسر عن كل أمر ورده في مظلمة من عمر برسائل مما جعل عمر يرسل إليه غاضباً ومؤنباً وآمراً بتنفيذ ما أمره به من حق قائلاً: «أما بعد، فإني أكتب إليك آمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم، فتراجعني ولا تعرف بعد مسافة ما بيني وبينك، ولا تعرف أحداث الموت حتى لو كتبت إليك أن أردد على مسلم مظلمة شاة لكتبت أرددها عفراء أو سوداء، فانظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعني»[3].

كما أنه لم يكن ليتهاون قط في رد أي مظلمة صغيرة أو كبيرة حدثت من قبل عامل له على أحد أفراد الرعية، فيروى: «أن رجلاً جاء إلى عمر بن عبدالعزيز فقال له: أذكر بمقامي هذا مقاماً ـ لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من عمل ولا براءة من الذنب، فقال عمر: ويحك! اردد على كلامك، فرده عليه فجعل يبكي وينتحب، ويقول: ويحك

(١) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٨٥.
(٢) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٦.
(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٨١.

اردد علي، فلما استقل من البكاء، قال: ما جاء بك؟ قال: عـاملك على أذربيجان أخذ من مالي عشرة آلاف فوضعها في بيت المال، فكتب له عمر فأخرجت له وردت عليه»[1].

وربما عزل عاملاً له أن سمع عنه ما لا يجب كإظهار قسوة أو جفوة للرعية ولهذا نراه يعزل عامله على خراسان الجراح بن عبدالله الحكمي لما بلغه أنه «عصبي جاف»[2].

وأنب آخر لاستنانه بسنن الحجاج بن يوسف الثقفي، فأرسل إلى عامله على البصرة عدي بن أرطاة يقول: «بلغني أنك تستن بسنن الحجاج فلا تستن بسننه، فإنه كان يصلي الصلاة لغير وقتها، ويأخذ الزكاة من غير حقها وكان لما سوى ذلك أضيع»[3].

بل لقد أطلق حريتهم في إقامة العدل والإحسان بين الرعية وعدم ظلمها، والضرب بآرائه هو إن كانت منافية لذلك الحق والعدل الذي أمر به الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم، وفي هذا الصدد يروي ابن عساكر عن ميمون بن مهران: أن عمر بن عبدالعزيز كتب إليه يقول: «إن جاءك كتابـي بغير الحق فاضرب به الحائط»[4].

وكتب إلى آخر: «كن في العدل والإحسان كمن كان قبلك في الجور والظلم والعدوان»[5].

ونختتم أمثلتنا هذه بـرسالتـه إلى عامله عـلى الكوفـة عبدالحميـد بن عبدالرحمن يقول: «فما بقاء الإنسان بعد وسوسة شيطان وجور سلطان؟ فإذا أتاك

---

(١) ابن عساكر **تاريخ مدينة دمشق**، (مخطوط)، مجلد ١٣ / ورقة ١٤٨/أ ــ ب؛ وانظر ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٧٥.

(٢) الطبري: **تاريخ** ٥٥٨/٦ ــ ٥٥٩.

(٣) ابن كثير: **البداية والنهاية** ١٣٦/٩.

(٤) **تاريخ مدينة دمشق**، (مخطوط)، مجلد ١٣ / ورقة ١٤٨/أ.

(٥) المصدر السابق، مجلد ١٣ / ورقة ١٤٨/ب.

كتابي هذا، فاعط كل ذي حق حقه، والسلام»[1].

وهذا ما حمل الناس وشجعهم على رفع أمر عماله إن ظلموا إليه، يروى أن رجلاً أتى إلى عمر يشكو إليه عماله فقال:

إن الذين أمرتهم أن يعدلوا — نبذوا كتابك واستحل المحرم

وأردت أن يلي الأمانة منهم — بـر وهيهـات الابـر المسلم

طلس الثياب على منابر أرضنا — كـل بنقص نصيبنا يتكلم[2]

ولقد كان لسياسة عمر بن عبدالعزيز تجاه عمالـه من حيث تقويمهم ومراجعتهم أثر كبير في أن ينتشر العدل وترد المظالم بين المسلمـين عمومـاً وغيرهم، فعلاً لا قولاً باعتبار هؤلاء هم يده وعينه بين الناس.

وخلاصة القول كما قال ابن تيمية أن «عمر بن عبدالعزيز قد أحيا السنة، وأمات البدعة، ونشر العدل، وقمع الظلمة من أهل بيته وغيرهم، ورد المظالم التي كان الحجاج بن يوسف وغيره ظلموها للمسلمين، وقمع أهل البدع كالذين كانوا يسبون علياً، وكالخوارج الذين كانوا يكفرون علياً، وعثمان، ومن ولاهما، وكالقدرية مثل غيلان القدري وغيره، وكالشيعة الذين كانوا يثيرون الفتن ــ بعلمه ودينه وعدله»[3].

وأخيراً، فلا مفر من كلمة تنتهي بها سيرة هذا العلم البارز في تاريخ الإسلام، بل في تاريخ القيم السامية والمثل العليا، وسنة الله في خلقه قضت بأن الموت غاية كل حي، كلمة أخيرة لا بد من قولها في ختام هذه السيرة الطيبة لرجل يعتز به كل مسلم بل كان من كان تحت رعايته أبان خلافته مسلماً كان ــ أو غير

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٦٨ ــ ٣٦٩.

(٢) أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي (ت ٢٨٥هـ)**الكامل في اللغة والأدب** (ط. بيروت) بدون سنة الطبع، ١/٤٠٤.

(٣) أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ): **سؤال في يزيد بن معاوية**، تحقيق صلاح الدين المنجد، (ط. بيروت) ١٣٩٦هـ، ص ١٤.

مسلم، خلافته التي لم يسعد بها الناس إلا سنتين وخمسة أشهر فحسب، نعم سعد الناس به حاكماً ملتزماً بمبادىء العدل والرحمة والتسامح وقوة الحق وسيادته على الجميع دون تفرقة بين مسلم ومعاهد فكيف كانت نهايته ـ رضي الله عنه؟

إن مما لا شك فيه أن فترة خلافة عمر بن عبدالعزيز ـ على قصرها ـ كانت شاقة عليه مضنية له، أنهكت قواه وأضعفت جسمه، لما ألزم نفسه به من زهادة وعزوف عن مأكل طيب ومشرب هني، يعوض بنيته ما تفقده من طاقة هائلة في العمل الذي لا ينشر أو يهدأ ليلاً أو نهاراً، حتى إذا أمسكت به علة لم يحدد المؤرخون طبيعتها ولا فصلوا القول فيها، تشبثت بجسمه المنهك الضعيف عشرين يوماً حتى كانت الوفاة[1].

غير أن بعض المؤرخين قد تحدثوا عن وفاة عمر بشكل آخر يختلف كثيراً عن الصورة السابقة، لقد ذكروا أن بني أمية خافوا من عمر ـ بعد ما أخرج الأموال من أيديهم ـ أن يخلع يزيد بن عبدالملك من ولاية العهد، وأن يعيد الخلافة شورى بين المسلمين كما تحدث بذلك مع الخوارج، فوضعوا عليه من سقاه السم، فلم يلبث بعد ذلك إلا ثلاث ليال حيث مرض ثم مات بتأثير هذا السم[2]!

وفيما ذكره ابن الجوزي عن أبي زيد الدمشقي ما يشير إلى معرفة عمر بهذه الفعلة النكراء، إذ يقول: لما ثقل عمر بن عبدالعزيز دعى له بطبيب، فلما نظر إليه قال: الرجل قد سقي السم، ولا آمن عليه الموت ثم سأل عمر: هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قد عرفت حين وقع في بطني ولم يلبث عمر أياماً حتى مات[3].

---

(١) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٤٠٤، ٤٠٨؛ الطبري: **تاريخ** ٦/٥٦٥ ـ ٥٦٦؛ ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٧٦؛ ابن الأثير: **الكامل** ٥/٥٨.

(٢) الأربلي: **الذهب المسبوك**، ص ٢٥؛ الكتبي: **فوات الوفيات** ٢/٢٠٨؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/١٨٧.

(٣) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٢٧٧.

وقد أضاف السيوطي إلى ذلك تفاصيل أخرى تؤكد حادثة السم هذه فقال: إن عمر دعا الغلام الذي دس له السم، وسأله ما الذين حمله على ذلك؟ فقال الغلام: ألف دينار أعطيتها، وأن أعتق. فطالبه عمر بها وردها إلى بيت المال، وعفا عن الغلام[1].

وسواء صحت هذه الرواية أو تلك حول وفاة عمر بن عبدالعزيز، فإن المؤكد أن وفاته كانت في العشر الأخيرة من شهر رجب سنة إحدى ومائة من الهجرة في دير سمعان، أو في خناصرة، ودفن بدير سمعان. وكانت سنه يومئذ تسعاً وثلاثين سنة وبضعة أشهر، أو أربعين سنة[2].

ويروي المؤرخون عن فاطمة بنت عبدالملك زوجة عمر، ما كان من أمره يوم توفي، قالت: «لما مرض عمر اشتد قلقه ـ من الألم ـ ليلة، فسهرنا معه، فلما أصبحنا أمرت وصيفاً له، يقال له مرثد ليكون عنده، فإن كانت له حاجة كنت قريباً منه، ثم نمنا، فلما انتفخ النهار استيقظت فتوجهت إليه، فرأيت مرثداً خارجاً من البيت نائماً، فقلت له: ما أخرجك؟ قال: هو أخرجني، وقال لي: إنني أرى شيئاً ما هو بإنس ولا جن، فخرجت فسمعته يتلو: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين»[3]، قالت: فدخلت فوجدته بعدما دخلت قد وجه نفسه للقبلة وهو ميت»[4]. فرحمك الله يا أبا حفص، وجزاك عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وهكذا أسدل الستار على فترة مشرقة من تاريخ الدولة الإسلامية كانت وما تزال مثلاً بل دليلاً على إمكان تحقيق عهود قريبة الشبه بعهود خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشدين المهديين الأمر الذي لا يحتاج إلا إلى قدوة ملتزم مصر على تحقيق التزام مؤمن بما في كتاب الله وسنة رسوله من خير للبشرية.

---

(١) **تاريخ الخلفاء**، ص ٢٤٦.

(٢) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٤٠٨؛ الذهبي: **دول الإسلام** ١/٥٢.

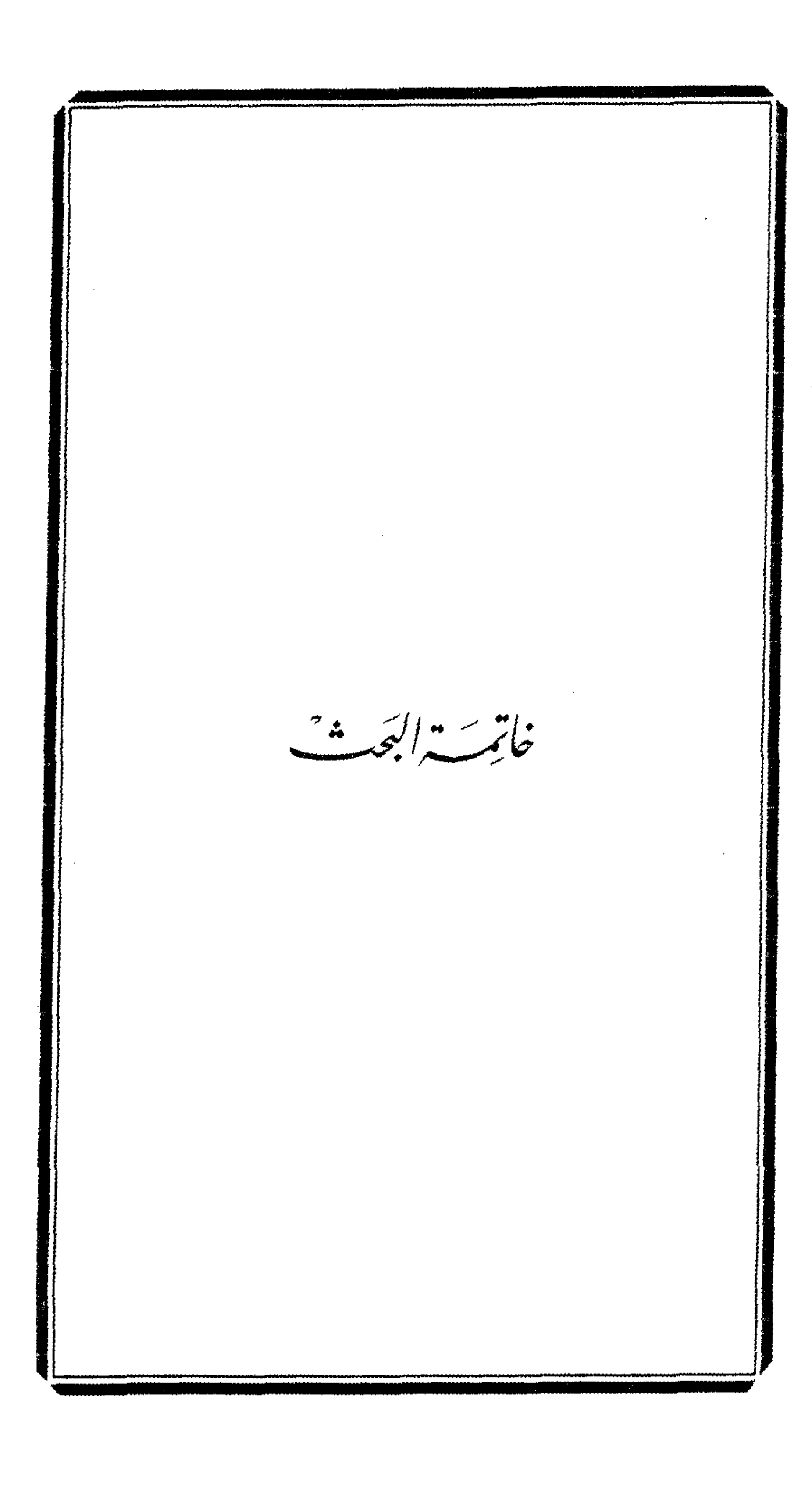
(٣) سورة القصص: الآية ٨٣.

(٤) ابن الأثير: **الكامل** ٥/٦١ ـ ٦٢؛ وانظر ابن سعد: **الطبقات** ٥/٤٠٦ ـ ٤٠٧.

وأختم بحثي بتكرار ما ذكرته مروياً عن ابن تيمية قوله في عمر بن عبدالعزيز أنه «قد أحيا السنة، وأمات البدعة، ونشر العدل، وقمع الظلمة من أهل بيته وغيرهم، ورد المظالم التي كان الحجاج بن يوسف وغيره ظلموها للمسلمين، وقمع أهل البدع كالذين كانوا يسبون علياً، وكالخوارج الذين كانوا يكفرون علياً، وعثمان، ومن والاهما، وكالقدرية مثل غيلان القدري وغيره، وكالشيعة الذين كانوا يثيرون الفتن بعلمه ودينه وعدله»[1].

□ □ □

(١) ابن تيمية: سؤال في يزيد بن معاوية، ص ١٤.



خاتمة البحث

خاتمة البحث

تناولت عبر فصول هذا البحث حياة ثامن الخلفاء الأمويين عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ منذ ولادته إلى وفاته، وبينت خلالها أننا كنا في صحبة رجل نادر قلما يجود الزمان بمثله، في خلقه وسلوكه، وفي علاقاته مع الناس، وفي تحمله لتبعة المسؤوليات التي تولاها، حتى جرى على ألسنة وأقلام كثير من النقاد والمؤرخين قديماً وحديثاً هذا الوصف الخالد له: «خامس الخلفاء الراشدين»، وهو قول حق يجد المنصفون من الباحثين في تاريخ السياسة والحكم أنفسهم ناطقين به مؤكدين له.

وقد يقال في هذا المقام! أن هناك من لم يقل بذلك، ولم يجر على ألسنتهم هذا الوصف لعمر- وليست هناك مشكلة في هذا الاعتراض، فما أسهل، وما أيسر أن يرد عليهم بما يلي: من لم يقل ذلك، أو يصفه به، فإنه لم يعترض عليه، فهو مسلم به ومعترف، وإن لم ينطق به لسانه أو يجري به قلمه، وكفى بذلك فخراً لعمر، ولعهده الزاهر النادر بين العهود على مر العصور.

لقد تناولت في الفصل الأول (المبحث الأول): ارتباط عمر بن عبدالعزيز من جهة أمه بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وما يمكن أن يكون لهذه الصلة الوثيقة بينهما من تأثير وتأثر، فالجد مؤثر بقوة شخصيته وعظمة سيرته، والحفيد متأثر بشفافية روحه وتطلعه نحو المثل الأعلى، ولا شك أن هذا الجد العظيم كان أقرب وأشد المثل العليا جذباً له بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما بينت في هذا المجال دور عبدالله بن عمر بن الخطاب ــ وهو عم أمه ــ في نشأة عمر بن عبدالعزيز حين أشار على أمه بالإبقاء عليه في المدينة، وعدم انتقاله إلى مصر مع أبويه في عام ٦٥هـ حين وليها أبوه.

وأشرت في هذا الصدد إلى إعجاب عمر بعبدالله ومحاولته التأسي به والسير على خطاه. ولقد كان لعبدالعزيز بن مروان أثر واضح في تنشئة ابنه عمر وتربيته وحياته، فلذلك أفردت له بضع صفحات هذا المبحث.

ثم أوردت روايات المؤرخين المتعددة حول تاريخ ومكان ولادته، ورجحت من بينها ــ على كثرتها ــ أنه ولد في سنة إحدى وستين من الهجرة، في المدينة المنورة.

وفي المبحث الثاني تكلمت عن حياة عمر العلمية، وبينت شغفه الشديد بالعلم، والجلوس إلى العلماء، وأنه حفظ القرآن صغيراً، وتفرغ للتلقي عن شيوخ المدينة من الصحابة والتابعين وتجنب شبابها ليتفرغ للعلم حتى غدا بحق إماماً يقتدى به، وشهد له بذلك علماء عصره ومن أتى بعدهم، واستشهدوا بآرائه، واجتهاداته، باعتباره أحد أئمة الاجتهاد، ولقد طبق عمر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يضن بعلمه على كل من اختلف إليه من طالبي العلم، حتى لقد روى عنه أكثر من ستين تلميذاً.

كما أنه لم يضيع فرصة إلا انتهزها من أجل تفقيه الناس، وتنبيههم، وتوجيههم، لما فيه خير لهم في دينهم ودنياهم، وختمت مبحثي هذا بذكر الجهد الذي بذله عمر في جمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدوينه، صيانة وحفظاً له من الضياع.

والمبحث الثالث جعلته لبيان حياة عمر الاجتماعية، ذككرت فيه زوجاته وأولاده، ثم بينت الأسلوب الذي اتبعه في تربيتهم وتنشئتهم ليكونوا رجال الغد الصالحين الطائعين لله في كل ما أمرهم، كما بينت كيفية مباشرته تربيتهم وتعليمهم بنفسه، ومعاملته إياهم بالعدل لئلا يثير في نفوسهم الضغينة، والبغضاء، وتتبعت سير أولاده فبينت الدور المهم الذي لعبه ابنه عبدالملك في

خلافة أبيه حيث كان عنده في منزلة الوزير والمشير. كما تكلمت عن بيته وبينت أنه لم يشيد لنفسه قصراً كغيره من الخلفاء، بل كان ينزل في منزل متواضع أورثه إياه أبوه، ثم أتى عليه عمر فجرده من كل ما فيه حتى غدا خالياً من كل ذي بال، وتحدثت عن حياته قبل وبعد الخلافة فبعد أن كان يضرب به المثل في الرفاهية والتنعم قبل الخلافة إذ به بعدها يزهد في كل مباهج الدنيا، ويصبح الزهد قاعدة مطبقة على أهل بيته.

أما المبحث الأخير في هذا الفصل، فقد خصصته لحياة عمر العملية قبل استخلافه من توليته على خناصره من قبل عمه عبدالملك إلى توليته بعد ذلك على المدينة من قبل ابن عمه الوليد بن عبدالملك، ليكون بلسم التهدئة للحجاز، بعد ما ساده من اضطرابات وأحداث دامية، وهنا صح عندي أن سلطات عمر في هذه الفترة كانت تشمل الحجاز كله، وليس المدينة فقط، ولكن تغلب ذكر اسم المدينة على الحجاز، لأنها مقر إقامة الوالي ثم بينت سياسة عمر في حكم الحجاز، وكيف أنه عمل على إعادة مبدأ الشورى الذي استنه الله سبحانه وتعالى لعباده حيث طلب من أشهر الفقهاء بالمدينة أن يكونوا أعواناً له على الخير، فنعمت المدينة في ولايته بما كانت تنعم به في زمن الرسول وخلفائه الراشدين، ولهذا لجأ إليه كثير من الفارين من ظلم الحجاج، حيث أصبح نصيراً للمظلومين. وبينت أن عزله عنها كان بدسيسة من الحجاج. وأوضحت أن ولايته على خناصرة وعلى الحجاز كان بمثابة تدريب له قبل الخلافة.

وفي المبحث الأول من الفصل الثاني، بينت الظروف التي لابست استخلاف عمر ودور كل من الخليفة السابق سليمان بن عبدالملك ووزيره الصالح رجاء بن حيوة في وصول الخلافة إليه، ابتغاء مرضاة الله، وفصلت في الدوافع التي جعلت سليمان يتخذ هذا القرار، ثم ناقشت رأي العلماء في صحة استخلاف عمر على هذا النحو، ورجحت بالدليل القاطع صحة هذه البيعة ثم بينت أن بيعته إن لم تصح على رأي من عارض عمل سليمان وعهده إليه صحت بعد ذلك عندما أحل الرعية من بيعتهم له ثم قيامهم بمبايعته عن رغبة منهم.

وتحدثت في المبحث الثاني عن منهج عمر في إدارة الدولة الإسلامية، وأنه قائم على التزامه بالكتاب والسنة، وأنه حاكم منفذ لأن الشرع بين. ثم بين شروط صحبة الناس له، ثم بينت أنه بعد إجمال هذه السياسة فصلها في كتب أرسلها إلى عماله، وكيف أنه لم يكن يرغب في الاستئثار بالحكم وحده بل كان يستشير أهل الرأي والعلم والتقوى ويطلب معونتهم.

أما المبحث الثالث فقد عقدته للحديث عن أهم أعمال عمر خلال فترة خلافته، والتي صنع خلالها ما يشبه المعجزة، والحديث فيه يتكون من عدة نقاط:

النقطة الأولى خصصتها للحديث عن إصلاحاته الإدارية والتي شملت نواحي عدة، منها:

ترك عمر لمظاهر الخلافة التي استحدثها الخلفاء الأمويون وذلك ببيعها وإيداع ثمنها بيت المال.

وكيف عمد عمر من أول يوم إلى إراحة الناس من ظلم بعض عمال الدولة بعزلهم، وتولية الرجال الصالحين مكانهم، وقد تحريت جملة ولاته وأوردت بهم ملحقاً في نهاية البحث.

كما تحدثت عن اهتمام عمر بالقضاء بتحديد الصفات الواجب توفرها بالقاضي، في انتقاء من يصلح للاضطلاع بهذه المسؤولية ممن يرضاهم في دينهم وعلمهم، وسلوكهم ثم جلوسه بنفسه للقضاء بين الناس.

وبينت في هذا الصدد تشدد عمر في إقامة الحدود على كل من ارتكب ما يوجبها، وبصفة خاصة حد شرب الخمر.

كما أوضحت اهتمام عمر بالسجون ورعايته المسجونين بكسوتهم ورزقهم. ووضعه مبدأ عدم تقيد المسجون بقيد يمنعه من تمام الصلاة إلا أهل الدم.

أما النقطة الثانية، فقد خصصتها للحديث عن إصلاحات عمر المالية واشتملت عدة نقاط هي:

الصدقات: وكيفية إصلاح عمر لها وفي هذا الصدد أوضحت أنها من أعماله البالغة الأهمية إذ أخذها في حقها، وأعطاها في حقها، وأعطى العاملين عليها بقدر عمالتهم عليها.

الخراج: وموقف عمر منه باعتباره من أهم موارد بيت المال فبينت موقفه من الأراضي الخراجية، حيث منع الناس من تملكها اعتباراً من عام مائة هجرية حفظاً لها من الضياع، وتشجيعه الناس على استصلاح الأراضي غير الخراجية.

رسم عبور الجسور الذي اعتاد الخلفاء من قبل عمر تحصيله فألغاه تخفيفاً عن كاهل الرعية.

والعطاء وكيف ساوى عمر بين الناس جميعاً فيه سواء كانوا من الموالي أو من غيرهم، وكيف أنه حرص على إيصال العطاء لأصحابه حتى المسجدين والأسرى.

ثم بينت نتائج إصلاحاته المالية هذه، وكيف أنها حققت ما كان يصبو إليه عمر وانعكس أثرها على أفراد المجتمع في الدولة الإسلامية جميعاً، وخاصة الفقراء والمساكين.

وفي المبحث الثالث تتبعت جهود عمر في نشر الإسلام خارج الدولة الإسلامية وفي داخلها حيث بينت مدى حرص عمر على إصلاح شأن الثغور المتاخمة للعدو قبل أن يدفع بجنوده إلى ساحة القتال، ثم انتقلت بعدها لإيضاح أسلوب عمر في نشر الإسلام بالطريقة السلمية، فدعا الملوك إلى الدخول في الإسلام ورغبهم فيه بالحكمة والموعظة الحسنة، كما شجع أهل الذمة من رعايا الدولة الإسلامية على الدخول في الإسلام بإعطاء بعضهم الأموال تأليفاً لقلوبهم، كما كان من نتائج تصحيح الوضع الخاص بأهل الذمة بوضع الجزية عنهم أثر واضح في إقبال الذميين على الدخول في الإسلام، وأرسل الرسائل الترغيبية لهم، واستعمل عليهم العمال الصالحين مما دفعهم رغبة وطوعاً للدخول فيه، وقد اهتم عمر بأمر تفقيههم في الدين بإرسال العلماء إليهم من أجل ذلك.

ولما كان رد المظالم يعد من مقدمة الأعمال الكبرى التي قام بها عمر بن

عبدالعزيز إبان خلافته، فقد أفردت لبيانه الفصل الثالث من هذا البحث، وقسمته مبحثين، تحدثت في أولهما عن: معنى المظالم، وحرمتها، وأورد بعض ما جاء في ذلك من القرآن والسنة.

ثم تكلمت عن المظالم قبل الإسلام، ثم توصلت عند الحديث عن المظالم بعد الإسلام إلى أنها لم تبدأ في عهد الخلفاء الراشدين وعلى عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان كما يدعي البعض، وذلك عن طريق تحقيق تلك الرواية التي اعتمدوا عليها بالدس على عثمان من أنه أعطى بني أمية الأموال فوضح لي أن رواتها مجرحون ثم بينت أن المظالم حدثت فعلاً على عهد الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان حين جمع عماله من بعض الأراضي الكسروية هدايا النيروز والمهرجان فيما لم يكن للمسلمين فيه حق، وتوالت هذه التجاوزات وأمثالها على عهود الخلفاء الأمويين إلى أن كان عهد عمر بن عبدالعزيز.

ثم أوردت صوراً ونماذج لتلك المظالم التي اقترفها بعض خلفاء بني أمية وولاتهم بحق الرعية، مسلميها وذمييها، والتي فصل عمر فيها حين ولى الخلافة.

أما المبحث الثاني فقد عقدته للكلام عن سياسة عمر في رد تلك المظالم واشتمل هذا المبحث على نقاط خمس، بينت في الأولى منها سياسة عمر بن عبدالعزيز في رده للمظالم من نفسه أولاً ليكون قدوة لسواه من أهل بيته وغيرهم، وبينت أنه ردها بعدد من الطرق منها: أنه باع كل ما كان له من متاع وعبيد ولباس وعطر وأشياء في الفضول، وأودع ثمنها في بيت المال، كما رد ما لم يكن له فيه حق من إقطاعات وغيرها إلى أصحابها أو إلى بيت المال.

وبالنسبة لزوجه فقد خيرها بين أن ترد كل ما كان أبوها وغيره قد وهبها إياه من أموال وحلي إلى بيت المال أو تفارقه، فاختارته دون تردد، وتخلت عن كل ما كان تحت يدها.

والنقطة الثانية تتعلق بسياسة عمر في رد المظالم من بني أمية، وقد بدأ بذلك فور توليه أمور السلطة برفضه مظاهر الخلافة من سرادقات وحجرات

وفرش ووطاءات، وأمر عمر مولاه مزاحماً ببيعها ووضع ثمنها في بيت المال، ثم اتبع سبيل الحسنى في استرداد ما كان في يد بني أمية من إقطاعات وأموال وبينت أن هذه السياسة جعلت بني أمية يضجون منها ويلجأون إلى عدد من أعيان القوم علّهم يفلحون في ثني عمر عن سياسته هذه لكنه استمر ماضياً فيها رغم ما لاقاه من تهديد ووعيد، وأوضحت أن عمر لم يكتف برد المظالم المادية بل تعداها إلى المظالم المعنوية، فمنع سب علي بن أبي طالب ثم أباح الحمى ومنع استغلال مرافق الدولة العامة.

وقد خصصت النقطة الثالثة للحديث عن رده المظالم للموالي الذين عوملوا معاملة لم يأمر بها كتاب الله، ولا وردت في سنة نبيه، فبينت كيف أعاد لهم مساواتهم مع إخوانهم المسلمين في العطاء، وكيف رفع عن رؤوسهم الجزية التي فرضها الحجاج على من أسلم من أهل الذمة، وكيف أباح لهم الهجرة من قراهم واللحاق بأمصار المسلمين.

وفي النقطة التالية بينت إنصافه لأهل الذمة ورده المظالم إليهم وأوضحت كيف رفع عمر عنهم ما زيد على رؤوسهم من جزية أو أرضهم من خراج، وكيف رفع عنهم السخرة والعبودية وأعاد إليهم ما اغتصب من أموالهم وأبعد من نزل في منازلهم من المسلمين معيداً لهم تلك الحياة التي أمر بها الله ورسوله في معاملتهم والتي عوملوا بها فعلاً على عهد سيد الخلق وخلفائه الكرام.

وختمت هذا المبحث ببيان رده المظالم من عماله، وأوضحت أسلوبه الحازم الذي اتبعه معهم من أجل إعادة الحقوق إلى أصحابها، وأوضحت كيف أمرهم بهدم بيوت المكس، ورفع كل ضريبة أخذت من الرعية ظلماً ثم كيف شدد على عماله في إقامة العدل والإحسان إلى الرعية.

وهكذا تتبعت حياة هذا الخليفة وأعماله العظيمة التي أضاء بها وجه التاريخ فكان ولا يزال نبراساً لكل من يريد إصلاحاً لهذه الأمة في كل عصر. وأرجو أن أكون قد وفقت إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

□ □ □

ملحق
بتسمية عمّال عمر بن عبد العزيز ابان خلافته


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



ملحـــق

بتسمية عمال عمر بن عبدالعزيز

إبــــان خـــلافتـــه

تمهيـــد:

نتيجة لتصميم عمر بن عبدالعزيز منذ توليه الخلافة على أن يسود العدل دار السلام فقد عمل ما وسعه الجهد على إقامة السنة، وإماتة البدعة، ورد المظالم، باعتبارها الوسائل الأساسية في تحقيق العدالة التي كان ينشدها. ومن هنا كان دقيقاً في اختيار أعوانه لمختلف الأعمال في جميع الأمصار. لقد كان أسلوبه يجمع بين الدقة والأناة في اختيارهم كما كانت معاييره في التقويم مرهفة، إذ كان يختارهم من بين المصلين المحسنين المكثرين لقراءة القرآن، الصدوقين، الثقات الذين لا يخافون في الله لومة لائم، ورغم هذا كان يخضعهم لامتحان دقيق لا ينجح فيه الطامع ولا المرائي، ومثال ذلك: ما يرويه ابن الجوزي عن جويرية بن أسماء أنه قال: «لما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة وفد عليه بلال بن أبي بردة فهنأه فقال: من كانت الخلافة يا أمير المؤمنين شرفته فقد شرفتها، ومن كانت زانته فقد زنتها... فجزاه عمر خيراً. ولزم بلال المسجد يصلي ويقرأ ليله ونهاره، فهم عمر أن يوليه العراق، ثم قال: هذا رجل له فضل، فدس إليه ثقة له، فقال له: إن عملت لك في ولاية في العراق ما تعطيني؟ فضمن له مالاً جليلاً، فأخبر بذلك عمر فنفاه وأخرجه وقال: يا أهل العراق، إن صاحبكم أعطى مقولاً ولم يعط معقولاً وزادت بلاغته ونقصت زهادته»(١).

---

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص ٩٣.

كما منع عماله من استخدام غير أهل القرآن وكتب لهم: «لا يستعمل على المسلمين إلا أهل القرآن، فإن لم يكن عندهم خير فغيرهم أولى أن لا يكون عنده خير»[1]. وفي رواية أخرى: «. . . إن الله، عز وجل، أكرم بالإسلام أهله، وشرفهم وأعزهم، وضرب الذلة والصغار على من خالفهم، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، فلا تولين أمور المسلمين أحداً من أهل ذمتهم، وخراجهم فتبسط عليهم أيديهم وألسنتهم فتذلهم بعد أن أعزهم الله، وتهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى، وتعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم، ومع هذا فلا يؤمن غشهم إياهم، فإن الله عز وجل يقول: ﴿لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عَنِتُّم﴾[2] و: ﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض﴾[3]، والسلام»[4].

ووبخ من خالف تعاليمه هذه[5]. كذلك أمر عماله بانتقاء أعوانهم من أهل الصلاح، والابتعاد عن تولية أهل الشر. فكتب لهم كتاباً جاء فيه: «إياكم أن تستعينوا بأهل الشر فيظهر أهل الباطل على أهل الحق واستعينوا بأهل الخير يظهر أهل الحق على أهل الباطل»[6].

ولم يكتف عمر باختيار عماله من جلة التابعين الصدوقين العلماء الثقات والمفتنين الكبار الراوين لحديث رسول الله والمروي عنهم، الناصبين في العبادة الزاهدين في الدنيا، المبتغين لوجه الله في كل عمل يقدمون عليه، فقد كان يرسل إليهم يأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر، ويعظهم ويخوفهم من غضب الله وبأسه، ومغبة يوم القيامة حتى ينخلع قلبهم، ومن ذلك ما كتبه لأحد عماله يقول: «أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد وإياك أن ينصرف

---

(١) ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/٢٠٧.
(٢) آية ١١٨ من سورة آل عمران.
(٣) آية ٥١ من سورة المائدة.
(٤) ابن الأثير: **الكامل** ٥/٦٦.
(٥) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣ / ورقة ١٥٣/ب.
(٦) المصدر السابق، ورقة ١٥١/أ.

بك من عند الله فيكون آخر العهد بك، وانقطاع الرجاء منك، قالوا: فخلع هذا العامل نفسه من العمالة، وقدم على عمر فقال له: ما لك؟ فقال: خلعت قلبي بكتابك يا أمير المؤمنين والله لا أعود إلى ولاية أبداً»[1].

وكتب إلى آخر: «اتق الله فإن التقوى هي التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثاب إلا عليها، وإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل»[2].

وكتب أيضاً إلى أحدهم يقول: «. . . فاتق الله فيمن وليت أمره ولا تأمن مكره في تأخير عقوبته، فإنما تعجل بالعقوبة من يخاف الفوت»[3].

كما كان يأمرهم بالأخذ بالسنة في حكم الرعية، فقال: «إن لم تصلحهم السنة فلا أصلحهم الله»[4].

كما كان يمنعهم من ظلم الرعية، فكتب إلى أحدهم يقول: «إذا دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم فاذكر قدرة الله تعالى عليك، ونفاذ ما تأتي إليهم وبقاء ما يأتون إليك»[5].

وكتب إلى آخر: «إن قدرت أن تكون في العدل والإحسان والإصلاح كقدر من كان قبلك في الجور والعدوان والظلم فافعل ولا حول ولا قوة إلا بالله»[6].

وليضمن انصرافهم إلى أعمالهم بضمائر حية وإيمان قوي، وسع عليهم في الرزق، ذكر ابن عبدالحكم أن ابن أبي زكريا دخل على عمر فقال: «يا أمير المؤمنين إني أريد أن أكلمك بشيء قال: قل. قال: قد بلغني أنك ترزق العامل

---

(١) ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/٢٠٨.
(٢) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٨٧.
(٣) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣ / ورقة ١٤٩/أ.
(٤) ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/٢٠٧.
(٥) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (مخطوط)، مجلد ١٣ / ورقة ١٤٨/ب.
(٦) ابن سعد: **الطبقات** ٥/٣٨٣.

من عمالك ثلاث مائة دينار قال: نعم، قال: ولم ذلك؟ قال: أردت أن أغنيهم عن الخيانة»[1].

وفي رواية أخرى: «إنهم إذا كانوا في كفاية تفرغوا لأشغال المسلمين»[2].

والآن، إلى قائمة أسماء هؤلاء العمال:

* **المــدينــة:**

أقر عمر بن عبدالعزيز عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم[3]، وهو أحد الأئمة الأثبات الثقات.

روى عن أبيه، وعن خالته عمرة بنت عبدالرحمن، وسلمان الأغر وعبدالله بن قيس بن مخرمة وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم، وعداده في صغار التابعين، وروى عنه خلق منهم ابناه عبدالله ومحمد والزهري. توفي سنة عشرين ومائة للهجرة.

القضـــاء:

وكان أبو بكر قد استقضى ابن عمه أبا طوالة عبدالله بن عبدالرحمن بن معمر، وكنيته أبو طوالة.

روى عن أنس وعامر بن سعد، سمع منه مالك بن أنس، وسليمان بن بلال، وزائدة، وخالد بن عبدالله الواسطي، وكان ثقة صدوقاً. توفي بعد سنة ثلاثين ومائة هجرية.

---

(١) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٣٩.

(٢) ابن كثير: **البداية والنهاية** ٢٠٣/٩.

(٣) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٢٣.

(٤) ابن عبدالبر: **تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، (ط. القاهرة)، ١٣٥٠هـ، ص ١٦٢؛ الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ٣١٣/٥ ـ ٣١٤؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٣٨/١٢؛ ابن العماد: **شذرات الذهب** ١٥٧/١.

(٥) البخاري: **التاريخ الكبير** ١٣٠/٥؛ البسوي: **المعرفة والتاريخ** ٤٢٦/١؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٩٤/٢/٢ ـ ٩٥؛ الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ٣١٤/٥؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٢٩٧/٥.

* مكـــة:

أقر عمر عليها عبدالعزيز بن عبدالله بن أسيد الأموي وإلى سليمان بن عبدالملك.

روى عبدالعزيز عن أبيه، وعن محرش الكعبي، وأبي سلمة بن سفيان وغيرهم، وروى عنه كلثوم بن جبر والسفاح بن مطر وآخرون، وثقة النسائي وابن حبان. توفي في خلافة هشام بن عبدالملك[1].

* اليمــن:

أقر عمر بن عبدالعزيز عليها عروة بن محمد بن عطية السعدي عامل سليمان بن عبدالملك.

روى عن أبيه عن جده، وعنه أبو وائل القاص، وأمية بن شبل الصنعاني وسماك بن الفضل وآخرون، ذكره ابن حبان في الثقات. توفي بعد سنة ١٣٠هـ[2].

القضـــاء:

وكان عمر قد استعمل على قضاء اليمن وبيت مالها وهب بن منبه اليماني الأبناوي، وكنيته أبو عبدالله[3].

ولد وهب في سنة أربع وثلاثين هجرية في خلافة عثمان رضي الله عنه. روى عن ابن عباس وجابر بن عبدالله، وأخيه همام بن منبه وغيرهم، وروى عنه

---

(١) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٢٣؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل ٢/٢/٩٥**؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب ٣٤٢/٦**؛ الخزرجي: **خلاصة تهذيب الكمال ١٦٦/٢ ـ ١٦٧**.

(٢) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل ٣٩٧/٣**؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب ١٨٧/٧ ـ ١٨٨**.

(٣) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٥٨؛ البخاري: **التاريخ الكبير ١٦٤/٨**؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب ١٦٦/١١، ١٦٧**؛ ابن العماد: **شذرات الذهب ١٥٠/١**.

عمرو بن دينار، والمغيرة بن حكيم، وعوف الأعرابي وطائفة. وهو تابعي جليل واسع العلم ثقة. توفي في صنعاء في محرم سنة أربع عشرة ومائة هجرية(١).

الصدقـــات:

كما استعمل على صدقات اليمن نافعاً مولى عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، وكنيته أبو عبدالله، ثم بعثه إلى مصر ليعلم أهلها السنن، روى عن عدد من الصحابة عن مولاة ابن عمر، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، والسيدة عائشة وغيرهم وروى عنه الزهري، ومالك بن أنس، وعبيدالله بن عمر، وأيوب السختياني وطائفة غيرهم. كان نافع ثقة حافظاً ثبتاً فيما نقل وحمل من أثر في الدين. توفي في المدينة في سنة سبع عشرة ومائة(٢).

*** عمـــان:**

قال خليفة بن خياط: ولي عدي عليها سعيد بن مسعود المازني، ثم عزل فولاها عمر بن عبدالعزيز من قبله عمرو بن عبدالله بن أبي طلحة الأنصاري المدني.

روى عن عمه أنس بن مالك، وعبدالله بن الزبير، وعنه جرير بن زيد، ومحمد بن إسحاق، وموسى بن أنس.

وكان عمرو بن عبدالله صالحاً، ويؤيد هذا ما قاله الأوزاعي عنه: «لم يكن أحد من عمال عمر بن عبدالعزيز يشبه به إلا عمرو بن عبدالله بن أبي طلحة الأنصاري عامله على عمان»(٣).

---

(١) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٢٤/٢/٤؛ النووي: **تهذيب الأسماء واللغات** ١٤٩/٢/١؛ الذهبي: **تذكرة الحفاظ** ١٠١/١؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١٦٧/١١.

(٢) البخاري: **التاريخ الكبير** ٨٥/٨؛ ابن قتيبة: **المعارف**، ص ٢٠٣؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٤٥١/١/٤ ـ ٤٥٢؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٤١٢/١٠ ـ ٤١٤.

(٣) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٢٣، البخاري: **التاريخ الكبير** ٣٤٨/٦ ـ ٣٤٩؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٢٤٤/٣؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٦٣/٨.

وتذكر المصادر أن حاجب بن المفضل بن المهلب هو عامل عمر بن عبدالعزيز على عمان دون أن تفصل متى كانت توليته هل هو قبل أم بعد عمرو بن عبدالله أو أنه كان يشغل منصباً آخر فيها.

وحاجب بن المفضل بن المهلب بن أبي صفرة يعد في البصريين. روى عن أبيه عن النعمان عن النبي وعن حماد بن زيد. وثقة ابن معين وابن حبان[1].

* اليمامــة:

اختلف المؤرخون في اسم والي عمر عليها، فقال خليفة بن خياط: هو زرارة بن عبدالرحمن[2]، هذا ولم تذكر المصادر أية ترجمة لهذا العامل.

أما أبو زرعة الدمشقي فقال هو عمرو بن عبدالله بن أبي طلحة[3]، ولكن هذه الرواية تضعف أمام الروايات التي أوردها المؤرخون والتي تؤيد أن عمرو هو والي عمر على عمان.

* البحــران:

ذكر خليفة بن خياط أن عدياً ولى عليها الصلت بن حريث ثم عزله، وولى مكانه عبدالكريم بن المغيرة. قال خليفة: أظنه باهلياً[4]، وقد انفرد خليفة بهذا.

* البصــرة:

ولَّى عليها عمر بن عبدالعزيز عدي بن أرطاة الفزاري الدمشقي.

روى عن أبيه وعمرو بن عبسة، وأبي أمامة الباهلي وغيرهم، وروى عنه بكر بن عبدالله المزني، وعقبة بن قبيصة وآخرون[5].

---

(١) البخاري: **التاريخ الكبير** ٣/٧٩؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٢/١٣٤؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال** ١/١٨٠.

(٢) **تاريخ**، ص ٣٢٣.

(٣) **تاريخ** ١/٥٦٢.

(٤) **تاريخ**، ص ٣٢٢.

(٥) البخاري: **التاريخ الكبير** ٧/٤٤؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٣/٢/٣؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال** ٢/٢٢٣.

وكان عمر قد ولاه البصرة في عام تسعة وتسعين هجرية، وسبب توليته له توضحها رسالة بعث بها عمر إليه جاء فيها: «أما بعد، فإنك غررتني بعمامتك السوداء، ومجالستك القراء وإرسالك العمامة من ورائك، وأظهرت لي الخير فأحسنت بك الظن. . .»[١].

وكان عدي قد قتل صبراً في صفر سنة اثنين ومائة هجرية[٢].

القضـــاء:

وكان عدي بن أرطاة قد استقضى الحسن بن أبـي الحسن البصري وكنيته أبو سعيد، ولد في المدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه.

روى عن أنس بن مالك، وابن عمر، وجندب بن عبدالله، ومعقل بن يسار وغيرهم من الصحابة، وروى عنه أيوب السختياني، وحميد الطويل، وقتادة، ويونس بن عبيد وآخرون.

وكان الحسن سيد التابعين البصريين، وأحد أئمة الهدى والسنة المجمع على جلالته. توفي في البصرة سنة عشر ومائة للهجرة.

وكان الحسن قد استعفى عدياً من القضاء فأعفاه[٣] فولي مكانه اياس بن معاوية بن قرة بن اياس بن هلال المزني البصري، وكنيته أبو واثلة. روى عن أبيه، وأنس، وسعيد بن المسيب، وأبـي مجلز، وعنه محمد بن عجلان وشعبة، وحماد بن سلمة.

كان اياس تابعياً علامة ثقة، وثقه ابن سعد والعجلي وابن معين والنسائي

---

(١) الذهبـي: **تاريخ الإسلام** ٤/١٥٠؛ وانظر ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٠١.

(٢) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٢٥؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٧/١٦٤؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال** ٢/٢٢٣.

(٣) ابن قتيبة: **المعارف**، ص ١٩٤ ــ ١٩٥؛ النووي: **تهذيب الأسماء واللغات** ١/١/١٦١؛ الذهبـي: **ميزان الاعتدال** ١/٥٢٧؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٢/٢٦٣ ــ ٢٧٠.

وابن حبان كما كان فقيهاً عفيفاً، ضرب المثل بذكائه وعقله وفصاحته وفطنته[1].

وظل اياس يحكم بين الناس بالعدل، وإذا أشكل عليه سأل محمد بن سيرين سنة كاملة، ثم قدم دمشق حيث استعفى عمر بن عبدالعزيز فأعفاه[2].

توفي اياس في البصرة سنة اثنتين وعشرين ومائة[3].

*** الكـوفـة:**

ولّى عليها عمر بن عبدالعزيز، عبدالحميد بن عبدالـرحمن بن زيد بن الخطاب القرشي العدوي، الإمام العادل الثقة، وكنيته أبو عمر، وذلك في عام تسعة وتسعين للهجرة.

روى عن القاسم، ومسلم بن يسار، وابن عباس، ومحمد بن سعد بن أبـي وقاص، وروى عنه الزهري وزيد بن أبـي أنيسة، والحكم بن عتبة.

توفي عبدالحميد بن عبدالرحمن بحران في خلافة هشام بن عبدالملك سنة نيف عشرة ومائة[4].

القضـــاء:

وكان عبدالحميد قد استقضى عامراً بن شراحيل الحميري الشعبي، وكنيته أبو عمر.

ولد الشعبـي لست مضت من خلافة عثمان رضي الله عنه.

روى عن عدد كبير من الصحابة منهم الحسن والحسين ابني علي بن

---

(١) البخاري: **التاريخ الكبير ١/٤٤٢**؛ ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل ١/١/٢٨٢**؛ الذهبـي: **ميزان الاعتدال ١/٢٨٣**؛ ابن كثير: **البداية والنهاية ٩/٣٣٤**؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب ١/٣٩٠**.

(٢) ابن كثير: **البداية والنهاية ٩/٣٣٧**.

(٣) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٥٤؛ ابن قتيبة: **المعارف**، ص ٢٠٥.

(٤) الطبري: **تاريخ ٦/٥٥٤**؛ ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل ٣/١٥ ــ ١٦**؛ الذهبـي: **سير أعلام النبلاء ٥/١٤٩**؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب ٦/١١٩**.

أبـي طالب، وعبدالله بن جعفر بن أبـي طالب، وأسامة بن زيد وغيرهم، كما روى عن عدد من التابعين، وروى عنه كثيرون منهم: أبو إسحاق السبيعي، وسعيد بن عمرو بن أشوع والأعمش وابن سيرين وغيرهم.

كان الشعبـي علامة أهل الكوفة، كما كان إماماً حافظاً علماً ثقة، يحتج به وثقة ابن معين، وأبو زرعة، وابن حبان، وغيرهم. توفي في سنة ثلاث ومائة للهجرة[1].

وقد أعان عمر بن عبدالعزيز واليه على الكوفة بأبـي الزنـاد كاتبـاً، وأبو الزناد هو عبدالله بن ذكوان القرشي المدني.

ولد حوالي سنة خمس وستين للهجرة.

روى عن عبدالله بن جعفر، وأبـي سلمة بن عبدالرحمن والأعرج، وعنه مالك والثوري وابنه عبدالرحمن وغيرهم.

كان إماماً فقيهاً حافظاً مفتياً ثبتاً. مات في سنة ثلاثين ومائة للهجرة»[2].

* المـوصـل:

ولّى عليها عمر يحيى بن يحيى بن قيس السبائي الغساني الدمشقي الإمام وكنيته أبو عثمان.

روى عن ابن المسيب، وعروة بن الزبير، وعمره بنت عبدالرحمن، وعنه ابنه هشام، وابن عيينة ومحمد بن إسحاق، وسفيان، وثقه ابن معين. توفي سنة خمس وثلاثين وقيل أربع وثلاثين للهجرة[3].

---

(1) ابن قتيبة: **المعارف**، ص ١٩٨ ــ ١٩٩؛ ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ٣/٣٢٣، ٣٢٤؛ ابن كثير: **البداية والنهاية** ٩/٢٣٠؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٥/٦٥ ــ ٦٩؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال** ٢/٢٢.

(2) البخاري: التاريخ الكبير ٥/٨٣؛ ابن قتيبة: **المعارف**، ص ٢٠٤؛ الذهبـي: **سير أعلام النبلاء** ٥/٤٤٥ ــ ٤٥١؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٥/٢٠٣.

(3) البخاري: **التاريخ الكبير** ٨/٣١٠؛ أبـو زرعة الـدمشقي: **تاريـخ** ١/٣٣٩؛ ابن أبـي حـاتم: **الجرح والتعـديل** ٤/٢/١٩٧؛ الأزدي: **تـاريخ المـوصـل**، ص ٣؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال** ٣/١٦٣.

* أصبهـــان[1]:

ولّى عليها عمر بن عبدالعزيز، حكيم بن شريك الهذلي المصري. روى عن يحيى بن ميمون، وعنه عطاء بن دينار الهذلي، وثقة ابن حبان والبستي[2].

* خـــراســـان:

ولّى عليها عمر الجراح بن عبدالله الحكمي شـامي الأصل حمصي، وهو من سعد العشيرة من اليمن، وكنيته: أبو عقبة.

روى عن ابن سيرين، وعنه يحيى بن عطية، وصفوان بن عمرو، قال عنه الذهبـي: كان الجراح فارس الكتائب، ومقدم الجيوش بطلاً شجاعـاً طوالاً، كبير القدر عابداً قارئاً مهيباً[3].

وكان عمر قد ولاه خراسان في سنة تسع وتسعين للهجرة، إلا أنه عزله عنها في سنة مائة[4]. توفي الجراح في أرمينيـة[5] سنة اثنتي عشـرة ومائـة هجرية[6].

وبعد عزل الجراح بن عبدالله ولى عمر بن عبدالعزيز عبدالرحمن بن نعيم الغامدي صلاتها وحربها، وعبدالرحمن بن عبدالله القشيري خراجها، وذلك في عام مائة هجرية[7]. ومما تجدر الإشارة إليه أن المصادر سكتت عن ذكر أي شيء يتعلق بحياة هذين العاملين.

---

(١) أصبهان: اسم إقليم بأسره، كانت مدينتها أولاً جيا ثم صارت اليهودية. ياقوت: **معجم البلدان** ١/٢٠٦.

(٢) الأصبهاني: **ذكر أخبار أصبهان** ١/٣٠٢؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٢/٤٥٠؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال** ١/٢٤٨.

(٣) البخـاري: **التاريـخ الكبير** ٢/٢٢٦ ـ ٢٢٧؛ ابن أبـي حـاتم: **الجرح والتعـديـل** ١/١/٥٢٢ ـ ٥٢٣؛ الذهبـي: **سير أعلام النبلاء** ٥/١٨٩.

(٤) الطبري: **تاريخ** ٦/٥٤٤، ٥٥٨؛ ابن الأثير: **الكامل** ٥/٥٠ ـ ٥١.

(٥) أرمينيا: اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال. ياقوت: **معجم البلـدان** ١/١٦٠.

(٦) ابن الأثير: **الكامل** ٥/١٥٨ ـ ١٥٩؛ الذهبـي: **سير أعلام النبلاء** ٥/١٩٠.

(٧) الطبري: **تاريخ** ٦/٥٦١.

وظل عبدالرحمن بن نعيم والياً على خراسان أكثر من سنة ونصف[1]. أما عبدالرحمن بن عبدالله القشيري، فقد ذكرت المصادر أنه عـزل عن خراج خراسان، وولي مكانه عقبة بعد زرعة الطائي[2]. ولم تمدني المصادر التي بين يدي بترجمة له.

* **سمـرقنـد**[3]:

استعمل عليها عمر سليمان بن أبـي السري[4]. ولم تمدني المصادر التي بين يدي بترجمة له.

* **سجستـان**:

أما سجستان فقد ولّى عليها عمر، عبدالله بن صخر القرشي[5]. ولم تذكر المصادر التي بين يدي أية معلومات عنه.

* **ثغـر السنـد**:

ولّى عليه عمر: عمرو بن مسلم الباهلي أخا قتيبـة بن مسلم، فقام عمرو بغزو أراضي الهند فظفر[6] ولم تذكر المصادر التي بين يدي ترجمة له.

* **الجزيرة وأرمينية وأذربيجان**:

ولّى عليهما عمر، عبدالعزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي، وذلك في عام تسعة وتسعين[7]. ولم تذكر المصادر التي بين يدي ترجمة لهذا العامل ـ إلا أنه

---

(١) ابن الأثير ٥/٥٢.

(٢) الطبري: **تاريخ** ٦/٥٦٨.

(٣) سمـرقنـد: بلد معـروف بمـا وراء النهـر وهي قصبـة الصغـد. يـاقـوت: **معجم البلدان** ٣/٢٤٦.

(٤) ابن الأثير: **الكامل** ٥/٦٠.

(٥) الطبري: **تاريخ** ٦/٥٦٢.

(٦) ابن الأثير: **الكامل** ٥/٥٤ ـ ٥٥؛ ابن تغرى‌بردى: **النجوم الزاهرة** ١/٢٤٣.

(٧) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٢٣.

عزله عنها كما قال خليفة، وولى بدلاً منه عدي بن عدي بن عميرة الذي ولّى من قبله سوادة أبا الصباح بن سوادة الكندي الجزيرة[1]، إلا أن هذا الخبر ضعيف لإجماع أكثر المؤرخين على أن عدي كان في الجزيرة على عهد عمر بن عبدالعزيز[2].

وفي عهد الوالي عبدالعزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي أغارت الترك على أذربيجان، وقتلوا جماعة من المسلمين فوجهه عمر إليهم، فأظفره الله بهم وكان ذلك في عام تسعة وتسعين للهجرة[3].

توفي عبدالعزيز في أرمينية سنة ثلاث ومائة[4].

* **الجـزيـرة:**

وانفرد كل من الطبري، وابن الأثير، وابن كثير بالخبر التالي وهو: أن عمر بن عبدالعزيز قد ولى عليها في عام مائة هجرية عمر بن هبيرة[5] بن معاوية بن سكين الفزاري الشامي، الأمير، وكنيته أبو المثنى[6]. توفي عمر بن هبيرة في عام سبعة ومائة تقريباً بعد أن تولى العراقين يزيد بن عبدالملك[7].

أما ابن سعد ومن تبعه من أصحاب كتب الرجال. فذكر أن عمر بن عبدالعزيز قد ولى على الجزيرة عدي بن عدي بن عميرة بن فروة بن زرارة بن الأرقم الكندي أبو فروة الجزري، سيد أهل الجزيرة ومفتيهم وأميرهم، وأمير أرمينية وأذربيجان لسليمان بن عبدالملك، وصاحب عمر بن عبدالعزيز[8].

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٢٣.

(٢) انظر ابن سعد: **الطبقات** ٧/٤٨٠؛ النووي: **تهذيب الأسماء واللغات** ١/١/٣٢٩.

(٣) الطبري: **تاريخ** ٦/٥٥٣ ــ ٥٥٤؛ ابن الأثير: **الكامل** ٥/٤٣. وقد جاء فيه أن اسم الوالي حاتم بن النعمان والأرجح كما ذكرت.

(٤) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٢٩؛ ابن الأثير: **الكامل** ٥/١٠٦.

(٥) **تاريخ** ٦/٥٥٦؛ **الكامل** ٥/٥٥؛ **البداية والنهاية** ٩/١٨٨.

(٦) الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ٤/٥٦٢.

(٧) المصدر السابق ٤/٥٦٢.

(٨) **الطبقات** ٥/٣٤١؛ النووي: **تهذيب الأسماء واللغات** ١/١/٣٢٩؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٧/١٦٨؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال** ٢/٢٢٤.

روى عن أبيه مرسل وعمه العرس، ورجاء بن حيوة وغيرهم، وعنه عيسى بن عاصم، وأبو الزبير المكي، وميمون بن مهران الجزري وآخرون. وثقه ابن معين والعجلي وأبو حاتم وقال أحمد بن حنبل: عدي بن عدي عن مثله لا يسأل[1].

أما النووي فقال: اتفق على فضله وصلاحه وعبادته وجلالته[2].

القضـــاء:

ونظراً لتفقه عدي وعلمه ضم إليه عمر القضاء بها[3].

توفي عدي في الجزيرة سنة عشرين ومائة هجرية[4].

كما ولّى القضاء والخراج بها من قبل عمر بن عبدالعزيز ميمون بن مهران الجزري الرقي أبو أيوب الإمام الحجة، عالم الجزيرة ومفتيها[5].

ولد سنة أربعين هجرية نشأ بالكوفة ثم سكن الرقة[6].

روى عن ابن عمر وابن عباس وأم الدرداء وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم، وعنه ابنه عمرو، وجعفر بن برقان وجعفر بن أبـي وحشية وطائفة. وثقة أحمد بن حنبل والعجلي وأبو زرعة والنسائي وابن حبان[7]، وكان عمر بن عبدالعزيز إذا نظر إليه قال: إذا ذهب هذا وأمثاله صار الناس بعده رجراجة[8]، وبلغ به

---

(١) ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ٣/٢/٣؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٧/١٦٨ ــ ١٦٩.

(٢) **تهذيب الأسماء واللغات** ١/١/٣٢٩.

(٣) ابن سعد: **الطبقات** ٧/٤٨٠.

(٤) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٥٠؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال** ٢/٢٢٤.

(٥) الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ٥/٧١؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١/٣٩٠.

(٦) البخاري: **التاريخ الكبير** ٧/٣٣٨؛ الذهبي: **تذكرة الحفاظ** ١/٩٩.

(٧) ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ٤/١/٢٣٣ ــ ٢٣٤؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١٠/٣٩٠ ــ ٣٩١.

(٨) أبو زرعة الدمشقي: **تاريخ** ١/٢٤٨ ــ ٢٤٩.

الخوف والخشية من الله أنه كان يود لو قطعت أصبعه ولم يل لعمر ولا لغيره[1].

توفي ميمون في الجزيرة في عام ١١٦ أو ١١٧، ١١٨هـ[2].

* **أذربيجـــان:**

أما أذربيجان فقد كان ولَّى عمر عليها عبيدة بن عبدالرحمن السلمي[3]. ولم تذكر المصادر التي بين يدي ترجمة له.

* **الشـامـات:**

* **ملطيـــة:**

ولَّى عليها عمر جعونة بن الحارث أحد بني عامر بن صعصعة. روى عنه عمرو بن ميمون بن مهران[4].

* **قنســرين:**

ولاها عمر بن عبدالعزيز الوليد بن هشام بن معاوية بن هشام بن عقبة بن أبـي معيط الأموي المعيطي الشامي أبو يعيش.

روى عن أم الدرداء ومعدان بن طلحة وعبدالله بن محيرز وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم، وعنه ابنه يعيش وسفيان بن عيينة، والأوزاعي وآخرون. وثقه ابن معين والعجلي والأوزاعي وابن حبان[5].

---

(١) ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٣٩١/١٠.

(٢) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٤٧؛ البخاري: **التاريخ الكبير** ٣٣٨/٧؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال** ٧٤/٣.

(٣) الخولاني: **تاريخ داريا**، ص ٨٥.

(٤) البخاري: **التاريخ الكبير** ٢٥١/٢؛ ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ٥٤٠/١/١؛ البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ١٩٠.

(٥) البخاري: **التاريخ الكبير** ١٥٦/٨ ـ ١٥٧؛ ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ٢٠/٢/٤؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١٥٦/١١؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال** ١٣٥/٣.

كما ولّى الخراج بها من قبل عمر بن عبدالعزيز الفرات بن مسلم[1].

ولم تذكر المصادر التي بين يدي ترجمة له.

* حمص:

أما حمص فولاها عمر يزيد بن الحصين بن نمير السكوني المصري. قال عنه ابن أبي حاتم، ورى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه علي بن رباح[2]. وقال البخاري: «روى عنه محمد بن الزبير ولم يصح حديثه»[3].

توفي يزيد في سنة خمس ومائة للهجرة[4].

القضاء:

ولاه عمر الحارث بن يمجد الأشعري[5].

روى عن عبدالله بن عمرو، روى عنه عبدالرحمن بن يزيد بن جابر[6]. وكان عمر قد أرسله ويزيد بن أبي مالك الدمشقي إلى البدو لتفقيه الناس هناك، وأجرى عليها رزقاً. فأما يزيد فقبل وأما الحارث فرفض أن يقبل وكتب إلى عمر بذلك فكتب عمر: إنا لا نعلم بما فعل يزيد بأساً وأكثر الله فينا مثل الحارث بن يمجد[7].

* دمشق:

ولّاها عمر محمد بن سويد بن كلثوم الفهري القرشي.

روى عن عم أبيه الضحاك بن قيس الفهري، وحذيفة بن اليمان، وروى

---

(١) ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٢٩.

(٢) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٢٣؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٢٥٥/٢/٤.

(٣) **التاريخ الكبير** ٣٢٦/٨.

(٤) ابن الأثير: **الكامل** ١٠٥/٥ ـ ١٠٦.

(٥) أبو زرعة الدمشقي: **تاريخ** ٢٠٣/١.

(٦) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٩٤/٢/١.

(٧) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٧٤ ـ ٧٥.

عنه الزهري ومكحول، وصالح مولى أم حكيم. وثقه ابن حبان والعجلي وأضاف أنه تابعي شامي[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ابن حجر روى عن الزهري أنه قال:

«حدثني محمد بن سويد الفهري، وكان على الطائف زمن عمر بن عبدالعزيز»[2]. ويتضح من هذا الخبر أن محمد بن سويد عزل عن دمشق، ثم ولى الطائف لعمر، ويؤيد هذا أن عمر بن عبدالعزيز ولى دمشق الضحاك بن عبدالرحمن بن عرزب ـ ويقال عرزم ـ الأشعري الطبراني، الدمشقي وقيل الأردني. روى عن أبي هريرة، وعن أبيه وعبدالرحمن بن غنم وأبي موسى الأشعري وغيرهم، روى عنه مكحول، وعيسى بن سنان، وعبدالله بن نعيم وآخرون.

قال عنه العجلي: تابعي ثقة كان من خير الولاة كما وثقه ابن حبان. ولّى دمشق مرتين، ومات عمر وهو وال عليها، وفي رواية أخرى أنه كان على الأردن، وتوفي عام خمسة ومائة للهجرة[3].

القضـــاء:

ولاه عمر سليمان بن حبيب المحاربي الدمشقي الداراني قاضي الخلفاء، اختلف في كنيته، فقالوا: أبو أيوب، وقيل أبو بكر، ويقال أبو ثابت.

روى عن عدد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: منهم أنس بن مالك وأبو أمامة الباهلي وأبو هريرة، ومعاوية بن أبي سفيان وكرز

---

(١) البخاري: **التاريخ الكبير** ١/١٠٧؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٢/٣/٢٧٨ ـ ٢٧٩؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٩/٢١٠؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال** ٢/١٤٢.

(٢) **تهذيب التهذيب** ٩/٢١٠ ـ ٢١١.

(٣) البخاري: **التاريخ الكبير** ٤/٣٣٣؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٢/١/٤٥٩؛ الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ٤/٦٠٣؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٤/٤٤٦؛ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ): **أمراء دمشق في الإسلام**، تحقيق صلاح الدين المنجد (ط. دمشق) ١٩٥٥م، ص ٤٤.

الخزاعي وغيرهم، وعنه الزهري وعمر بن عبدالعزيز وزيد بن أبـي أنيسة وبرد بن سنان وآخرون.

وثقة يحيى بن معين والعجلي والنسائي، وقال الدارقطني: ليس فيه بأس تابعي مستقيم، وقال أبو داود قضى في دمشق أربعين سنة، فقد كان سليمان قاضياً لعبدالملك والوليد وسليمان وعمر بن عبدالعزيز وليزيد بن عبدالملك هو والزهري، وقضى لهشام أيضاً. وتوفي عام ستة وعشرين ومائة هجرية[1].

كما ولي قضاء دمشق إلى جانب سليمان بن حبيب، عبدالرحمن بن الخشخاش العذري، الذي كان قاضياً بدمشق لبني أمية.

روى عن فضالة بن عبيد، وسمع منه أنيس بن أبـي أنيس، وليس هناك من معلومات عنه أكثر من ذلك[2].

كذلك ولى عمر بن عبدالعزيز قضاء نواحي دمشق يزيد بن عبدالرحمن بن أبـي مالك الدمشقي الهمذاني.

روى عن أنس وواثلة بن الأسقع وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم، وروى عنه ابنه خالد والأوزاعي، وسعيد بن عبدالعزيز. قال ابن أبـي حاتم: كان يزيد من فقهاء الشام ثقة، سئل عنه أبو زرعة فأثنى عليه خيراً، توفي يزيد سنة ثلاثين ومائة[3].

---

(١) ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ٢/١/١٠٥، الخولاني: **تاريخ داريا**، ص ٦٨ ـ ٦٩؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٤/١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) البخاري: **التاريخ الكبير** ٥/٢٧٩؛ أبو زرعة الدمشقي: **تاريخ** ١/٢٠١؛ ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ٢/٢/٢٣٠.

(٣) البخاري: **التاريخ الكبير** ٨/٣٤٧؛ ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ٤/٢/١٩، ٢٧٧؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال** ٣/١٧٤؛ ابن العماد: **شذرات الذهب** ١/١٧٩.

* **البلقـــاء**[1]:

ذكر خليفة بن خياط أن عمر بن عبدالعزيز استعمل عليها الحارث بن عمرو الطائي[2].

* **الأردن**:

ولّى عمر بن عبدالعزيز قضاء الأردن ـ كما قال ابن أبي حاتم وابن الأثيرـ عبادة بن نسي الكندي، الشامي الأردني[3]، وفي رواية أخرى ولاه قضاء طبرية[4].

روى عن أبي الدرداء وشداد بن أوس وخباب بن الأرت وغيرهم، روى عنه رجاء بن أبي سلمة وعلي بن أبي حملة وبرد بن سنان وآخرون[5].

وثقه ابن سعد وأحمد وابن معين والعجلي والنسائي وابن حبان، وقال عنه البخاري: عبادة سيدهم. وقال أبو داود: سألت عنه ابن معين فقال: لا يسأل عنه من النسك، وروى المغيرة بن زياد أن مسلمة بن عبدالملك قال: في كندة ثلاثة نفر ينزل الله بهم الغيث، وينصرهم على الأعداء عبادة بن نسي وعدي بن عدي ورجاء بن حيوة[6]. توفي عبادة في سنة ثماني عشرة ومائة[7].

---

(١) البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان. ياقوت: **معجم البلدان** ١/٤٨٩.

(٢) **تاريخ**، ص ٣٢٣.

(٣) **الجرح والتعديل** ٣/٩٦؛ **الكامل** ٥/١٩٩.

(٤) طبريا: بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبريا وهي من أعمال الأردن بينها وبين الشام ثلاثة أيام. ياقوت: **معجم البلدان** ٤/١٧.

(٥) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٣/٩٦؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٥/١١٣؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال** ٢/٣٣.

(٦) ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٥/١١٤.

(٧) ابن الأثير: **الكامل** ٥/١٩٩؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال** ٢/٣٣؛ ابن العماد: **شذرات الذهب** ١/١٥٥.



* **فلسطـــين:**

ذكر خليفة أن عمر بن عبدالعزيز استعمل عليها النضر بن يريم بن أبرهة بن الصباح[1].

الـديـوان:

استعمل عمر على ديوان فلسطين عبدالله بن عوف القاري، وكنيته أبو القاسم. روى عن أبـي جمعة وبشير بن عقربة، روى عنه حجر بن الحارث الغساني والزهري، ورجاء بن أبـي سلمة[2].

* **سينـــاء:**

لم تمدني المصادر التي بين يدي أن ابن معدي كرب أهو عامل عمر على سيناء أم على لبنان وأيضاً لم تمدني باسمه الكامل واكتفت بذكر ابن معدي كرب وقصته مع عمر كما يروي ابن الجوزي «قال عمر بن عبدالعزيز: وددت أن عندي عسلاً من عسل سينين أو لبنان فسمعت فاطمة بنت عبدالملك فحملت بعض غلمانها أو بعض مواليها إلى ابن معدي كرب وهو عامل ذلك المكان أن أمير المؤمنين قد تشهى من عسل سينين أو لبنان، فأرسل إليه بعسل كثير. فلما انتهى بالعسل إليها أرسلت به إلى عمر، فقالت: هذا الذي تشهيت. فقال: كأني بك يا فاطمة قد بعثت بعض مواليك إلى ابن معدي كرب، فأمر بذلك العسل، فأخرج إلى السوق فبيع وأدخل ثمنه بيت مال المسلمين. ثم كتب إلى ابن معدي كرب أن فاطمة بعثت إليك تخبرك أني تشهيت عسلاً من عسل سينين أو لبنان فبعثت إليها. وأيم الله لئن عدت إلى مثلها لا تعمل لي عملاً أبداً ولا أنظر إلى وجهك»[3].

---

(1) **تاريخ**، ص ٣٢٣.

(2) البخاري: **التاريخ الكبير** ١٥٦/٥؛ البسوي: **المعرفة والتاريخ** ٤٠٢/١؛ ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ١٢٥/٢/٢.

(3) **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٥٨؛ وانظر البسوي: **المعرفة والتاريخ** ٥٨٠/١.

* مصـــر:

ذكر ابن تغرى‌بردى خبراً انفرد به وهو: أن عمر بن عبدالعزيز أقر على مصر عبدالملك بن رفاعة بن خالد بن ثابت الفهمي المصري الذي كان حسن السيرة عفيفاً عن الأموال ديناً أميناً ثقة فاضلاً عادلاً بين الرعية.

روى عنه الليث بن سعد وغيره. ثم عزله في شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين دون أن يذكر سبب عزله[1]، وولى مكانـه أيوب بن شـرحبيل بن أكسوم بن أبرهة بن الصباح[2].

روى عنه عبدالرحمن بن مهران[3]، وقد شكى ضعف أيوب إلى عمر بن عبدالعزيز فقال: «إن أيوب زجرت به أعراف صالحة، فلان بين الأشراف وقصد قصد السيادة»[4].

وكان أيوب حسن السيرة أخذ في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وإصلاح الأمور، فحسنت أحوال الديار المصرية في عهده.

وظل والياً عليها إلى أن توفي في أواخر رمضان عام إحدى ومائة هجرية فكانت ولايته عليها سنتين ونصفاً[5].

الإفتـــاء:

وكان عمر بن عبدالعزيز قد جعل الفتيا في مصر إلى ثلاثة من الفقهاء وهم:

١ - يزيد بن أبي حبيب الأزدي. ولد يزيد في سنة ثلاث وخمسين للهجرة. روى عن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي الصحابي، وأبي الخير

---

(١) **النجوم الزاهرة** ١/٢٣١ ـ ٥٣٢.
(٢) الكندي: **ولاة مصر**، ص ٨٩؛ المقريزي: **الخطط** ١/٣٠٢.
(٣) البخاري: **التاريخ الكبير** ١/٤١٨؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ١/١/٢٥٠.
(٤) الكندي: **ولاة مصر**، ص ٩٠.
(٥) المصدر السابق، ص ٩٠؛ ابن تغرى‌بردى: **النجوم الزاهرة** ١/٢٣٨.

اليزني وسويد بن قيس وغيرهم، وعنه الليث بن سعد، وزيد بن أبـي أنيسة وحيوة بن شريح وآخرون.

وثقه ابن حبان وأبو زرعة والعجلي، وزاد في قوله: إنه مصري تابعي. أما ابن سعد فقال: يزيد بن حبيب كان مفتي الديار المصرية في زمانه وهو أول من أظهر العلم في مصر والكلام بالحلال والحرام، كما كان عاقلاً حليماً كثير الحديث. وقال الليث يزيد: سيدنا وعالمنا. توفي يزيد في سنة ثمان وعشرين ومائة هجرية[1].

٢ ـ عبيدالله بن أبـي جعفر، المصري الإمام الفقيه القدوة، وكنيته أبو بكر. ولد في سنة ستين للهجرة.

روى عن أبـي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، وحمزة بن عبدالله بن عمر، وعبدالرحمن الأعرج وغيرهم، وروى عنه حيوة بن شريح، والليث وعمرو بن الحارث وآخرون.

قال ابن سعد: كان فقيه زمانه ثقة. وقال ابن يونس: كان عابداً زاهداً عالماً. توفي ابن أبـي جعفر في حوالي سنة ست وثلاثين للهجرة[2].

٣ ـ جعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة الكندي الأزدي حليف بني زهرة بن كلاب، وكنيته أبو شرحبيل القرشي المصري الفقيه الإمام، سكن مصر وولد فيها.

روى عن الأعرج، وعراك بن مالك، وأبـي الخير مرثد اليزني وآخرين.

وثقه ابن سعد والنسائي، وأحمد، وقال أبو زرعة: صدوق. توفي جعفر في سنة ست وثلاثين ومائة للهجرة[3].

---

(١) ابن أبـي حاتم: ٢٦٧/٢/٤؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب ٣١٨/١١**؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال ١٦٧/٣ ـ ١٦٨**.

(٢) ابن سعد: **الطبقات ٥١٤/٧**؛ الذهبي: **تذكرة الحفاظ ١٣٦/١**؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب ٦/٧ ـ ٧**؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال ١٩٠/٢**.

(٣) البخاري: **التاريخ الكبير ١٩٠/٢**؛ الذهبي: **سير أعلام النبلاء ١٤٩/٦**؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب ٩٠/٢**؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال ١٦٧/١**.

القضـــاء:

أقر عمر في بادىء الأمر على قضاء مصر عياض بن عبيدالله الأزدي إلا أنه صرفه عنه لعشر بقين من رجب عام مائة هجرية، ولم تذكر المصادر سبب صرفه عنه، أوعن شيوخ هذا القاضي، وذكرت فقط أنه ولي قضاء مصر مرتين: الأولى في جمادي الأولى من سنة ثلاث وتسعين من قبل قرة بن شريك عامل الوليد على مصر، لكنه صرف عنه بعد أربع سنين وذلك في رجب عام سبعة وتسعين للهجرة، أما الثانية فكانت في عهد الخليفة سليمان بن عبدالملك[1].

ثم ولى عمر القضاء ـ بعد صرف عياض ـ عبدالله بن يزيد بن عبدالله بن خذامر الصنعاني وكنيته أبو مسعود.

وأصل والده من أبناء ذرية الفرس الذين وجهوا من قبل كسرى لقتال الحبشة في اليمن، وحالف يزيد قوماً من السبئيين، واشترك في فتح مصر واختلط بها.

روى عنه موسى بن أيوب الغافقي، وغوث بن سليمان.

وكان عبدالله فقيهاً ورعاً[2].

وسبب تولية عمر له ـ كما يذكر الكندي وابن حجر ـ أن وفداً من أهل مصر وفد على سليمان بن عبدالملك وفيهم عبدالله بن يزيد بن عبدالله بن خذامر، فسألهم سليمان عن شيء من أمر أهل المغرب فأخبروه بما يجب، أما ابن خذامر فلم يتكلم بشيء، فلما خرج سأله عمر بن عبدالعزيز عن السبب الذي منعه من الكلام مع أصحابه قال: خفت الله أن أكذب. فحفظها له عمر. فلما تولى الخلافة كتب إلى عامله على مصر بولاية عبدالله القضاء، وكان ذلك في رجب سنة مائة للهجرة.

وقد كان ابن خذامر عند حسن ظن عمر به ويؤيد هذا ما قاله أبو عمر:

---

(١) الكندي: **الولاة والقضاة**، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣، ٣٣٧.

(٢) ابن حجر: **رفع الأصر عن قضاة مصر**، القسم الثاني، تحقيق حامد عبدالحميد (ط. القاهرة) ١٩٦١م ـ ١٣٨١هـ، ٢/ ٣٠٥.

أنه لم يقبض منذ ولى القضاء بسبب القضاء درهماً ولا ديناراً. وكان صرفه عنه في النصف من شهر رمضان سنة خمس ومائة، فكانت ولايته على القضاء خمس سنين وثلاثة أشهر، وهو أول من تولى القضاء في مصر من غير العرب[١].

* الخــــراج:

ولاه عمر حيان بن شريح المصري[٢] ولم تسعفني المصادر التي بين يدي بأكثر من ذلك عنه.

* جــواز مصــر:

ولَّى عليه عمر رزيق بن حكيم الأيلي مولى بني فزارة وكنيته أبو حكيم[٣]. روى عن سعيد بن المسيب وعمر بن عبدالعزيز وعمرة بنت عبدالرحمن وغيرهم، وعنه مالك بن أنس ويونس بن يزيد وابنه حكيم بن رزيق. وثقه النسائي وابن حبان والعجلي وابن سعد، وقال عنه ابن ماكولا: كان عبداً صالحاً، وذكر ابن أبـي حاتم أن رزيق بن حكيم الأيلي كان عامل عمر على أيلة[٤] ويتضح من هذا الخبر أن أيلة كانت نقطة الجمارك بلغة عصرنا الحاضر. وكان رزيق قد ولى هذا المنصب للوليد بن عبدالملك وسليمان ثم لعمر بن عبدالعزيز[٥].

* المغــــرب:

ولى عمر على المغرب إسماعيل بن عبيدالله بن أبـي المهاجر المخزومي وكنيته أبو عبدالحميد.

روى عن أنس وعبدالرحمن بن غنم والسائب بن يزيد وأم الدرداء

---

(١) **الولاة والقضاة**، ص ٣٣٨ ـ ٣٤٠؛ **رفع الأصر عن قضاة مصر** ٢/٣٠٤ ـ ٣٠٥.
(٢) ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ١/٢/٢٤٧.
(٣) الإمام مالك: **الموطأ** ١/٢٥٥؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٣/٢٧٣.
(٤) البخاري: **التاريخ الكبير** ٣/٣١٨؛ ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ١/٢/٥٠٤؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٣/٢٧٣.
(٥) الإمام مالك **الموطأ** ١/٢٥٥.

وغيرهم، وروى عنه سعيد بن عبدالعزيز والأوزاعي وابن أنعم وغيرهم[1].

قال عنه الأوزاعي: كان مأموناً على ما حدث، وقال سعيد بن عبدالعزيز عنه: كان ثقة صدوقاً، كما وثقه العجلي والفسوي ومعاوية بن صالح والدارقطني[2].

أما الدباغ فقال: كان صالحاً فاضلاً زاهداً. وقال معن التنوخي: ما رأيت في هذه الأمة زاهداً غير إسماعيل بن أبي المهاجر وعمر بن عبدالعزيز. وقدم إسماعيل إلى افريقية في سنة تسع وتسعين للهجرة، ويقال في سنة مائة، وكان حسن السيرة، سار فيهم بالحق فأسلم على يديه عامة البربر وكان حريصاً على إسلامهم.

وكان عمر يرسل إليه بالرسائل لدعوة أهل الذمة للدخول في الإسلام فيقرأها عليهم.

توفي إسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر في سنة اثنين وثلاثين ومائة هجرية[3].

القضــــاء:

ولى عمر بن عبدالعزيز على قضاء القيروان عبدالله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني من فضلاء التابعين وأهل الورع.

روى عن سفيان بن وهب الخولاني، وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري، وابن لهيعة، وعبدالرحمن بن أنعم[4].

---

(١) البخاري: **التاريخ الكبير** ١/٣٦٦؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٢/١٨٢ ــ ١٨٣؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١/٣١٧.

(٢) ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ١/٣١٧.

(٣) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٢٣؛ الدباغ: **معالم الإيمان** ١/٢٠٣ ــ ٢٠٦.

(٤) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٢/٢/١٧٥؛ الدباغ: **معالم الإيمان** ١/٢١٠.

* الأنــدلس:

ولّى عليها عمر السمح بن مالك الخولاني، وكان ذلك في رمضان سنة مائة. وقد استشهد السمح بأرض الفرنجة سنة اثنين ومائة فكانت ولايته عليها سنتين وثمانية أشهر[1].

كتــاب عمــر:

استعمل عمر عدداً من الكتاب، كان على رأسهم رجـاء بن حيوة، وكذلك الليث بن أبـي رقية الثقفي الشامي مولى أم الحكم بنت أبـي سفيان[2].

روى عن عمر بن عبدالعزيز، وروى عنه محمد بن راشد الشامي، ذكره ابن حبان في الثقات[3]. كما كتب لعمر بن عبدالعزيز الصباح بن المثني، وكان من جلة كتابه وعليتهم[4]. وكتب لعمر أيضاً إسماعيل بن أبـي حكيم القرشي المدني، روى عن القاسم بن محمد وعمر بن عبدالعزيـز وعبيدة بن سفيـان الحضرمي، وسعيد بن المسيب وغيرهم. وعنه مالك ويحيـى بن سعيد الأنصاري ومحمد بن إسحاق وآخرون. وثقه النسائي وابن شاهين وابن حبان والبرقي وابن وضاح. توفي سنة ثلاثين ومائة هجرية[5].

الخــراج والجنــد:

استعمل عمر بن عبدالعزيز عليهما صالح بن جبير الصدائي الشامي، وكنيته، أبو محمد.

---

(١) أحمد بن محمد المقري (ت ١٠٤١هـ): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس (ط. بيروت) ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، ٣/١٤ ـ ١٥.

(٢) الجهشيـاري: **الـوزراء والكتــاب**، ص ٥٣؛ الخـزرجي: **خـلاصـة تـذهيب الكمال** ٢/٣٧١.

(٣) البخاري: **التاريخ الكبير** ٧/٢٤٧؛ ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ٣/٢/١٨٠.

(٤) الجهشياري: **الوزراء والكتاب**، ص ٥٤.

(٥) ابن أبـي حاتم: **الجرح والتعديل** ١/١/١٦٤؛ الجهشيـاري: **الوزراء والكتـاب**، ص ٥٣؛ ابن حجـر: **تهذيب التهـذيب** ١/٢٨٦؛ الخزرجي: **خـلاصـة تـذهيب الكمال** ١/٨٦.

روى عن أبي جمعة حبيب بن سباع وأبي العجفاء السلمي، ورجاء بن حيوة، وعنه هشام بن سعد، ومعاوية بن صالح وغيرهم.

وثقه ابن معين وابن حبان، وذكر رجاء بن أبي سلمة أن عمر بن عبدالعزيز قال: ولينا صالح بن جبير فوجدناه مثل اسمه[1].

دار الضرب بدمشق:

ولاها عمر على بن أبي حملة القرشي، أبا نصر الفلسطيني الشامي مولى لآل الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس.

روى عن أبيه وعبدالملك بن محيريز وعمرو بن مهاجر ومكحول وغيرهم، وعنه ضمرة بن ربيعة ومحمد بن ابان العقيلي وإبراهيم بن أبي سفيان وآخرون. وثقه أبوحاتم، والعجلي. توفي في سنة ست ومائة[2].

*** خـاتمـة:**

ولاه نعيم بن سلامة.

روى عنه عطاء الخراساني والأوزاعي ومحمد بن يحيى بن حبان وأبوعبيد حاجب سليمان[3].

البـريـد:

ولاه عمرو بن ميمون بن مهران الجزري الرقي وكنيته عبدالله.

روى عن أبيه وسليمان بن يسار وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم وروى عنه الثوري وشريك وغيرهما.

---

(١) البخاري: **التاريخ الكبير** ٤/٢٧٤؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٢/١/٣٩٦؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٤/٣٨٣ ــ ٣٨٤؛ الخزرجي: **خلاصة تذهيب الكمال** ١/٤٥٩.

(٢) البخاري: **التاريخ الكبير** ٦/٢٧١؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٦/١٨٣ ــ ١٨٤؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٧/٣١٤.

(٣) البخاري: **التاريخ الكبير** ٨/٩٨ ــ ٩٩؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٤/١/٤٩٢.

وثقه يحيى بن معين والنسائي، وابن حبان، وقال أحمد: لا بأس به، أما ابن خراش فقال عنه شيخ صدوق.

وسبب توليه عمر له أن ميمون بن مهران وجهه إلى عمر يستعفيه من ولاية الجزيرة فلم يعفه وولى عمرو بن ميمون البريد.

توفي عمرو بن ميمون في سنة خمس وأربعين ومائة للهجرة[1].

حاجبه:

حبيش مولاه[2].

الصدقات:

ولى عليها عمر بن عبدالعزيز، عبدالله بن عبدالرحمن بن عتبة بن اياس القرشي الفهري[3].

الحرس:

ولى عمر عليه عمرو بن مهاجر بن أبي مسلم الأنصاري الدمشقي أبا عبيد[4].

روى عن عمر بن عبدالعزيز وعن أبيه وآخرين، وروى عنه الأوزاعي وأخوه محمد بن مهاجر، وإسماعيل بن عياش وغيرهم[5].

وثقه ابن معين ودحيم وأبو داود وابن سعد والعجلي وابن حبان وأحمد بن حنبل، وقال ابن سعد: له أحاديث كثيرة[6].

وسبب توليه عمر له يرويها عمرو بن مهاجر فيقول: إن عمر بن

---

(١) البخاري: **التاريخ الكبير** ٦/٣٦٧ـ٣٦٨؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٦/٢٥٨؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٨/١٠٨ ـ ١٠٩.

(٢) خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص ٣٢٥.

(٣) الصفدي: **أمراء دمشق**، ص ٤٨.

(٤) خليفة بن خياط، ص ٣٢٥؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٣/٢٦١.

(٥) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٣/٢٦١؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٨/١٠٧.

(٦) ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ٣/٢٦١؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٨/١٠٧.

عبدالعزيز قال له: «لقد وليتك يا عمرو، حين وليتك عن غير قرابة بيني وبينك، ولا ولاء لي عليك، ولكنك رجل من الأنصار، وأنت امرؤ تحسن الصلاة»[1].

وكانت ثقة عمر بن عبدالعزيز به كبيرة جعلته يقول له: «يا عمرو إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلابيبي ثم هزني، ثم قل لي: ماذا تصنع؟»[2].

وكانت الإشارة هنا إلى أن المؤرخين قد اختلفوا فيما إذا كان عمرو بن مهاجر قد ولّي رئاسة الحرس لعمر بن عبدالعزيز أم الشرطة والأرجح ما أوردته سابقاً لقول أكثر المؤرخين به.

الشـرطـة:

ذكر خليفة بن خياط أن عمراً استعمل عليها يزيد بن بشر بن يزيد بن بشر الكلبي[3].

الصـائفـة:

فرقها عمر ــ كما قال المؤرخون بين:

١ ــ الوليد بن هشام واليه على قنسرين ــ وقد تعرضت لذكره في هذا الملحق.

٢ ــ وبين عمرو بن قيس بن ثور بن مازن بن خيثمة، الإمام الكبير الكندي أبو ثور شيخ أهل حمص.

ولد عمرو بن قيس في سنة أربعين للهجرة[4].

---

(١) أبو زرعة الدمشقي: **تاريخ** ٣٢٤/١.

(٢) ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ١٧٢.

(٣) **تاريخ**، ص ٣٢٤.

(٤) الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ٣٢٢/٥ ــ ٣٢٣؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** ٩١/٨ ــ ٩٢.

روى عن عبدالله بن عمرو، وعبدالله بن يسر وآخرين، وعنه الأوزاعي، ومعاوية بن صالح، وإسماعيل بن عياش وغيرهم[1].

وثقه ابن معين والعجلي والنسائي وابن حبان[2]، وقال الذهبي عنه أنه أدرك سبعين صحابياً، وكان ممن نصب نفسه للفقه وحبسها في المسجد عن طلب الدنيا[3].

ولما بعثه عمر على الصائفة أوصاه بقوله: «يا عمرو، لا تكن أول الناس فتقتل فينهزم أصحابك، ولا تكن آخرهم فتثبطهم وتجنبهم ولكن كن وسطهم حيث يرون مكانك ويسمعون كلامك، وفاد من قدرت عليه من المسلمين وأرقائهم وأهل ذمتهم»[4].

توفي عمرو بن قيس في سنة أربعين ومائة للهجرة وعمره مائة عام[6]، كما استعمل عمر منصور بن غالب على الحرب وأرسل إليه رسالة طويلة يوصيه بها بجنده وأهل الذمة[6].

□ □ □

---

(١) البخاري: **التاريخ الكبير ٦/٣٦٣**؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل ٣/٢٥٤**.
(٢) ابن حجر: **تهذيب التهذيب ٨/٩٢**.
(٣) **سير أعلام النبلاء ٥/٣٢٣**.
(٤) ابن سعد: **الطبقات ٥/٣٦٩**.
(٥) الذهبي: **سير أعلام النبلاء ٥/٣٢٣**؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب ٨/٩٢**.
(٦) انظر ابن عبدالحكم: **سيرة عمر بن عبدالعزيز**، ص ٧١ ــ ٧٣.

الفهـــارس

١ ـ فهرس المصادر والمراجع.
٢ ـ فهرس موضوعات الكتاب.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

- ١ -

فهرس المصادر والمراجع

الآجري: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله (ت ٣٦٠هـ):

١ - «أخبار أبي حفص عمر بن عبدالعزيز رحمه الله وسيرته»، بتحقيق د. عبدالله عبدالرحيم عسيلان - الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ابن الأثير: عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ):

٢ - «أسد الغابة في معرفة الصحابة» - طبع ١٢٨٦هـ.

٣ - «الكامل في التاريخ» - دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

الأربلي: عبدالرحمن سنمطقنيتو الأربلي (ت ٧١٧هـ):

٤ - «الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك»، تحقيق مكي السيد جاسم، مكتبة المثني ببغداد، بدون تاريخ.

الأزدي: أبو إسماعيل حماد بن إسحاق بن إسماعيل (ت ٢٦٧هـ):

٥ - «تركة النبي والسبل التي وجهها فيها صلى الله عليه وسلم»، مخطوط بالمكتبة الظاهرية في دمشق تحت رقم ٣٧٩٠.

الأزدي: أبو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم (ت ٣٣٤هـ):

٦ - «تاريخ الموصل»، بتحقيق علي حبيبة - القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

الأصفهاني: أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠هـ):

٧ - «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ):

٧/أ - «الأغاني»، دار صعب، بيروت ١٣٩٠هـ.

البخاري: محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ):
٨ ـ «التاريخ الكبير»، تحقيق عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الهند، طبع بين عامي ١٣٦٢هـ ـ ١٣٨٠هـ.

بدران: عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى (ت ١٣٤٦هـ):
٩ ـ «تهذيب تاريخ ابن عساكر»، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

البسوي: أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ):
١٠ ـ «المعرفة والتاريخ»، بتحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ):
١١ ـ «فتوح البلدان»، بتحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

ابن تغرى بردى: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي (ت ٨٧٤هـ):
١٢ ـ «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

ابن تيمية: أحمد بن عبدالحليم (ت ٧٢٨هـ):
١٣ ـ «سؤال في يزيد بن معاوية»، بتحقيق صلاح الدين المنجد، الطبعة الثالثة، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٣٩٦هـ.

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ):
١٤ ـ «التاج في أخلاق الملوك»، بتحقيق فوزي عطوي ـ الشركة اللبنانية للكتاب للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٠م.

الجهشياري: أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ):
١٥ ـ «الوزراء والكتاب»، بتحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، الطبعة الأولى، مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة، ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م.

ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن (ت ٥٩٧هـ):
١٦ ـ «تذكرة خواص الأمة في معرفة الأئمة»، المكتبة الظاهرية بدمشق، طبع حجر.
١٧ ـ «سيرة عمر بن عبدالعزيز»، بتحقيق محب الدين الخطيب ـ مكتبة المنار بمصر، مطبعة المؤيد، ١٣٣١هـ.

١٨ ـ «صفة الصفوة»، بتحقيق محمود فاخوري ـ الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١٩ ـ «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب»، بتحقيق زينب إبراهيم القاروط ـ الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

ابن أبي حاتم: أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم التميمي (ت ٣٢٧هـ):

٢٠ ـ «الجرح والتعديل»، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند، طبع بين عامي ١٣٧١هـ ـ ١٣٧٣هـ.

ابن حبان: محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ):

٢١ ـ «مشاهير علماء الأمصار»، صححه م. فلايشهمر ـ طبع القاهرة، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م.

ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ):

٢٢ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة»، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٢٨هـ.

٢٣ ـ «تهذيب التهذيب»، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد، الهند، طبع بين عامي ١٣٢٥هـ ـ ١٣٢٧هـ.

٢٤ ـ «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، بتحقيق عبدالعزيز بن عبدالله بن باجي، المطبعة السلفية بمصر، ١٣٩٠هـ.

٢٥ ـ «رفع الأصر عن قضاة مصر»، القسم الثاني بتحقيق حامد عبدالمجيد ـ الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.

ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦):

٢٦ ـ «جوامع السيرة»، بتحقيق إحسان عباس، ناصرالدين الأسد، أحمد محمد شاكر ـ دار المعارف بمصر، بدون تاريخ.

حسن: الدكتور حسن إبراهيم (ت ١٩٦٨م):

٢٧ ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي»، الطبعة السابعة ـ مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤م.

ابن حنبل: الإمام أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ):

٢٨ ـ «المسند»، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

الخزرجي: صفي الدين أحمد بن عبدالله (ت بعد سنة ٩٢٣هـ):
٢٩ ـ «خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال»، بتحقيق محمود عبدالوهاب فايد ـ مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ):
٣٠ ـ «تقييد العلم»، بتحقيق يوسف العش ـ الطبعة الثانية، نشرته دار إحياء السنة النبوية، ١٩٧٤م.
٣١ ـ «شرف أصحاب الحديث»، بتحقيق محمد سعيد خطيب أوغلي ـ نشرته دار إحياء السنة النبوية، جامعة أنقرة، ١٩٧١م.

ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ):
٣٢ ـ «تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ):
٣٣ ـ «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، بتحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، طبع بين عامي ١٩٦٨م ـ ١٩٧٢م.

خليفة بن خياط: خليفة بن خياط بن خليفة البصري (ت ٢٤٠هـ):
٣٤ ـ «تاريخ خليفة بن خياط»، بتحقيق أكرم ضياء العمري ـ الطبعة الثانية، دار القلم ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

خليل: الدكتور عمادالدين:
٣٥ ـ «ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبدالعزيز»، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

الخولاني: عبدالجبار بن عبدالله بن محمد الخولاني (ت ٣٧٠هـ):
٣٦ ـ «تاريخ داريا»، مطبعة الترقي بدمشق، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م.

الدارمي: أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام (ت ٢٥٥هـ):
٣٧ ـ «سنن الدارمي»، طبع بعناية محمد أحمد دهمان ـ نشرته دار إحياء السنة النبوية، بدون مكان الطبع ولا تاريخه.

أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ):
٣٨ ـ «سنن أبي داود»، بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

الدباغ: عبدالرحمن بن محمد بن علي (ت ٦٩٩هـ):
٣٩ ـ «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان»، أكمله وعلق عليه أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت ٨٣٩هـ)، بتحقيق إبراهيم شبوح ـ الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي بمصر، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

الدميري: محمد بن موسى بن عيسى بن علي (ت ٨٠٨هـ):
٤٠ ـ «حياة الحيوان الكبرى»، الناشر المكتبة الإسلامية، بدون مكان الطبع ولا تاريخه.

الدياربكري: حسين محمد بن الحسن (ت ٩٦٦هـ):
٤١ ـ «تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس»، المطبعة الوهبية بمصر، ١٢٨٣هـ.

الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ):
٤٢ ـ «الأخبار الطوال»، بتحقيق عبدالمنعم عامر ـ أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثني ببغداد، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م.

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ):
٤٣ ـ «تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام»، مطبعة السعادة بالقاهرة، ١٣٦٩هـ.
٤٤ ـ «دول الإسلام»، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة بحيدرآباد الدكن، ١٣٣٧هـ.
٤٥ ـ «تذكرة الحفاظ»، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م.
٤٦ ـ «سير أعلام النبلاء»، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٤٧ ـ «ميزان الاعتدال في نقد الرجال»، بتحقيق علي محمد البجاوي ـ الطبعة الأولى، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.

الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (ت ٦٦٦هـ):
٤٨ ـ «مختار الصحاح»، دار الكتب العربية، بيروت، بدون تاريخ.

الرامهرمزي: الحسن بن عبدالرحمن (ت ٣٦٠هـ):
٤٩ ـ «المحدث الفاضل بين الراوي والواعي»، بتحقيق محمد عجاج الخطيب ـ الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

ابن رشيق: الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ):
٥٠ ـ «العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده»، بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الرابعة، دار الجيل، بيروت ١٩٧٢م.

أبو زرعة: عبدالرحمن بن عمرو بن عبدالله بن صفوان النصري (ت ٢٨١هـ):
٥١ ــ «تاريخ أبي زرعة الدمشقي»، بتحقيق شاكرالله بن نعمة الله القوجاني ــ مطبعة المفيد الجديدة بدمشق، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م.

الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ):
٥٢ ــ «أساس البلاغة»، بتحقيق عبدالرحيم محمود ــ القاهرة، ١٣٧٢هـ ــ ١٩٥٣م.

السامرائي: الدكتور حسام الدين السامرائي:
٥٣ ــ «الزراعة في العراق خلال القرن الثالث الهجري» بالإنكليزية، طبع دار لبنان، ١٩٧٢م.

ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع المشهور بكاتب الواقدي (ت ٢٣٠هـ):
٥٤ ــ «الطبقات الكبرى» دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٧هـ ــ ١٩٥٧م.

أبو سعدة: الدكتور محمد جبر:
٥٥ ــ «محاضرات في تاريخ الخلفاء الأمويين»، القاهرة ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م.

السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ):
٥٦ ــ «تاريخ الخلفاء»، بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢م.
٥٧ ــ «تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك»، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

الشافعي: الإمام محمد بن إدريس المطلبي (ت ٢٠٤هـ):
٥٨ ــ «الأم»، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م.

ابن شاكر الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ):
٥٩ ــ «فوات الوفيات»، بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بالقاهرة، ١٩٥١م.

شلبي: الدكتور أحمد شلبي:
٦٠ ــ «موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية»، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٧٣هـ.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ):
٦١ ـ «أمراء دمشق في الإسلام»، بتحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة الترقي بدمشق، ١٩٥٥م.

صفوت: الدكتور أحمد زكي:
٦٢ ـ «عمر بن عبدالعزيز»، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م.

الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ):
٦٣ ـ «أدب الكتاب»، بتحقيق محمد بهجة الأثري ـ المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤١هـ.

ابن طباطبا: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ):
٦٤ ـ «الفخري في الآداب السلطانية، والدول الإسلامية»، مطبعة الموسوعات بمصر، ١٣١٧هـ.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ):
٦٥ ـ «تاريخ الرسل والملوك»، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م.

ابن عبدالبر: أبو عمر يوسف بن عبدالبر النميري القرطبي الأندلسي (ت ٤٦٣هـ):
٦٦ ـ «تجريد التمهيد في الموطأ من المعاني والأسانيد والتقصي لحديث الموطأ وشيوخ الإمام مالك»، القاهرة ١٣٥٠هـ.
٦٧ ـ «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، بتحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبدالكبير البكري ـ مطبعة فضالة المحمدية بالمغرب، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.
٦٨ ـ «جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله»، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
٦٩ ـ «الاستيعاب في أسماء الأصحاب»، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٢٨هـ.

ابن عبدالحكم: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم (ت ٢٥٧هـ):
٧٠ ـ «فتوح مصر وأخبارها»، طبع ليدن، ١٩٢٠. أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثني ببغداد.

ابن عبدالحكم: أبو محمد عبدالله بن عبدالحكم (ت ٢١٤هـ):
٧١ ـ «سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه»،

بتحقيق أحمد عبيد ــ الطبعة الثانية، المكتبة العربية بدمشق، ١٣٧٣هـ ــ ١٩٥٤م.

ابن عبدربه: أبو عمر أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي (ت ٣٢٧هـ):
٧٢ ــ «العقد الفريد»، بتحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري ــ الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٥م.

أبو عبيد: القاسم بن سلام الجمحي (ت ٢٢٤هـ):
٧٣ ــ «الأموال»، بتحقيق محمد خليل هراس ــ الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م.

ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبةالله (ت ٥٧١هـ):
٧٤ ــ «تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل واجتاز بنواحيها من واردیها وأهلها». مخطوط بالمكتبة الظاهرية في دمشق تحت رقم ٣٣٧٧.

ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ):
٧٥ ــ «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

ابن العمراني: محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ):
٧٦ ــ «الأنباء في تاريخ الخلفاء»، بتحقيق قاسم السامرائي، طبع ليدن، ١٩٧٣م.

أبو الفدا: الملك المؤيد عمادالدين بن علي بن محمود صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ):
٧٧ ــ «المختصر في أخبار البشر»، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ.

الفيروزآبادي: مجدالدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ):
٧٨ ــ «القاموس المحيط»، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي بمصر، ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢م.

ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ):
٧٩ ــ «المعارف»، بتحقيق محمد إسماعيل عبدالله الصاوي ــ الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٠هـ ــ ١٩٧٠م.
٨٠ ــ «عيون الأخبار»، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٨٣هـ ــ ١٩٢٥م.

القرماني: أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت ٩٣٩هـ):
٨١ ــ «أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ»، طبع بغداد، ١٢٨٢هـ.

ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ):
٨٢ ـ «أحكام أهل الذمة»، بتحقيق صبحي الصالح ـ الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

الكتاني: عبدالحي الكتاني (ت ؟):
٨٣ ـ «نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية»، المطبعة الأهلية بالرباط، ١٣٤٧هـ.

ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو (ت ٧٧٤هـ):
٨٤ ـ «البداية والنهاية»، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٧٨م.

الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ):
٨٥ ـ «كتاب الولاة وكتاب القضاة»، صححه رفن كست ـ مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م.
٨٦ ـ «ولاة مصر»، بتحقيق حسين نصار ـ دار بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م.

ابن ماكولا: علي بن هبة الله بن علي، الأمير (ت ٤٧٥هـ):
٨٧ ـ «الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب»، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند، طبع بين عامي ١٩٦١ ـ ١٩٦٦م / ١٣٨١ ـ ١٣٨٦هـ.

الإمام مالك: «مالك بن أنس رضي الله عنه (ت ١٦٩هـ):
٨٨ ـ «الموطأ»، بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ـ دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م.

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ):
٨٩ ـ «الأحكام السلطانية والولايات الدينية»، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ):
٩٠ ـ «الكامل في اللغة والأدب»، الناشر مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ.

المقدسي: أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي المعروف بالبشاري (ت ٣٧٥هـ):
٩١ ـ «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، طبع ليدن، ١٩٠٦م.

المقري: أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ):

٩٢ ــ «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»، بتحقيق إحسان عباس ــ دار صادر، بيروت ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م.

المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر (ت ٨٤٥هـ):

٩٣ ــ «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية»، دار الطباعة المصرية بالقاهرة، ١٢٧٠هـ.

ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ):

٩٤ ــ «لسان العرب»، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٦م.

ابن نباتة: جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة المصري (ت ٧٦٨هـ):

٩٥ ــ سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون، الطبعة الأولى، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٧هـ ــ ١٩٥٧م.

النجار: الدكتور محمد الطيب النجار:

٩٦ ــ «الموالي في العصر الأموي»، الطبعة الأولى، دار النيل للطباعة بالقاهرة، ١٣٦٨هـ ــ ١٩٤٩م.

أبو نعيم: أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ):

٩٧ ــ «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٧م.

٩٨ ــ «ذكر أخبار أصبهان»، طبع ليدن، ١٩٣٤م.

النووي: أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ):

٩٩ ــ «تهذيب الأسماء واللغات»، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

١٠٠ ــ «رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين»، بتحقيق عبدالله أحمد أبو زينة ــ نشر وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ١٣٩٠هـ.

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ):

١٠١ ــ «نهاية الأرب في فنون الأدب»، مطابع كوستاتسوماس القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٣٧٤هـ ــ ١٩٥٥م.

ابن هشام: أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري (ت ٢١٣ أو ٢١٨هـ):

١٠٢ ــ «السيرة النبوية»، بتحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ

شلبي ـ الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

ياقوت: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ):

١٠٣ ـ «معجم البلدان»، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م.

يحيى بن آدم: يحيى بن آدم القرشي (ت ٢٠٣هـ):

١٠٤ ـ «كتاب الخراج»، بتحقيق أحمد محمد شاكر ـ الطبعة الثانية، المطبعة السلفية بالقاهرة، ١٣٨٤هـ.

اليعقوبي: أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ):

١٠٥ ـ «تاريخ اليعقوبي»، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٠م ـ ١٣٩٠هـ.

أبو يعلى: محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت ٤٥٨هـ):

١٠٦ ـ «الأحكام السلطانية»، تحقيق محمد حامد الفقي ـ الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب صاحب أبي حنيفة (ت ١٨٢هـ):

١٠٧ ـ «كتاب الخراج»، الطبعة الرابعة، المطبعة السلفية بالقاهرة، ١٣٩٢هـ.

المعجم الوسيط:

١٠٨ ـ قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبدالقادر، محمد علي النجار ـ مطبعة مصر، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.

المؤلف مجهول:

١٠٩ ـ «العيون والحدائق وأخبار الحقائق»، طبع ليدن، ١٨٧١م.



ـ ٢ ـ

فهرس موضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩
خطة البحث	١٨
الفصل الأول: حياة عمر بن عبدالعزيز قبل الخلافة	١٩
المبحث الأول: نسبه ونشأته	٢١
المبحث الثاني: حياته العلمية	٢٨
المبحث الثالث: حياته الاجتماعية	٤٨
المبحث الرابع: ولايته على المدينة	٦٩
الفصل الثاني: عمر الخليفة	٨١
المبحث الأول: الظروف التي لابست استخلافه	٨٣
المبحث الثاني: منهج عمر بن عبدالعزيز في إدارة الدولة الإسلامية	١٠١
المبحث الثالث: على طريق الإصلاح	١١٤
المبحث الرابع: دوره في نشر الإسلام	١٦٧
الفصل الثالث: سياسة عمر بن عبدالعزيز في رد المظالم	١٨١
المبحث الأول: المظالم قبل خلافة عمر بن عبدالعزيز	١٨٣
المبحث الثاني: سياسة عمر بن عبدالعزيز في رد المظالم	٢٠٣

الموضوع	الصفحة

خاتمة البحث **٢٥٧**
ملحق بتسمية عمال عمر بن عبدالعزيز أبان خلافته **٢٦٧**
الفهارس **٢٩٩**
١ ـ فهرس المصادر والمراجع **٣٠١**
٢ ـ فهرس موضوعات الكتاب **٣١٣**

طبع هذا الكتاب بناء على موافقة
فرع إدارة المطبوعات بمكة المكرمة
بموجب الخطاب رقم ٢٤٠/٢/ م في ٢/٤/١٤٠٦هـ



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم

• هذا الكتاب دراسة علمية تستند إلى نصوص تاريخية عن الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم.

• ويتضمن الكتاب لمحة عن حياة الخليفة الراشد الخامس قبل توليه الخلافة ويقدم الكتاب تفصيلات عن عمر بن عبدالعزيز الخليفة ومنهجه في إدارة الدولة الإسلامية.

• والكتاب بعد هذا استعراض لمسيرة الخليفة العالم على طريق الإصلاح ودوره في نشر الإسلام. ويتضمن الكتاب دراسة موضوعية عن الظروف التي أحاطت بخلافته وموقف البيت المرواني منه خصوصاً بعد أن توضحت معالم سياسته في رد المظالم.

• ويتضمن أيضاً دراسة للحمى الذي استمر مباحاً للمسلمين طوال العصر الأموي وجرى تطويره خلال العصر الأموي الأول ثم طالته يد التغيير مما دفع عمر إلى إعادة النظر فيه.

يفصل الكتاب إجراءات عمر بن عبدالعزيز ومنحاه الإسلامي في منع استغلال مرافق الدولة ورفع المظالم عن الموالي ومنعه لعن أحد من المسلمين ورفعه المظالم عن أهل الذمة.

• ويتضمن الكتاب صورة العدل والإحسان وطريقة التعامل بين الحاكم والمحكوم. وأخيراً هذه الدراسة تمثل تتبعاً لحياة الخليفة الزاهد وأعماله العظيمة التي أضاء بها وجه الزمان وكانت نبراساً للإصلاح على مر العصور.

ماجدة

مكتبة الطالب الجامعي

مكة المكرمة - العزيزية - مدخل جامعة أم القرى

هاتف: ٥٥٦٦١٧٠ - ٥٥٧٣٢١٠ ص.ب ٦٧٤٧

